مع العدد هدية الفردوس (مجلة الطفل المسلم)

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

منبر الإسلام

السنة (٦٣) العدد (٤) ربيع الآخر ١٤٢٥هـ - يونيه ٢٠٠٤م - الثمن ١٠٠ قرش

تطوير المناهج الدراسية ضرورة دينية وعلمية

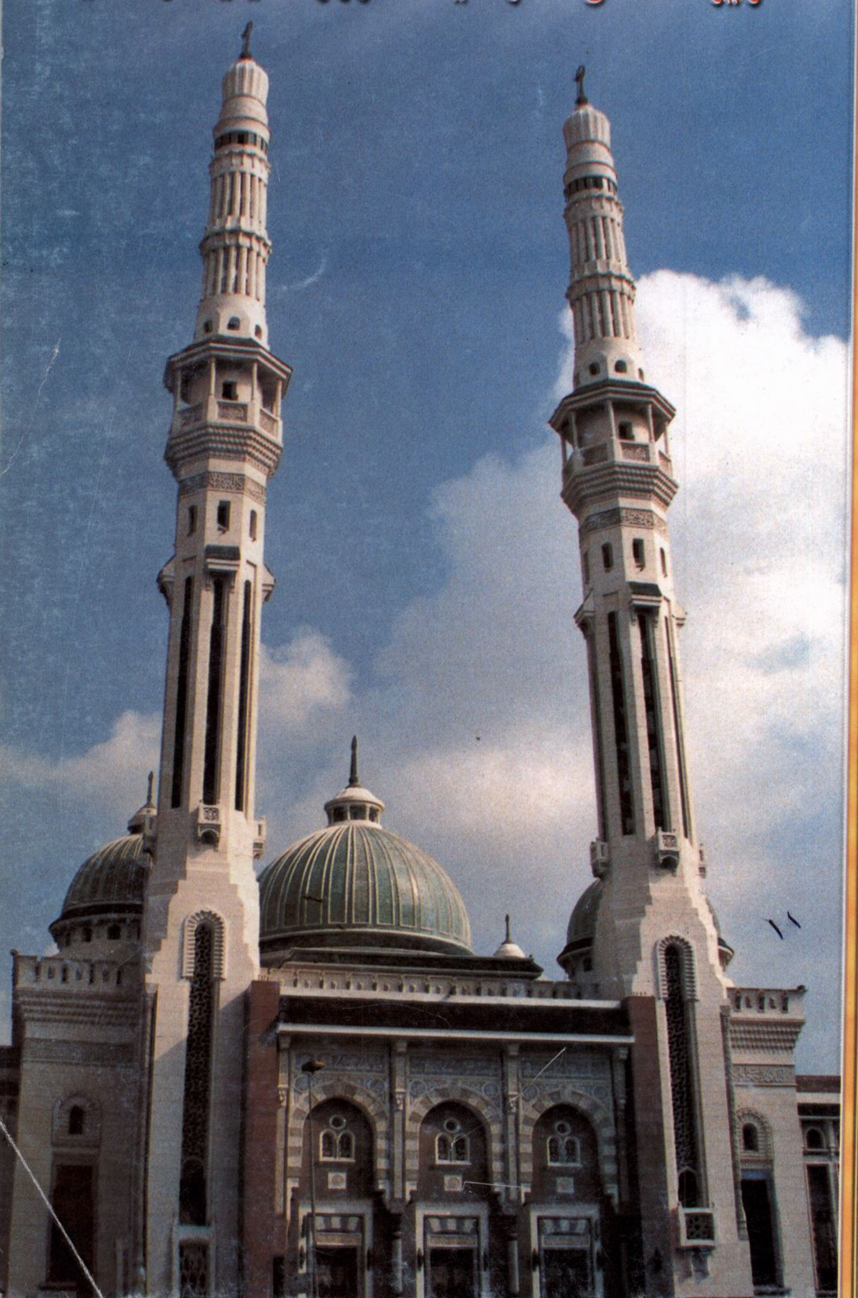

الرئيس مبارك يشهد الاحتفال بالمولد النبوى الشريف

الرواية فى الإسلام وحاجتها إلى الإسناد

إسلامية الدولة ومدنيتها

الصحة وعلاقتها بالبيئة من منظور إسلامى

وقائع المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

التسامح فى الحضارة الإسلامية

من محتويات العدد

□ تفسير سورة القلم
أ. د. محمد سيد طنطاوى
□ سماحة الإسلام (حديث الشهر)
أ. د. عبدالصبور مرزوق
□ الرواية فى الإسلام وحاجتها إلى الإسناد
أ. د. أحمد عمر هاشم
□ الإسلام دين الإقناع بالحجة والدفاع بالعدة
فضيلة الشيخ محمد عبدالمجيد زيدان
□ تطوير المناهج الدراسية ضرورة دينية وعلمية
أ. د. محمد الدسوقى
□ مراحل تكوين الأسرة فى الإسلام
د. سالم عبدالجليل
□ موقف سعيد النورسى من الحضارة الغربية
أ. د. جمال رجب سيد بى
□ إسلامية الدولة ومدنيتها
أ. د. محمد عمارة
□ الصحة وعلاقتها بالبيئة من منظور إسلامى
أ. د. عبدالمعبود عمارة

غلاف الشهر

● يحفل غلاف هذا العدد بلقطات من الاحتفال بذكرى ميلاد الرسول ﷺ وتكريم العلماء الذين أسهموا بدور بارز فى خدمة الدعوة الإسلامية، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾ فصلت: آية ٣٣

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٩ ش النباتات - بجاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة : ١٣,٥ ثلاثة عشر جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٢٠ عشرون دولارا أمريكيا لاتحاد البريد العربى الأفريقى - «بريد جوى»
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٣٥ خمسة وثلاثون دولارا لدول أوروبا.
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول شرق آسيا.
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية واستراليا واليابان.

المراسلات:

٩ ش النباتات بجاردن سيتى - القاهرة - تليفون: ٧٩٥٨٦٥٩ - ٧٩٤١٦٢٧ - ٧٩٥٨٦٦٤
تلغرافيا: منبر الإسلام - القاهرة

منبر الإسلام
تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: **محمود حمدى زقزوق**

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: **عبد الصبور مرزوق**

نائب رئيس المجلس

مجلس التحرير

الدكتور: **صوفى أبو طالب**

الدكتور: **أحمد كمال أبو المجد**

الدكتور: **أحمد هيكل**

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

كلمة التحرير

عزيزى القارئ

هذا عدد جديد من مجلة «منبر الإسلام» يصدر فى ظروف يتعرض خلالها العالم العربى والإسلامى لحملة ظالمة من الافتراءات والمزاعم التى أريد بها أن تُلصق بالإسلام اتهامات لا سند لها من العلم ولا من الواقع التاريخى فتارة يتهم بأنه دين إرهاب وتارة أخرى بأنه دين تعصب.

ويحفل هذا العدد بمناسبتين كريمتين أولاهما: احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف الذى جاءت كلمة الرئيس مبارك فيه مؤكدة أن ديننا الحنيف يفرض علينا أن يكون احتفالنا بهذه الذكرى العطرة موصولا بحاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها وبالتحديات التى تواجهها والمتغيرات التى تمر بها وأن نستمد من سيرة رسولنا الكريم ما يمكننا من مواجهة هذه التحديات والتغلب على الصعاب فى إطار سماحة الإسلام. وعلى الأمة الإسلامية أن تصحح من فهمها للإسلام ومن ممارستها لتعاليمه وأن ندرك جميعا أن مستقبل أمتنا مرهون بقدرتها على الخروج من العزلة والتقوقع، وعلى الانطلاق للتواصل والتحاور والتكامل مع الأمم الأخرى، والمناسبة الثانية هى المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى عقد بالقاهرة مؤخرا، ومن خلال عرضنا لوقائع هذا المؤتمر نجد ردا قويا ودامغا يكشف زيف هذه الدعاوى الباطلة الظالمة، وليس موقفا اعتذاريا لأن الإسلام ليس فيه ما يعتذر عنه ولكن من منطلق المسئولية فى الرد على الدعاوى الباطلة وإبراز قيم الإسلام وتعاليمه التى يمثل التسامح فيها مكان الصدارة. التفاصيل يتعرف عليها القارئ من خلال صفحات هذا العدد الذى نقدم فيه أيضا موضوعات فى علوم القرآن والسنة المطهرة والقضايا العلمية والفقهية إلى جانب الموضوعات التى تشترك معنا عزيزى القارئ فى تحريرها.

حديث الشهر

التسامح فى الإسلام

أ. د. عبدالصبور مرزوق

أعلم أن فى الحديث عن التسامح الآن ـ وفى هذه الآونة العصيبة التى تتكالب فيها قوى الطغيان على أمتنا الإسلامية تقتل شعوبا وتعذب آخرين وتنتهك آدميتهم ـ فيه من مصادمة الوجدان وإثارة المشاعر ما يستفز الحليم الرشيد.

غير أن ما يشفع لنا كونه يمثل جوهر الإسلام وركنه الركين، إن لم يكن هو هو ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ البقرة: آية ١٦٣، هذا فى العقيدة.

أما فى المعاملة الإنسانية فنجد قوله تعالى: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾** الممتحنة: آية ٨. وفى الحديث «بعثت بالحنيفية السمحة.

بل إن الجهاد فى الإسلام ليمثل السماحة فى أجلى صورها، ويكفى أن نذكر هنا وصية الصديق رضي الله عنه لأسامة بن زيد والتى يقول فيها: **«ياأيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى»:**

١ ـ لا تخونوا ولا تغلوا.

٢ ـ ولا تغدروا ولا تمثلوا.

٣ ـ ولا تقتلوا طفلا صغيرا.

٤ ـ ولا شيخا كبيرا ولا امرأة.

٥ ـ ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه.

٦ ـ ولا تقطعوا شجرة مثمرة.

٧ ـ ولا تذبحوا شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة.

٨ ـ وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.

٩ ـ وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئا، فاذكروا اسم الله عليها.

١٠ ـ وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل: العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقا، اندفعوا باسم الله.

أين هذا من تعذيب الأسرى وانتهاك آدميتهم، وممن؟ من الدولة القطب التى تجعل من نفسها وصية على حقوق الإنسان وكرامته!!

ربما كان حديثنا عن التسامح فى هذه الآونة، وفى ظل هذه الظروف المريرة التى تتضاءل أمامها وحشية التتار ومحاكم التفتيش وكل ما عرفته البشرية فى همجيتها الأولى من قهر

وإذلال ما يقيم الحجة **﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة﴾**.

على أن ما يشفع لنا فى حديثنا هذا هو التأسى بالصالحين، وقد سئلوا **﴿لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا﴾**، فكان جوابهم **﴿قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾**.

والآيات فى التسامح، وكذلك السنن أشهر من أن تذكر هنا فأينما ولى الإنسان وجهه فى شأن من شئون الحياة إلا ووجد نفسه مأمورا ومطالبا بالتسامح سواء فى علاقاته اليومية **«رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»** ناهيك عن معرض الاشتجار وموطن الخصومة **﴿فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾**.

وإذا كانت الدول الكبرى فى عالم اليوم وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تتحدث ليل نهار عن التسامح وحقوق الإنسان وتجعل من نفسها وصية على العالم الثالث وقوامة عليه. وإن كانت تكيل بمكاييل عدة الأمر الذى يجعل حديثها هذا واهتمامها قاصرا على الإنسان الأوروبى فقط على ما تظهره الممارسات فى فلسطين والعراق.

على العكس مما كان عليه المسلمون عندما كانت الدولة دولتهم، ومقدرات العالم بين أيديهم فلم يبغوا ولم يطغوا ولم يفرقوا بين جنس وجنس، ولا بين دين وآخر وإنما كان العدل والصفح الجميل دأبهم وديدنهم مع أعدائهم قبل أوليائهم ومع خصومهم قبل أتباعهم.

وقد أفاض التاريخ وسجل مظاهر هذه السماحة منذ أول يوم قامت فيه الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة من خلال صحيفة المدينة، إلى آخر أيام دولة بنى عثمان حيث يرفض المفتى فى إباء وشمم رغبة الخليفة فى تخيير رعاياه من غير المسلمين بين الإسلام أو الرحيل، منكرا عليه رغبته هذه، وأنها تتنافى مع ما عرفه المسلمون من سماحة دينهم.

وكذلك فعل الإمام الأوزاعى فوقف أمام رغبة الحاكم العباسى عندما أراد تهجير نصارى لبنان جزاء لما ارتكبه بعضهم من خيانة للدولة، مبينا له أن العقاب وقف على الخائنين فقط دون أن يتعداهم إلى غيرهم.

سماحة الإسلام سجلها التاريخ منذ أول يوم تأسست فيه الدولة الإسلامية فى المدينة من خلال صحيفة المدينة

بقى أن نشير فى خاتمة المطاف إلى زعم يردده المتخرصون من أن الإسلام قد انتشر بقوة السيف، وهو أمر قد قام المنصفون من المستشرقين بتفنيده وبيان مخالفته للحقيقة وللواقع، ويكفى أن نذكر هنا أن جميع من قتلوا فى الحروب التى دخلها المسلمون دفاعا عن أنفسهم من شهدائهم أو من قتلى الآخرين لم تبلغ الأربعمائة (٤٠٠) وهو رقم ضئيل يمكن أن يقع فى حوادث مرورية.

ومن أشهر هؤلاء المستشرقين الذين ألقموا هؤلاء المتخرصين الحجر السيد/ توماس أرنولد فى كتابه «الدعوة إلى الإسلام» من خلال ما أورده من أحداث ووقائع تبين ما كان عليه المسلمون من سماحة ومن بعد عن الإكراه وترك الناس أحرارا فى اختيار عقائدهم دونما ضغط أو إجبار.

احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف

احتفلت مصر بذكرى ميلاد الرسول ﷺ الذى أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين وأتم به التنزيل والنعمة على البشرية فلم تعد البشرية بحاجة إلى رسل ورسالات بعد رسالته ﷺ، هذه الرسالة الخاتمة الكاملة جاءت رحمة عامة للبشرية كلها. يقول الله عز وجل: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾ علمه ربه وكمله وأدبه فإذا الإنسانية به تنمو وتكتمل فكما كان فى آدم سر وجود الإنسانية كان فى محمد سر كمالها.

فى هذه المناسبة العطرة احتفلت مصر حكومة وشعبا بذكرى ميلاده ﷺ وفى هذا الاحتفال الذى تقيمه وزارة الأوقاف برعاية كريمة من الرئيس محمد حسنى مبارك تشهده كوكبة من العلماء يتشرفون بتكريم الرئيس لهم بدورهم البارز فى خدمة الدعوة الإسلامية. كما يكرم الرئيس فى الاحتفال الفائزين فى مسابقة المولد النبوى الشريف التى تنظمها وزارة الأوقاف كل عام.

وفى هذه المناسبة العطرة وجه الرئيس محمد حسنى مبارك كلمة إلى الأمة العربية والإسلامية أكد فيها أن أمتنا الإسلامية أمة ذات ثقافة متميزة ولها تاريخ عريق ويعرف الجميع إسهامها فى بناء الحضارة الإنسانية والنهوض بها عبر عصور التاريخ مشيرا إلى أن الأمة الإسلامية قدمت الكثير من الأسس والمبادئ التى اتخذتها بقية الشعوب والأمم أساسا للتطوير.

وطالب الرئيس مبارك أبناء الأمة الإسلامية ببذل أقصى الجهود للتصدى للمحاولات الرامية إلى تغيير وضع القدس الشريف من خلال محاصرته بالمستعمرات الإسرائيلية مما يضعف موقف المفاوض الفلسطينى فى مفاوضات الحل النهائى.

ودعا الرئيس مبارك علماء المسلمين ومثقفيهم وخبرائهم للأخذ بيد الأمة فى سعيها الدءوب على طريق التجديد والتطوير والتحديث بما يفتح أمامها أبواب الحركة والانطلاق ويزيل عنها آثار التردد والجمود دون التخلى عن الثوابت.

شهد الحفل الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء، والدكتور أحمد فتحى سرور والدكتور مصطفى كمال حلمى رئيسا مجلسى الشعب والشورى، وفضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، والدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، وجميع الوزراء ورؤساء الهيئات القضائية والعامة والقيادات البرلمانية والشعبية والسياسية والتنفيذية.

وفيما يلى نص كلمة السيد الرئيس:

الرئيس مبارك فى احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف

مفاهيم الديموقراطية والتعددية واحترام حقوق الإنسان أسس راسخة لشريعتنا يجب تطبيقها بما يتفق وخصوصيات مجتمعاتنا

الرئيس مبارك يرد على تحية الحاضرين لدى دخوله قاعة الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف

ضيوف مصر الأعزاء

السادة العلماء الأجلاء

الإخوة والأخوات

فى يوم كيومنا هذا، أنعم الله على الدنيا كلها بمولد خاتم رسله وأنبيائه «محمد ﷺ» الذى أرسله رحمة للعالمين.. شاهدا بين الناس بالحق، ومبشرا لأهل العدل والإيمان ونذيرا لأهل الشر والظلم والعدوان وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

وفى هذا اليوم العظيم من كل عام، اعتدنا نحن المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن نلتقى فى رحاب نبينا الكريم، نتزود من سيرته العطرة، ونتأسى بخلقه العظيم، مجددين إيماننا بالرسالة الخالدة التى ختم الله بها كلماته الهادية لأهل الأرض، وتوج بها مسيرة الخير والعدل والسلام أفضل تتويج.

ويفرض علينا ديننا الحنيف أن يكون احتفالنا بهذه الذكرى العظيمة موصولا بحاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها، وبالتحديات التى تواجهها والمتغيرات التى تمر بها، وأن نستمد

الرئيس مبارك خلال الاحتفال بالمولد النبوى الشريف

من سيرة رسولنا الكريم ما يمكننا من مواجهة هذه التحديات والتغلب على تلك الصعاب، فى إطار من التمسك بالسماحة التى قام عليها ديننا الحنيف، والتى اتخذتموها - عن حق - شعارا لمؤتمركم هذا العام.

الإخوة والأخوات:

انطلاقا من المبادئ الإنسانية السمحة التى نزل بها الوحى على الرسول الكريم، فمن واجب علمائنا أن يوجهوا الأمة - وخاصة شبابها وعماد مستقبلها - لسيرته العطرة وسلوكه القويم، وأن يتدارسوا معهم فى وضوح كامل مواقفه من الحياة ومن الناس من حوله، ومنهجه فى التعامل مع الأحداث.

فإحدى السمات الرئيسية لنبينا العظيم، أنه كان يسعى فى الحياة مقبلا عليها بعزيمة لا تعرف الكلل، وعمل لا يتسلل إليه الضعف أو الوهن. وقد علمنا ﷺ ذلك بقوله: **«واستعن بالله ولا تعجز»**.

كما علمنا **«أن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كلٍ خير»**.

وكذا فقد علمنا نبينا الكريم أن نلتمس السعادة فى الدارين الدنيا والآخرة معا، من خلال العمل الصالح القائم على التمسك بتعاليم الإسلام السمحة وبممارسات رسول الإنسانية، ومن هنا، فعلى الأمة الإسلامية - وعلى أجيالها الشابة بصفة خاصة - أن تصحح من فهمها لرسالة الإسلام ومن ممارستها لتعاليمه، وأن تزيد من إدراكها بأنها مسئولة أمام الله عن تطوير أمتها والنهوض بها، وعن تحقيق ريادتها وقيادتها وتفوقها، وعن تجنيبها العثرات والكبوات.. فبهذا وحده - وليس بالتعصب والتشدد والتطرف - تثبت أمتنا دائما أنها: **«خير أمة أخرجت للناس»**.

ومن علامات الرشد أن ندرك جميعا أن مستقبل أمتنا مرهون بقدرتها على الخروج من العزلة والتقوقع، وعلى الانطلاق للتواصل والتحاور

كبار رجال الدولة يتابعون وقائع الاحتفال بالمولد النبوى الشريف

مستقبل أمتنا مرهون بقدرتها على الخروج من العزلة والانفتاح على العالم

والتكامل مع الأمم الأخرى.. دفاعا عن مصالحنا وتعريفا بثقافتنا الإسلامية النبيلة، وتبادلا للمعرفة والخبرة مع سائر الشعوب ومختلف الثقافات.

وإذا كانت الحياة السياسية والثقافية من حولنا تموج اليوم بدعوات الإصلاح، فقد كانت لنا الريادة فى المبادرة إلى هذا الإصلاح منذ زمن طويل، إيمانا منا بأن مستقبلنا رهن بما نستطيع أن نحققه من استجابة واعية للمتغيرات العالمية والإقليمية من حولنا، وإعمالا لقوله تعالى: **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**.

ومن هنا فعليكم ـ علماء المسلمين ومثقفيهم وخبراءهم ـ أن تأخذوا بيد الأمة فى سعيها الدءوب على طريق التجديد والتطوير والتحديث، الذى يفتح أمامها أبواب الحركة والانطلاق، ويزيل عنها آثار التردد والجمود، دون أن نتخلى عن أى من الثوابت الراسخة لديانتنا السمحاء ولسيرة رسولنا الكريم ﷺ.

فأمتنا الإسلامية أمة ذات ثقافة متميزة لها تاريخها العريق، وإسهامها المعروف فى بناء الحضارة الإنسانية والنهوض بها عبر عصور التاريخ. كما قدمت ثقافتنا الإسلامية الكثير من الأسس والمبادئ التى اتخذتها وتتخذها الشعوب والأمم أساسا للتطوير.

فمفاهيم التعددية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان كانت ـ وستظل ـ أسسا راسخة لشريعتنا الغراء، نطبقها بما يتفق مع الخصوصيات الذاتية

لكل مجتمع من مجتمعاتنا، وبما يتواءم مع القيم الرفيعة والمبادئ السامية التى قامت عليها ديانتنا السمحاء، مما يعظم من إيجابياتها، ويحول دون تأثير سلبياتها على شعوبنا ومجتمعاتنا.

ويقتضى ذلك منا قدرا متزايدا من الانفتاح على العالم من حولنا، على أسس من الندية والسعى لتحقيق المصلحة المشتركة، وأن ندفع عن أنفسنا التهم الباطلة بالإرهاب والتطرف، وأن نؤكد مفاهيم السماحة والاعتدال التى تقوم عليها علاقاتنا مع سائر الأمم، فى إطار من التوازن والمساواة فى الحقوق والواجبات.

ولذا، فإن التطورات المأساوية التى تمر بها عملية السلام فى الشرق الأوسط والأوضاع المثيرة للقلق فى العراق الشقيق، تقتضى من أمتنا الإسلامية جهدا مضاعفا ووحدة أقوى تأثيرا، للتصدى للمحاولات الرامية إلى تغيير وضع القدس الشريف، من خلال ضمانات تكفل محاصرته بالمستوطنات الإسرائيلية، وتضعف من موقف المفاوض الفلسطينى فى مفاوضات الحل النهائى حول قضايا جوهرية كالحدود واللاجئين والقدس.. وللتصدى كذلك للمحاولات الرامية لتجريد العراق من عروبته وإسلاميته، ولزرع بذور الشقاق والفرقة بين طوائفه ومذاهبه، ولجعله بؤرة للصراع بين المذاهب المختلفة لديانتنا الإسلامية السمحاء.

الإخوة والأخوات:

إن ندائى بوحدة العالم الإسلامى فى التعامل مع قضاياه لا يقتصر على الوحدة بين دوله فحسب، وإنما يمتد إلى آفاق أخرى.

وحدة تجمع بين أبناء الشعب الفلسطينى الشقيق، بطوائفه المختلفة ومنظماته وحركاته، تقود إلى رؤية سياسية أكثر وضوحا، وعمل أكثر تنظيما وأشد تأثيرا، ينهى الاحتلال، ويحقق أمله وأملنا جميعا فى إقامة دولة فلسطينية مستقلة على أسس من الشرعية الدولية.

وحدة تجمع بين أبناء الشعب العراقى الشقيق، تقضى على ما سببه الاحتلال فيه من شقاق وفرقة بين طوائف المسلمين، حتى يعود العراق مستقلا قويا معافى، يسود الوئام بين كل أرجائه وجنباته.

لابد من الدفاع عن أنفسنا ضد التهم الباطلة من الإرهاب والتطرف والتأكيد على سماحة الإسلام

وحدة تجمع بين دول العالم الإسلامى، فى الدفاع عن مقدساتنا الإسلامية بالحق، وفى التصدى لما تتعرض له الأمة من أخطار، ولما يلصق بها وبأبنائها من اتهامات، وفى تحقيق مصالحها المشروعة مع جميع الدول ومختلف المجتمعات، فى إطار من الندية والمساواة، يحقق ما تصبو إليه شعوبنا من رفعة وتقدم، وما تتطلع إليه من سلام وأمن واستقرار.

ندعو الله أن يوفقنا لتحقيق ما تصبو إليه أمتنا الإسلامية من وحدة وقوة، وأن يعيننا على تحقيق آمال شعوبنا الإسلامية والعربية فى مستقبل أفضل مزهر بإذن الله.

والله الموفق والمستعان.

الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف:

الإسلام أساسه التسامح مع التائب عن أخطائه

فى الكلمة التى ألقاها فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر - أكد على أن الإسلام أساسه التسامح مع المخطئين التائبين عن أخطائهم وأن رسولنا الكريم جاء بشريعة تأمر أتباعها أن يقاوموا الظلم حتى يندحر وأن يقفوا إلى جانب المظلوم حتى ينتصر وقال فيها:

الحمد لله رب العاملين والصلاة والسلام على سيدنا وشفيعنا رسول الله ومن والاه..

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعا مع سيادته لما يحبه ويرضاه..

الحفل الكريم.. نحن الآن فى شهر ربيع الأول، فى الشهر الذى شرفت فيه الإنسانية بميلاد سيدنا رسول الله ﷺ فى الشهر الذى أرسل الله رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴿يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ الأحزاب: الأيتان ٤٥، ٤٦.

لقد جاء سيدنا رسول الله ﷺ من عند ربه بشريعة هذه الشريعة وصف الله ـ عز وجل ـ كتابها بالنور المبين **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين* يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾** المائدة: الآيتان ١٥، ١٦.

وصف الله عز وجل رسوله بأن طاعته من طاعة الله عز وجل **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾** النساء: آية ٨٠.

وصف الخالق عز وجل رسوله ﷺ بأن اتباعه يؤدى إلى محبة الله عز وجل **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾** آل عمران: آية ٣١.

ولقد جاء سيدنا رسول الله ﷺ بالشريعة التى كان من أهم مقاصدها رعاية مصالح الناس فى كل زمان وفى كل مكان فحيثما تكون المصلحة يكون حكمها وحيثما تنتفى المصلحة ينتفى حكمها.

شريعة اليسر والسماحة:

جاء سيدنا رسول الله ﷺ بشريعة تقوم أحكامها على اليسر لا على العسر.. على السعة لا على التشاؤم.. على الفطرة السمحاء ليس على العصبية العمياء.. ويكفى للدلالة على ذلك قول الله عز وجل: **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** البقرة: آية ١٨٥. و**﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾** النساء: آية ٢٨. وجاءت شريعة الإسلام ووصف سيدنا رسول الله ﷺ الذى جاء بها بأنه **«ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما»**.

جاء ﷺ إلى الناس من عند ربه بشريعة تقوم أحكامها على صيانة النفوس وصيانة الأموال وصيانة الأعراض ويكفى أن هذه الشريعة اعتبرت من يقتل نفسا واحدة ظلما وعدوانا فكأنما قتل الناس جميعا.. ومن ينقذ نفسا إنسانية بأن يتسبب فى إنقاذها فكأنه قد أنقذ الناس جميعا.

(من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير

نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا... ومن أحياها «أى ومن تسبب فى إحيائها» **فكأنما أحيا الناس جميعا).**

شريعة تتسامح مع المخطئ

وجاء سيدنا رسول الله ﷺ بشريعة تقوم أحكامها على التسامح مع المخطئ الذى يعترف بخطئه ثم يتوب إلى الله سبحانه وتعالى توبة صادقة ثم يرد المظالم إلى أهلها.

﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما* يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا* إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما﴾ الفرقان: الآيات ٦٨ ـ٧٠.

الشريعة السمحاء لا تتسامح مع الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون

هذه الشريعة السمحاء لا تتسامح مع الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون.. مع الذين يرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن عن إصرار وعن تعمد مع الذين يحاربون كل ماهو حق وخير ويناصرون كل ماهو باطل وشر مع الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ويقطعون ما أمر الله سبحانه وتعالى به أن يوصل.

وهؤلاء هم الذين قال الله عز وجل فى شأنهم: **﴿سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾** الأعراف: آية ١٤٦.

شريعة تصون كرامة الإنسان:

جاء سيدنا رسول الله ﷺ بشريعة.. هذه الشريعة تصون كرامة الإنسان وتصون أعراض الناس، تصونهم عن كل ما يلحق الأذى بهم، تصون الرجال وتصون النساء وتحمى أعراضهم من الإساءة إليها: **﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون* إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾** النور: الآيتان ٤، ٥.

فالآية الأولى تذكر ثلاث عقوبات: عقوبة حسية **﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾**، عقوبة معنوية: **﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا﴾**، انبذوهم من المجتمع نبذ النواة، والثالثة عقوبة دينية: **﴿وأولئك هم الفاسقون﴾** الخارجون عن حدود الله والخارجون عن كل ما جاءت به الأديان السماوية والعقول الإنسانية.

جاء سيدنا رسول الله ﷺ بشريعة لحمتها وسداها العدل، العدل فى الأقوال **﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾** العدل فى الأحكام **﴿وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾** والعدل مع العدو ومع الصديق **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾** المائدة: آية ٨.

جاء سيدنا رسول الله ﷺ بشريعة تأمر أتباعها أن يقاوموا الظلم حتى يندحر وأن يقفوا إلى جانب المظلوم حتى ينتصر ومن أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ لنصرة المظلوم **«من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام».**

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعا معه لما يحبه ويرضاه.. هذه بعض حقائق عن شريعة الإسلام التى جاء بها سيدنا رسول الله ﷺ والذى كان ميلاده ﷺ تجديدا لميلاد الزمان، تجديدا لميلاد المكان، تجديدا لميلاد الإنسان.

وزير الأوقاف فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف:

صحيفة المدينة أقرت حقوق الإنسان منذ ١٤ قرنا من الزمان وأقرت مبادئ الديمقراطية والتعددية الدينية والحضارية

ألقى الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية كلمة خلال الحفل أكد فيها أن الأمة الإسلامية وهى تحتفل بذكرى مولد الرسول ﷺ مطالبة بالاسترشاد بهديه ومنهجه فى إقرار مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان والتعددية الدينية والحضارية دون انغلاق عما لدى الآخرين من معارف وثقافات مشيرا إلى أن الإسلام دين ينادى بالتحديث والتطوير ومواكبة روح العصر ويقوم على التسامح والإخاء والتراحم وعدم الإضرار بالغير. وأضاف أن الظروف التى تمر بها الأمة الإسلامية تحتاج منا ـ نحن المسلمين ـ إلى مزيد من الحكمة ومزيد من المنطلق للتعامل معها..

قال سيادته:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ صدق الله العظيم

السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك
رئيس الجمهورية

الحفل الكريم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

إن احتفال الأمة الإسلامية بذكرى المولد النبوى الشريف فى ظل الظروف الراهنة لا يجوز له أن يكون احتفالا عاديا تقليديا كما هو الحال فى كثير من المناسبات. ولن يكون لهذا الاحتفال أى معنى إلا إذا تم استخلاص الدروس والعبر من هذه الذكرى والاستفادة من هذه الدروس فى مسيرة الأمة نحو نهضتها وتقدمها والحفاظ على هويتها الحضارية.

وإن نظرة فاحصة فى أحوال الأمة الإسلامية وما يحيط بها من تطورات وما يراد أن يفرض عليها من خارجها من إصلاحات ترينا مدى الأهمية البالغة لاستخلاص دروس غالية من هذه الذكرى العطرة وتوظيفها فى المسيرة الحاضرة والمستقبلية لهذه الأمة.

فإذا كنا مأمورين طبقا للآية الكريمة التى أشرنا إليها بأن نقتدى بصاحب الذكرى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإننا نود أن نشير فى هذا الصدد إلى بعض هذه الدروس الغالية من السيرة النبوية التى تحتاجها الأمة الإسلامية اليوم أكثر من أى وقت مضى فى مسيرتها المعاصرة لمواجهة ما يراد فرضه عليها من وصفات جاهزة للإصلاح.

إن ما يسترعى الانتباه فى هذا الصدد ما فعله النبى ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة المنورة فقد أعلن وثيقة بالغة الأهمية عرفت بصحيفة المدينة قرر فيها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان حقوق الإنسان الأساسية بما تتضمنه من حرية العقيدة

وحرية الرأى وحرمة الأنفس والأموال وتحريم الجريمة وأقر فيها التعددية الدينية والثقافية وجعل من جميع سكان المدينة على اختلاف معتقداتهم عناصر أساسية لتكوين المجتمع الجديد الذى يتمتع فيه الجميع بنفس الحقوق والواجبات دون تمييز بين الأفراد إلا بالتقوى والعمل الصالح.

وعندما اضطر المسلمون للدخول فى حرب للدفاع عن أوطانهم وحرماتهم وجدنا النبى - عليه الصلاة والسلام - يقرر حقوقا للإنسان فى زمن الحرب تقضى بأنه لا يجوز للمسلمين أن يقتلوا شيخا فانيا أو طفلا أو امرأة أو رجلا غير محارب(1) ولا يجوز لهم أن يهدموا بيتا من بيوت العبادة لأعدائهم أو يزعجوا راهبا يتعبد فى صومعته كما يجب عليهم الحفاظ على حرمة الموتى.

كما لا يجوز لهم أن يقتلعوا الأشجار المورقة أو يلوثوا المياه الجارية وفضلا عن ذلك فإن تعاليم الإسلام لم تنس حقوق الحيوان فأكدت عليها وبينت أن الله يمنح رضاه ورحمته لمن رحمها وحافظ عليها.

السيد الرئيس:

إن الأمة الإسلامية إذا كان لديها هذا الرصيد الدينى والحضارى العظيم فإنها ليست فى حاجة إلى جهات خارجية لمطالبتها بها أو فرضها عليها بشكل من الأشكال. والمطلوب من الأمة أن تنشط ذاكرتها وتلتفت إلى ما لديها من قيم رائعة نسيتها أو تناستها منذ قرون التراجع الحضارى التى مرت بها.

إن النموذج الإصلاحى إذن ماثل أمامنا فى أسسه الرئيسية وفى متناول اليد. والأمة الإسلامية حين تحتفل بذكرى المولد النبوى مطالبة بالاسترشاد بهذا النموذج فى إقرار مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان والتعددية الدينية والحضارية دون انغلاق عما لدى الآخرين من معارف وثقافات. فالتعرف على ما لدى الآخرين من ثقافات يعد واجبا شرعيا. كما قرر الفيلسوف العظيم ابن رشد - والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فى أى مكان أخذها. كما قال النبى عليه الصلاة والسلام -.

وإذا كان البعض قد أساء إلى هذا النموذج الإصلاحى وجعل من الإسلام غطاء لتجاوز كل هذه المبادئ الأمر الذى جعل الإعلام الدولى يتهم الإسلام بمعاداته لحقوق الإنسان. فإن الإسلام برئ من أى ممارسات خاطئة لمبادئه. فلا سند لهذه المزاعم فى مصادر الإسلام الأساسية.

رصيد الأمة الإسلامية الدينى والحضارى يغنيها عن النماذج الإصلاحية الوافدة من الخارج

فالإسلام. كما أكدتم يا سيادة الرئيس فى خطابكم الشامل فى مؤتمر «الإصلاح العربى» بالإسكندرية منذ أسابيع قليلة. دين ينادى بالتحديث والتطوير ومواكبة روح العصر ويقوم على التسامح والإخاء والتراحم وعدم الإضرار بالغير إلا دفاعا عن النفس .ومن هنا طالبتم المجتمع الدولى بعدم التعامل مع الثقافة الإسلامية على أنها ثقافة للتطرف والعنف وإنما كثقافة للتعاون والمشاركة لتحقيق المصالح فى إطار من الندية والحفاظ على الحقوق والالتزام بالواجبات.

السيد الرئيس:

وفى إطار تجديد الخطاب الدينى على المستويين الداخلى والخارجى وإبراز قيم الإسلام النبيلة جاء موضوع المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى انتهت أعماله منذ يومين برعاية كريمة من سيادتكم تحت عنوان **«التسامح فى الحضارة الإسلامية»** لإبراز ما يتميز به الإسلام من

الإسلام يدعو إلى التطوير والتجديد والتحديث ويأمر بالتسامح والإخاء والتراحم مع الغير

تسامح منقطع النظير على جميع المستويات على مدى تاريخه كله .وذلك للتصدى لموجة الاتهامات التى تكال ضد الإسلام من تحريض على العدوان والعنف والإرهاب. ونأمل أن يسهم ذلك بصورة إيجابية فى إزالة الكثير من الأحكام المسبقة وتصحيح المفاهيم الخاطئة والأفكار المغلوطة فى أذهان غير المسلمين فى مختلف دول العالم وأن يسهم أيضا فى تذكير المسلمين أنفسهم بقيم الإسلام التى كانت أساس حضارته .فهذا الجانب من جوانب الحضارة الإسلامية لم يأخذ حقه كاملا فى إطار التعريف بالإسلام. فالإسلام ليس فقط عقيدة وشريعة وإنما هو بالإضافة إلى ذلك أخلاق وحضارة. وهذا هو ما يجب أن يستقر فى أذهان المسلمين وغير المسلمين على السواء.

إن قضية التغيير والتطوير دعا إليها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .ولكنه نبه إلى أمر هام وهو ضرورة أن ينبع هذا التغيير من الداخل .وفى ذلك يقول القرآن الكريم **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** وهذا ما يجب على دعاة التغيير من خارج الأمة الإسلامية أن يفهموه ويدركوا أبعاده قبل أن يتحدثوا عن تصوراتهم للتغيير بعيدا عن نفسية الشعوب وظروفها الدينية والاجتماعية والاقتصادية فتجاهل ذلك كله يدل على فهم قاصر وجهل واضح بالأمة الإسلامية الأمر الذى يؤدى إلى فشل ذريع لكل صيغ الإصلاح المقترحة من خارج هذه الأمة.

السيد الرئيس:

ومن منطلق الرسالة التى تضطلع بها وزارة الأوقاف للتوعية الدينية السليمة بمشكلات المجتمع والاهتمام بقضايا الأمة فى إطار تجديد الخطاب الدينى قامت الوزارة بالإسهام فى التصدى لواحدة من أهم قضايا المجتمع وهى قضية الانفلات السكانى. وفى هذا الصدد أصدرت الوزارة سلسلة من الرسائل حول تنظيم الأسرة فى الإسلام وقامت بطبع أكثر من مائة ألف نسخة من كتاب يضم هذه الرسائل تم توزيعها على نطاق واسع فى جميع أنحاء الجمهورية وأعدت الوزارة دورة خاصة لعدد كبير من الدعاة حول قضية تنظيم الأسرة ويقوم هؤلاء بعملهم حاليا فى كافة المحافظات لإقناع المواطنين بأهمية هذه القضية وتوعيتهم بأبعادها ورأى الدين فيها وفقا لبرنامج يستمر مدة عام كامل. كما خصصت الوزارة خطبة الجمعة قبل الماضية فى جميع مساجد الجمهورية للتوعية بقضية تنظيم الأسرة وجعلت الوزارة من موضوع تنظيم الأسرة أحد أهم موضوعات المسابقة الدينية الثقافية التى أجرتها الوزارة للشباب هذا العام. وسيتشرف الفائزون منهم بتلقى جوائزهم اليوم من سيادتكم. وتقوم الوزارة فى ذلك كله بالتنسيق والتعاون مع كل الوزارات المعنية وفى مقدمتها وزارة الصحة والسكان والإعلام والشئون الاجتماعية والتربية والتعليم والتنمية المحلية وغيرها.

السيد الرئيس:

إن الظروف الراهنة التى تمر بها الأمة الإسلامية ظروف فريدة من نوعها. وتحتاج منا - نحن المسلمين - إلى مزيد من الحكمة ومزيد من المنطق للتعامل معها .ولم يعد هناك مجال لبناء المواقف على العواطف الجياشة والانفعالات العاطفية الوقتية.

والأمل الكبير معقود على ما تتمتعون به من حكمة ورؤية ثاقبة للأمور وتقدير صائب للمتغيرات.

نسأل الله أن يسدد على طريق الحق والخير خطاكم وأن يحفظكم لمصر ولأمتكم العربية وأن يحفظ مصر بكم للسير بها فى طريق عزتها وكرامتها وتقدمها .

وكل عام وأنتم بخير..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

هامش:

١ - راجع سنن أبى داود رقم ٢٦١٤ الجهاد باب ٨٢ .

هدية مصر للعالم الإسلامى

موسوعة أعلام الفكر الإسلامى

الرئيس مبارك يتسلم موسوعة أعلام الفكر الإسلامى هدية وزارة الأوقاف يقدمها الدكتور محمود حمدى زقزوق

تسلم الرئيس محمد حسنى مبارك هدية مصر للعالم الإسلامى - موسوعة الفكر الإسلامى - ذلك المجلد الكبير الذى يضم مشاهير وأعلام الفكر الإسلامى فى جميع المجالات العلمية والفلسفية والدينية.

سلم الهدية للرئيس خلال الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وقال السيد الوزير أن المجلد ضخم وهو من إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وقد أمر الرئيس محمد حسنى مبارك بتوزيعه على سفارات مصر ومراكزها الإسلامية والثقافية بالخارج ليوزع على المسلمين وغير المسلمين بدول العالم حتى يتم نشر إسهام المسلمين فى صنع الحضارة العالمية على أوسع نطاق ولمواجهة ما يشاع ظلما وافتراء ضد الإسلام خاصة وأن مولد ذكرى الرسول ﷺ قد واكب الاحتفال بالمؤتمر الإسلامى الذى يعقد بالقاهرة سنويا.

الرئيس يقلد أوسمة العلوم والفنون لثمانية علماء خدموا الإسلام

الرئيس مبارك يسلم مستشار ملك المغرب وسام العلوم والفنون

فى إطار حرص مصر على تكريم العلماء ورجال الفكر الذين قدموا عطاء متميزا فى خدمة الدعوة الإسلامية قلد الرئيس مبارك خلال الحفل ثمانية من علماء الإسلام الذين أثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفاتهم من مصر والخارج وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى والعلماء المكرمون من خارج مصر:

- الدكتور محمد عبدالرءوف زيادة ـ وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بسوريا.
- الدكتور عباس الجيرارى ـ مستشار جلالة الملك محمد السادس عاهل المملكة المغربية.

أما العلماء الستة الذين أثروا المكتبة الإسلامية فى الداخل وقضوا حياتهم فى خدمة الدعوة الإسلامية فى مصر من الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف هم:

- فضيلة الشيخ محمد عبدالغنى عاشور ـ وكيل الأزهر السابق، ووكيل أول وزارة شئون الأزهر الأسبق.
- فضيلة الشيخ عبدالحميد عبدالله شومان ـ وكيل الوزارة ومدير مديرية أوقاف الغربية السابق.
- فضيلة الشيخ محمد عبدالبارى عبدالفتاح ـ وكيل الوزارة ومدير مديرية أوقاف القاهرة السابق.
- فضيلة الشيخ محمد محمد إبراهيم عبدالصادق وكيل الوزارة ومدير مديرية أوقاف سوهاج السابق.
- فضيلة الشيخ أحمد على أحمد الأمير ـ وكيل الوزارة ومدير مديرية أوقاف قنا السابق.
- فضيلة الشيخ سيد عبدالعال القبيصى ـ نقيب الدعاة السابق وشيخ مسجد السلطان أبو العلا بالقاهرة السابق.

الفائزون فى المسابقة الدينية والثقافية

الرئيس مبارك يسلم جائزة حفظ الحديث الشريف لمحمد الشافعى بكلية الشرطة

كرم الرئيس محمد حسنى مبارك خلال احتفال وزارة الأوقاف بالمولد النبوى الشريف ثمانية من طلاب وشباب مصر الفائزين فى المسابقة الثقافية والدينية الكبرى التى نظمتها وزارة الأوقاف.

وفاز فيها أكثر من ٥٠٠ متسابق كرم الرئيس مبارك الفائزين بمنحهم الجوائز المالية التى تتراوح بين سبعة وأربعة آلاف جنيه.

الفائزون فى مسابقة الحديث وجوائزها أربعة آلاف جنيه لكل من:

● جهاد جمال عبده السحراوى ـ طالبة بالصف الثالث الإعدادى ببورسعيد.

● مصطفى عبدالفتاح سيد طالب بالسنة النهائية بالكلية الحربية.

● محمود محمد السيد الشافعى الطالب بكلية الشرطة.

الفائزون فى الأبحاث الدينية وجوائزها سبعة آلاف جنيه لكل من:

● نجوى إبراهيم عبدالرازق الدحلب ـ صحفية تحت التمرين بجريدة الجمهورية.

● عمرو سيد عبدالفتاح ربيع ـ باحث بجهاز شئون البيئة بالفيوم.

● شامة مرسى عبدالله أباظة ـ أخصائية إعلام بمدرسة غزالة بالشرقية.

● ربيع محمد عبدالنبى إسماعيل جوهر ـ حاصل على ليسانس آداب وتربية من جامعة المنصورة.

تابع الاحتفال: سعيد صالحة
جليلة أحمد حلمى

وقائع
المؤتمر العام السادس عشر
للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

«السماحة فى الحضارة الإسلامية»

المنعقد بالقاهرة

فى

الفترة من

٨ إلى ١١ ربيع الأول ١٤٢٥هـ

٢٨ أبريل - ١ مايو ٢٠٠٤م

تحت رعاية

السيد الرئيس

محمد حسنى مبارك

متابعة وإعداد
منير بيومى - مصطفى إبراهيم خيان
تصوير: سيد الزفزاف

وقائع المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

«التسامح فى الحضارة الإسلامية»

الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العام السادس عشر

التسامح هو أحد روافد القيم النبيلة والمبادئ الرفيعة لنبع الإسلام الصافى الذى غير مجرى الحياة على الأرض وهو تاج من العطاء النبيل مرصع بكل معانى الإنسانية والرحمة يزين رأس الحضارة الإسلامية الغراء بما حفظه لنا التاريخ من أنبل صور العفو والتسامح التى تتضاءل أمامها كل صور التسامح التى عرفتها البشرية.

فالحضارة الإسلامية التى انطلقت من تعاليم الإسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان قد ضربت أروع الأمثلة فى التسامح والتعايش الإيجابى بين الأمم والشعوب من مختلف الحضارات والثقافات والأديان والأجناس، ولاتزال هذه التعاليم الإسلامية حية وقادرة على صقل عقل الأمة وتوجيه سلوكها وتعاملها مع كل البشر فى كل زمان ومكان.

ونظرا لأن الإعلام الدولى ـ عن جهل أو سوء قصد ـ قد نشر صورا سلبية عن الإسلام وتعاليمه وحضارته فكان لابد للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يتصدى للرد على هذه الدعاوى الظالمة لا من موقف اعتذارى، فليس لدى الإسلام مايعتذر عنه فى هذا الموضوع، ولكن من منطلق مسئولية المجلس فى الرد على ما يثار ضد الإسلام من دعاوى باطلة، وإبراز قيم الإسلام وتعاليمه التى يمثل التسامح فيها مكان الصدارة، ليس على مستوى المبادئ فحسب وإنما على مستوى التطبيق العملى الذى يشهد به التاريخ.

ومن هذا المنطلق اختار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يكون موضوع مؤتمره العام السادس عشر بعنوان: «التسامح فى الحضارة الإسلامية» ليكشف عن الوجه المشرق للحضارة الإسلامية من ناحية، ويبطل المزاعم الكاذبة التى يروج لها البعض ضد الإسلام وحضارته من ناحية أخرى، وليبين للجميع أنه لا غنى لعالمنا الباحث عن السلام من التعاون الوثيق مع الإسلام من ناحية ثالثة.

وصرح الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن هذا المؤتمر قد أصبح علامة مضيئة فى تاريخ الأمة الإسلامية لما يدور فيه من مناقشات بناءة وحوارات مثمرة، وما ينتهى إليه من توصيات مهمة تكون بمثابة معالم تضىء الطريق للأمة للخروج من أزماتها ووضعها على الطريق الصحيح لتمارس دورها وتأخذ مكانها اللائق بين الأمم.

وتأتى رعاية الرئيس مبارك لهذا المؤتمر تأكيدا لدور مصر بلد الأزهر الشريف فى حمل لواء الإسلام واستشعار الأخطار المحدقة بالأمة والتصدى لهمومها وتحدياتها التى تهدد مستقبلها وكيانها، واعترافا بمسئولية مصر المتواصلة فى لم شمل الأمة لتوحيد صفوفها وكلمتها خاصة فى الأزمات العصيبة.

محاور المؤتمر

ناقشت جلسات المؤتمر موضوع «التسامح فى الحضارة الإسلامية» فى الفترة من ١١/٨ ربيع الأول ١٤٢٥هـ الموافق ٢٨ أبريل ـ ١ مايو ٢٠٠٤م فى ثلاثة محاور:

المحور الأول: التسامح الإسلامى بين النظرية والتطبيق:

١ ـ النصوص الدينية من الكتاب والسنة.

٢ ـ التطبيقات العملية فى التاريخ الإسلامى:

أ ـ التسامح الدينى.

ب ـ التسامح الحضارى (التفاعل المتبادل والتواصل بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى).

جـ ـ نماذج تاريخية من التسامح الإسلامى:

ـ صحيفة المدينة ـ صحيفة نجران ـ التسامح فى فتح مكة ـ العهدة العمرية ـ صلاح الدين ومعاملة الصليبيين ـ عهد محمد الفاتح لأهالى القسطنطينية ـ دستور حكم مدينة القدس.

المحور الثانى: الإسلام والآخر فى العلاقات الدولية:

١ ـ التعددية الدينية فى المجتمع الإسلامى.

٢ ـ أوضاع المسلمين فى المجتمعات غير الإسلامية.

٣ ـ أوضاع غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى.

٤ ـ موقف المسلمين من العالم:

أ ـ الدول (دار الحرب ودار الإسلام ودار العهد).

ب ـ الاتفاقيات والمنظمات الدولية.

جـ ـ التكنولوجيا والتقدم العلمى وأسلحة الدمار الشامل.

د ـ التعاون الإسلامى من أجل سلام العالم.

المحور الثالث: التسامح الإسلامى بين الحقيقة والافتراء:

١ ـ الجهاد وأخلاقيات الحرب فى الإسلام.

٢ ـ موقف الإسلام من الإرهاب.

٣ ـ حقوق الإنسان فى الإسلام:

أ ـ حرية العقيدة.

ب ـ حرية التعبير.

جـ ـ حقوق المرأة فى الإسلام.

د ـ الديمقراطية.

فى الجلسة الافتتاحية وجه الرئيس محمد حسنى مبارك ـ رئيس الجمهورية ـ كلمة إلى المؤتمر ألقاها نيابة عن سيادته الدكتور عاطف عبيد ـ رئيس مجلس الوزراء ـ أكد فيها أن التحديات التى تواجه الأمة الإسلامية كثيرة ومتعددة ويمكن القول إن على رأس هذه التحديات تحدى التطوير والتحديث على نحو سليم فى شتى الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وبما يتفق مع قيمنا ومعتقداتنا الراسخة التى أرساها الدين الإسلامى.

وفيما يلى نص كلمة السيد الرئيس :

الرئيس مبارك فى كلمته إلى المؤتمر:

قيمة التسامح سمة غالبة فى الحضارة الإسلامية أكدتها الشريعة منذ ظهور الإسلام

وجه الرئيس محمد حسنى مبارك كلمة إلى المؤتمر ألقاها نيابة عنه الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء أكد فيها أن التعريف بحضارة الإسلام وحضارته يعد أمرا ضروريا فى مواجهة الحملات المغرضة التى تسعى لتجريده من إنجازاته الحضارية التى سجلها التاريخ مشيرا إلى أن التفاهم بين الأمم والشعوب والتعاون المثمر بين الحضارات والأديان فيه إنقاذ للعالم من الأخطار التى تهدد أمنه واستقراره. وقال: إن مستقبل الأجيال يعد أمانة فى أعناق قادة العالم.

وجاء فى كلمة سيادته:

الإخوة والأخوات ضيوف مصر الكرام:

يسرنى أن أرحب بكم باسم مصر بلد الأزهر الشريف التى يسعدها أن تستقبلكم اليوم على أرضها وفى رحاب أزهرها للتباحث حول قضايا الأمة الإسلامية فى عصر أصبحت فيه الحاجة ماسة إلى التعريف بالإسلام وحضارته وتاريخه فى مواجهة الحملات المغرضة ضد الإسلام والمسلمين والتى تريد أن تجرده من كل ما يعتز به من إنجازات حضارية سجلها التاريخ.

ولا جدال فى أن عالمنا المعاصر فى أشد الحاجة إلى السلام والأمن والاستقرار وهذا أمر يتطلب بذل الكثير من الجهود من أجل مزيد من التفاهم بين الأمم والشعوب والاحترام المتبادل والتعاون المثمر بين الحضارات والأديان لإنقاذ هذا العالم من

د. صوفى أبو طالب يرأس إحدى جلسات المؤتمر

الأخطار التى تهدد أمنه واستقراره.

والأمر الذى يساعد على ذلك بطبيعة الحال هو الاستعداد لتفهم كل جانب لمواقف الأطراف الأخرى والتعرف عليها بصورة موضوعية وتفهم مشكلاتها وآمالها وتطلعاتها فمن شأن ذلك كله أن يعمل على إزالة الكثير من الصور الخاطئة عن كل طرف لدى الطرف الآخر.

وقد كانت الحضارة الإسلامية ولا تزال تسعى

لقاء الإسلام بالحضارات الأخرى أدى إلى تفاعل مثمر كان له أثره الواضح فى البناء الحضارى الذى تبنته الحضارة الإسلامية

لتحقيق هذه الأهداف التزاما بما قرره القرآن الكريم فى قوله: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾**.

ومن هنا كان من أولويات اهتمامات الحضارة الإسلامية التعرف على الحضارات الأخرى التى عرفها العالم عند ظهور الإسلام وفى مقدمتها الحضارات اليونانية والفارسية والهندية وغيرها من حضارات والاستفادة مما لديها من خبرات ومعارف. وذلك انطلاقا من موقف إسلامى ثابت

يتمثل فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام: **«الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فى أى مكان أخذها»** ومن قول إسلامى مأثور **«اطلبوا العلم ولو فى الصين»** الأمر الذى يحث على طلب العلم حتى ولو كان فى أبعد مكان فى الدنيا أو كان فى يد من يدينون بدين آخر.

وقد أدى الالتقاء مع كل هذه الحضارات - بالإضافة إلى الرصيد الدينى لدى المسلمين - إلى تفاعل مثمر كان له أثره فى البناء الحضارى الذى تبنته الحضارة الإسلامية. ومن هنا كان تأكيد الفيلسوف العظيم ابن رشد على أن التعرف على حضارات الآخرين يعد واجبا دينيا.

وهذا يبين لنا أن الحضارة الإسلامية كانت منذ البداية حضارة منفتحة على كل الحضارات والثقافات دون تمييز بين أى منها بسبب الجنس أو اللون أو الدين. وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد استفادت من الحضارات السابقة فإنها قدمت بعد ذلك عطاءها الحضارى الغزير إلى كل الأمم والشعوب دون أن تحجب منه شيئا إيمانا منها بأن التراث الإنسانى أخذ وعطاء وأنه لا توجد أمة عريقة فى التاريخ إلا وقد أعطت كما أخذت من هذا التراث .

الإخوة والأخوات:

لقد كانت السمة الغالبة إذن على الحضارة الإسلامية هى التسامح الذى برز فى العقيدة الإسلامية من ظهور الإسلام. ومن الأمثلة البارزة فى هذا الصدد ذلك العفو الذى أصدره النبى - عليه الصلاة والسلام - عن أهل مكة الذين آذوه وأتباعه بشتى ألوان الإيذاء والتعذيب والتجويع. فقد عفا عنهم جميعا بعد أن دخل مكة قائلا لهم: **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»**.

ومن الأمثلة البارزة على التسامح أيضا تأسيس مجتمع المدينة الذى سجلته الوثيقة التى أصدرها النبى بعد الهجرة إليها. فقد أسس مجتمعا متعدد الأديان والثقافات يتعايش فيه الجميع على قدم المساواة دون تمييز.

كما شهدت الأندلس فى العصور الوسطى الأوروبية فى ظل الحضارة الإسلامية نموذجا رائعا للتعايش السلمى والتفاعل الإيجابى بين المسلمين والمسيحيين واليهود وشهدت الحروب الصليبية نموذجا آخر تجسد فى تسامح صلاح الدين الأيوبى بعد أن استرد بيت المقدس عام ١١٨٧م فقد سجل له التاريخ تسامحه النادر مع خصومه مما لا يخفى على أى مطلع على هذا التاريخ .والأمثلة كثيرة ومتعددة تفوق الحصر.

التراث الإنسانى أخذ وعطاء ولا توجد أمة عريقة فى التاريخ إلا وأعطت كما أخذت من هذا التراث

ومع ذلك كله وغيره كثير يتضح لنا مدى حرص الإسلام على قيمة التسامح قولا وفعلا. ويؤكد ذلك فى وضوح تام أن الإسلام عندما يكون مضطرا للدخول فى حرب ضد عدوان خصومه فإنه لم يكن يكتفى برد العدوان بل نراه يتقدم خطوة هامة فى سبيل محاربة العدوان فى نفوس الأعداء علهم ينقلبون إلى أصدقاء. ويسجل القرآن ذلك فى قوله:

﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾.

وهذه الروح المتسامحة التى ظلت تسرى فى

التعصب يشعل نار الكراهية بين الأمم والشعوب ويدفع بها للانزلاق إلى أتون الحروب والنزاعات

جميع مجالات الحضارة الإسلامية كانت تتجاوز دائما دائرة المجتمع الإسلامى لتنتشر فى دوائر أوسع تسع البشرية كلها .وقد كان هذا الموقف الثابت مبنيا على أساس ما أكده القرآن الكريم من أن الناس جميعا قد خلقوا من نفس واحدة .فالكل إخوة تجمعهم رابطة الإنسانية بصرف النظر عن أعراقهم وأديانهم ولغاتهم.

الإخوة والأخوات:

إن عالمنا فى أشد الحاجة إلى التسامح أكثر من أى وقت مضى . فالتعصب والانغلاق من شأنهما تغذية نار الكراهية بين الأمم والشعوب والانزلاق إلى مزيد من الحروب والنزاعات التى تؤدى إلى التدمير العبثى لكل ما هو جميل فى هذا العالم. ونحن جميعا مسئولون عن كل ما يحدث إذا لم نبذل أقصى الجهود لمنع هذا التدمير العبثى.

ومن هنا فإن العالم مطالب بمراعاة مستقبل الأجيال الجديدة التى لم يكن لها ذنب فى أى نزاع سابق. ومن حقها علينا أن نهيئ لها الفرصة لبناء مستقبل يسود فيه التسامح بين الأفراد والجماعات.

وقد أحسن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية صنعا عندما اختار موضوع **«التسامح فى الحضارة الإسلامية»** عنوانا لمؤتمره العام السادس عشر. فقد جاء هذا الموضوع فى وقته لتذكير العالم بهذا النموذج الذى أرست الحضارة الإسلامية دعائمه والذى تتمسك به الأمة الإسلامية فى كل زمان ومكان.

ولا يجوز أن تظلم هذه الأمة بسبب وجود بعض الحمقى من بين أبنائها ممن يتصرفون على نحو مناقض لهذا التوجه الإسلامى الراسخ. فأمثال هؤلاء موجودون فى كل الأديان والحضارات. ومهمتنا مواجهة تيارات التعصب والكراهية وغرس التسامح فى كل مكان من أجل غد أكثر أمنا واستقرارا وسلاما.

من حق الأجيال الجديدة علينا أن نهيئ لها الفرصة لبناء مستقبل يسوده التسامح بين الأفراد والجماعات

الإخوة والأخوات:

إن الأمة الإسلامية تنتظر من علمائها وقادة الفكر فيها أن ينيروا لها طريقها وأن يكونوا عونا لها على التغلب على مشكلاتها والسير بها إلى آفاق النهضة والتقدم لتحتل مكانها اللائق بها بين الأمم .وإنى لعلى ثقة من أنكم ستكونون عند حسن ظن أمتكم بكم فأنتم أهل لتحمل هذه المسئولية الكبيرة بكل صدق وإخلاص.

أرجو لكم مؤتمرا ناجحا ونقاشا مثمرا وإقامة طيبة فى القاهرة..

والله يوفقكم ويسدد خطاكم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الإمام الأكبر شيخ الأزهر:

من أخلاق الحضارة الإسلامية التسامح فى الأقوال والأفعال التى يُقبل فيها التسامح

الإمام الأكبر شيخ الأزهر يلقى كلمته فى افتتاح المؤتمر

فى الكلمة التى ألقاها فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، فى افتتاح المؤتمر تعرض للأمثلة الرائعة التى ضربها الرسول ﷺ فى التسامح الحكيم الذى يعد خلقا كريما من أخلاق الإسلام مفرقا بين الأمور التى يجيز فيها الإسلام التسامح والتى لا يجوز فيها التسامح.

وجاء فى كلمة فضيلته:

الجمع الكريم..

أحييكم جميعا بتحية من عند الله مباركة طيبة وندعو الله أن يجعل هذه المجالس خالصة لوجهه الكريم وفى ميزان حسناتنا جميعا يوم نلقاه .يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله.

التسامح فى الأقوال والأفعال التى يقبل فيها التسامح خلق من أخلاق الحضارة الإسلامية. والأقوال والأفعال التى يقبل فيها التسامح هى التى يقولها أو يفعلها صاحبها عن الخطأ أو عن ظلم وعدوان ثم يندم عليها ويتوب إلى الله - سبحانه وتعالى - توبة خالصة نصوحا ويرد المظالم إلى أهلها وسيدنا وشفيعنا رسول الله ﷺ ضرب لنا أروع الأمثال فى التسامح الحكيم. التسامح الصحيح. التسامح الذى ترضاه شريعة الإسلام وترضاه

أيضا العقول الإنسانية السليمة .نقرأ سيرته ﷺ ونقرأ أوصافه فنجد أن من بين أوصافه ﷺ أنه كان لا يغضب لنفسه إلا إذا انتهكت حرمات الله .

فقد تسامح ﷺ مع أعرابى جاء إليه وهو يقسم الغنائم وقال له يا محمد أعطنى من هذا المال فهو ليس مالك ولا مال أبيك فأعطاه الرسول ﷺ وقال له: هل أرضيتك يا أعرابى قال: لا، زدنى وكرر ذلك عدة مرات إلى أن قال له الرسول ﷺ: هل أرضيتك يا أعرابى فما كان من الرجل إلا أن قال: أشهد أن هذه هى أخلاق الأنبياء.

لا شفاعة فى الحدود

تسامح الرسول ﷺ لأن المسألة كانت تتعلق بذاته هو. لكنه لم يتسامح عندما جاءه صحابى من أحب الناس إليه ليشفع فى حد من حدود الله وقال له: **«يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها».**

تسامح ﷺ عندما ذهب إلى الطائف واستُقبِل أسوأ استقبال وجلس ﷺ تحت بستان لأحد أعدائه يدعو الله ويقول: **«اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى... إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى».**

نزل سيدنا جبريل يقول له: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين - أى الجبلين - ولأن تلك الضربات توجهت إلى بدنه وإلى رأسه ﷺ قال: **«لا يا أخى جبريل لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله - عز وجل - اللهم أهدى قومى فإنهم لا يعلمون».**

لكنه ﷺ لم يتسامح عندما رأى بعض أصحابه يتكاسلون عن صلاة الجماعة وقال حديثه المشهور: **«لقد هممت أن آمر بحطب فيجمع ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ثم أخالفه إلى رجال يتخلفون عن صلاة الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم».**

تسامح الرسول ﷺ فيما يتعلق بذاته لكنه لم يتسامح فى حدٍ من حدود الله

صلح الحديبية

فما يتعلق بذاته ﷺ كان يتسامح فيه لكن ما يتعلق بحقوق الله وحقوق الناس لا يتسامح فيه.

تسامح ﷺ عندما كان فى غزوة أحد وشج وجهه الشريف وكان يتلقى الدماء وهى تقطر من وجهه يتلقاها على يده ويقول: **«كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم»** فيقول له بعض أصحابه: ادع عليهم الله فيقول: لا لأن المسألة تتعلق بذاته. لكنه لم يتسامح فى صلح الحديبية عندما أرسل سيدنا عثمان رضي الله عنه لكى يخبر المشركين أنه لم يأت لحرب وإنما أتى للعمرة وأشيع بين المسلمين أن المشركين قد قتلوا سيدنا عثمان. هنا لم يتسامح بل جمع أصحابه وقال لهم: **«بايعونى على الموت إذا كان المشركون قد اعتدوا على واحد من أصحابى بايعونى على الموت»** ونزل القرآن الكريم بعد أن بايع المسلمون نبيهم ﷺ على الموت نزل قوله تعالى: **﴿لقد رضى الله عن**

الإرهاب مرفوض فى شتى صوره وألوانه

المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾ الفتح: آية ١٨.

خلق التسامح

إن دين الإسلام هو دين التسامح والتسامح خلق من أخلاق الإسلام ولكن فى أى شىء يكون التسامح؟ يكون التسامح فى الأقوال وفى الأفعال التى يصح التسامح فيها والتى يفعلها أصحابها عن خطأ ثم يتوبون عن هذا الخطأ توبة صادقة ونجد أن دين الإسلام هو دين الرحمة الشاملة

فالله تعالى يقول: **﴿ورحمتى وسعت كل شىء﴾** الأعراف: آية ١٥٦. ولكن لمن؟ للذين هم أهل للرحمة **﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون* الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾** الأعراف: الآيتان ١٥٦، ١٥٧.

إذاً التسامح خلق من أركان الإسلام ولكن يجب أن يوضع التسامح فى موضعه.

لم يتسامح الرسول ﷺ مع أولئك الأعراب الذين جاءوا إلى المدينة وأصابهم المرض وقالوا يا رسول الله نخرج إلى خارج المدينة فاستجاب لهم الرسول ﷺ وأرسل لهم راعيا وأعطاهم إبلا وغنما لكى يعيشوا خارج المدينة. فما كان من هؤلاء اللئام بعد أن شفاهم الله إلا أن قتلوا الراعى واستاقوا الإبل والغنم. بعد هذا الغدر لم يتسامح الرسول ﷺ بل أرسل بعض أصحابه ونفذ فيهم العقوبة الرادعة العادلة لأنهم أفسدوا فى الأرض.

التوبة والندم

تلك هى شريعة الإسلام. التسامح ركن من أركانه مع الذين إذا أخطأوا ثم تابوا إلى رشدهم ومع الذين يندمون على خطئهم لكن الإسلام لا يتسامح مع الذين يخربون أوطانهم وبيوت إخوانهم ويعتدون على الآمنين يقتلون بطريقة وحشية ثم بعد ذلك عندما يقبض عليهم يدعون أنهم يتقربون بأعمالهم الإجرامية هذه إلى الله. فى حين أنهم يسعون إلى قتل الأبرياء فأى تقرب هذا ومن أين أتوا بهذا الفهم الذى يعجز الشيطان عنه.

جميع الأديان السماوية وجميع العقول تقول: إن الإرهاب - أى العدوان بشتى صوره وألوانه - عن طريق القتل والتخريب إفساد فى الأرض. كل ذلك نهى الله عنه والقرآن الكريم يقول: **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم * إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾** المائدة: الآيتان ٣٣، ٣٤.

هذا هو الإسلام فى تسامحه وفى عقوبته. وفى أحكامه وفى آدابه. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا جميعا إلى صراطه المستقيم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

البابا شنودة الثالث:

القرآن والسنة ضربا أروع الأمثلة فى التسامح مع أهل الكتاب

فى الكلمة التى ألقاها قداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية عرض لنماذج رائعة من آيات التسامح التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم والحديث الشريف مؤكدا على العلاقة الطيبة التى سادت بين حكام المسلمين وأهل الكتاب خلال عهود الإسلام المختلفة.

وقال: إن كل ما قيل من كلمات طيبة عن أهل الكتاب مما ورد ذكره فى القرآن الكريم كانت كلمات طيبة ولها تأثير كبير على تدعيم العلاقات بين المسلمين والمسيحيين.

واستشهد البابا شنودة بعدد من الآيات القرآنية والأحاديث التى وردت فى التسامح تجاه أهل الذمة موضحا أن مرحلة السلام كانت بارزة فى تاريخ الإسلام، ويؤكد ذلك العهود والمواثيق الشهيرة وفى مقدمتها الميثاق الذى أعطى لنصارى نجران ووصية الخليفة أبى بكر لأسامة بن زيد والوصية التى قالها عمر بن الخطاب والميثاق الذى أعطاه خالد بن الوليد لأهل دمشق والميثاق الذى أعطاه عمرو بن العاص لأقباط مصر. وأضاف أن كل هذه المواثيق تم فيها تأمين المسيحيين على كنائسهم وصوامعهم وأملاكهم وأرواحهم. وقال إن الإسلام جاء بمبدأ مهم أنه لا إكراه فى الدين وعدم استخدام القوة لنشر العقائد بل إن من يفعل ذلك يكون قد خرج عن تعاليم الإسلام وسماحة الإسلام.

الآيات القرآنية التى تحدثت عن أهل الكتاب كان لها آثار طيبة فى العلاقة بين المسلمين والمسيحيين

وقال: إن حكام مصر المسلمين كانوا يحتفلون مع الأقباط بأعيادهم وأن مسجد أحمد بن طولون بناه مهندس مسيحى وتوطدت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين الذين وصلوا لدرجة الوزراء فى عهد الدولة الفاطمية. كما أن الإسلام أقر مبدأ المجادلة فى أمور الدين بالتى هى أحسن.

كما دعا الإسلام إلى إعداد العدة للقتال فى حالة الحرب والتعرض للاعتداء والعدوان على الأرض والوطن ومع ذلك فإن سماحة الإسلام تدعو إلى السلم إن جنح الأعداء إليه، وفى غير ذلك يعيش المجتمع فى محبة تبرونهم وتقسطون إليهم وإن الله يحب المقسطين.

وزير الأوقاف:

حاجة العالم إلى التسامح من الأولويات التى لا غنى عنها لمواجهة طوفان التعصب والكراهية الذى يريد أن يغرق العالم فى دوامته

الإمام الأكبر شيخ الأزهر وعن يساره وزير الأوقاف

وفى كلمته التى وجهها للمؤتمر، رحب الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بضيوف المؤتمر، مؤكدا على ضرورة بذل الجهود الفائقة للدفاع عن الإسلام وحضارته التى تتعرض لحملة ضارية من التزييف، مشيرا إلى أن اختيار موضوع المؤتمر جاء لكى يكشف على نحو موضوعى عن حقيقته وتسامحه مع كل الأمم والحضارات.

قال سيادته:

سلام العالم المنشود لن يكتمل إلا إذا أقيمت موازين العدل وتحررت الشعوب من الظلم والطغيان

تشخيص أدواء الأمة

الإخوة والأخوات ضيوف مصر الكرام:

يسعدنى أن أرحب بكم أجمل ترحيب فى بلدكم الثانى مصر التى تحرص دائما على الالتقاء بكم كل عام لمناقشة قضايا أمتنا الإسلامية والإسهام بالفكر المستنير على تشخيص أدواء هذه الأمة واقتراح العلاج الأمثل لمشكلاتها على جميع

رئيسا وفد تشاد وتنزانيا فى إحدى جلسات المؤتمر

الأصعدة انطلاقا من تحمل المسئولية الملقاة على عاتقنا جميعا نحو هذه الأمة التى آن لها أن تستعيد مكانها ومكانتها الحضارية فى عالم اليوم.

تصحيح المسار

الإخوة والأخوات:

لعله من نافلة القول أن نؤكد أننا نعيش اليوم فى عالم اهتزت فيه كثير من القيم والمعايير الإنسانية المتعارف عليها منذ فجر التاريخ واختلطت فيه الأوراق وتاهت فيه فى معظم الأحيان معالم الطريق نحو قيم الحق والعدل والخير والجمال.

ولا شك فى أن الأوضاع المأساوية التى يواجهها عالمنا اليوم تحتم على عقلاء العالم ومفكريه بذل جهود فائقة فى محاولة جادة لمعالجة هذه الأوضاع وتصحيح المسار والتنبيه إلى الأخطار المحدقة بعالمنا والكشف عن الحقائق دون تزييف من أجل توعية الأمم والشعوب بحقائق الأمور وتمكين العقل الإنسانى من التعرف على الحقائق دون ضغط إعلامى موجه يسعى إلى الترويج لمفاهيم مغلوطة وأفكار خاطئة من شأنها إثارة البلبلة والسعى إلى الهيمنة على كافة المستويات انطلاقا من غرور القوة وغطرسة التعامل دون مراعاة للقيم والمعايير الإنسانية الأمر الذى ينذر بكارثة إنسانية عالمية لا يعلم مداها إلا الله.

وغير خاف على أحد أن الحضارة الإسلامية - التى انطلقت من تعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه والتى قدمت عطاء ثريا للإنسانية - تتعرض اليوم لحملة ضارية من التزييف والجحود ونكران الجميل مما يعطى للأجيال الجديدة انطباعا زائفا يلصق بهذه الحضارة كل صفات العدوان والتدمير ويجردها من كل القيم الإنسانية الرفيعة التى أرست قواعدها منذ أربعة عشر قرنا من الزمان.

دحض الاتهامات

الإخوة والأخوات:

ومن منطلق إحقاق الحق وإبطال الباطل وإقرار

الحقائق التاريخية وجدنا أن من مسئولية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مواجهة هذا التزييف المتعمد .وعندما استقر الرأى على اختيار موضوع **«التسامح فى الحضارة الإسلامية»** ليكون عنوانا للمؤتمر العام السادس عشر للمجلس لم نقصد من وراء ذلك أن نشغل أنفسنا بالرد على الاتهامات الباطلة ضد الإسلام والمسلمين وإنما أردنا أن يكشف هذا المؤتمر على نحو موضوعى عن حقيقة الإسلام وتسامحه الفريد مع كل الأمم والشعوب والحضارات والأديان .وقد جاء هذا الاختيار لموضوع المؤتمر لسببين هامين هما :

أولا : إبراز قيمة التسامح على الصعيدين النظرى والعملى فى الحضارة الإسلامية والكشف عن أنها لم تكن أبدا مجرد شعار لا مضمون له وإنما كانت وستظل واقعا معاشا له رسوخه فى العقول ومكانته فى القلوب وجذوره فى التاريخ .

ثانيا : الإسهام بقدر المستطاع فى نشر قيمة التسامح فى عالمنا الذى يتطلع إلى السلام والاستقرار .فغنى عن البيان أن نؤكد أن حاجة عالمنا المعاصر إلى التسامح تعد من الأولويات التى لا غنى عنها لمواجهة طوفان التعصب والكراهية الذى يريد أن يغرق العالم فى دوامته المدمرة لسفينة هذا العالم .

ولعل التعرف على نموذج التسامح فى الحضارة الإسلامية يكون دافعا إلى إعادة النظر فى الكثير من المفاهيم الخاطئة والأفكار المغلوطة عن الحضارة الإسلامية ويسهم بشكل إيجابى فى مزيد من التقارب والتفاهم والتعاون بين الأمم والشعوب من أجل سلام هذا العالم الذى هو عالمنا جميعا .

رصيد حضارى

الإخوة والأخوات:

ولابد لنا أن نشير فى هذا المقام إلى أنه ليس من مصلحة هذا العالم واستقراره أن تكال الاتهامات الظالمة لحضارة من الحضارات أو لأمة من الأمم .فسلام العالم لا يمكن أن يتحقق دون تضامن البشرية كلها فى السعى الجاد نحو تحقيقه. ولكن هذا السلام المنشود لن يكتمل إلا إذا أقيمت موازين العدل فى العالم وتحررت الشعوب مما تعانيه من الظلم والقهر والطغيان حتى تستطيع أن تشارك بفاعلية فى صنع السلام.

التسامح الإسلامى واقع مُعاش له رسوخه فى العقول ومكانته فى القلوب

والمسلمون الذين يشكلون أكثر من خمس سكان العالم لهم دورهم الذى لا يجوز تجاهله فى الإسهام فى بناء السلام والاستقرار فى العالم . وهم بما لديهم من رصيد حضارى يعرفه التاريخ قادرون على تحمل مسئولياتهم فى هذا السبيل .

دعم جهود السلام

وهذا المؤتمر الذى يبرز قيمة التسامح فى الحضارة الإسلامية يلفت النظر إلى أهمية إسهام المسلمين فى دعم جهود السلام والأمن والرخاء فى العالم على مدى التاريخ .

جانب من الوفود المشاركة فى المؤتمر

وإذا كان العالم يتحدث اليوم عن ثقافة السلام فإن الإسلام بتشريعاته قد رسخ هذا المفهوم فى نفوس المسلمين منذ أربعة عشر قرنا من الزمان . فالسلام اسم من أسماء الله والإسلام لفظ مشتق من نفس الأصل الذى اشتق منه السلام وتحية المسلمين هى السلام . والمسلمون يختمون صلواتهم بالسلام يمينا ويسارا خمس مرات فى اليوم والليلة الأمر الذى يرمز إلى توجه المسلمين بأمنيات السلام لنصف العالم يمينا ثم لنصفه الآخر شمالا .

الإخوة والأخوات:

نحن على يقين من أن البحوث القيمة التى ستناقش فى هذا المؤتمر سيكون لها أثرها الإيجابى فى تعديل الصورة المغلوطة عن الإسلام وحضارته وتاريخه وتعاليمه .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نعبر عن خالص الشكر وعظيم التقدير لراعى هذا المؤتمر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية الذى يحرص دائما على وضع مؤتمرات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت رعايته الشخصية إيمانا منه بالأهمية البالغة لاجتماع قادة الفكر فى العالم الإسلامى لبحث قضايا الأمة ومحاولة الخروج بها من الأوضاع الراهنة التى تعيشها إلى آفاق التقدم والرقى حتى تستعيد مكانتها الحضارية وتسهم بشكل فعال فى صنع السلام العالمى .

كما نتقدم بخالص الشكر للسيد الأستاذ الدكتور / عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء على تفضله بالمشاركة فى افتتاح هذا المؤتمر وإلقاء كلمة السيد رئيس الجمهورية .

وإذ نعبر لحضراتكم جميعا عن شكر وزارة الأوقاف المصرية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية لتلبيتكم الدعوة للمشاركة فى هذا المؤتمر ..فإننا نرجو لكم إقامة طيبة فى القاهرة وإسهاما إيجابيا فى أعمال المؤتمر .

وفقكم الله وسدد على طريق الحق والخير خطاكم..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

د. عصام البشير فى كلمة الوفود المشاركة:

الاختلاف آية من الآيات الدالة على قدرة الله وحكمته

د. عصام البشير وزير أوقاف السودان يلقى كلمة الوفود

فى الكلمة التى ألقاها وزير الأوقاف السودانى د. عصام البشير باسم الوفود أكد على أن التسامح قيمة حضارية عظيمة تنبثق من روح الرحمة التى اتصف بها رسول الإسلام محمد ﷺ ووسعت كافة البشر، بل وكافة الخلق، مؤكدا على ضرورة تجديد التسامح بيننا فى إطار الحوار مع الذات وعلى عدم الانكفاء على الماضى وترديد أمجاد الأسلاف.

وجاء فى حديثه:

يقولون إن اللغة أداة البيان ويقولون إن اللغة بريد القلوب. بيد أن من المقام ما يكون عصيا على الكلام والصمت فيه أبلغ فإذا كان فى النطق فكرة ففى الصمت عبرة.

ولعل أكبر عبرة هذه الكوكبة النيرة التى تحتشد فى هذا المؤتمر.

إذا كان الكل يتشوق إلى عقد هذا اللقاء فى رحاب مصر التاريخ .مصر الحضارة. مصر العطاء. مصر الثقافة. والعلم مصر الرمزية. فلابد لى من أن أسجل الشكر باسم الوفود المشاركة على هذه البشاشة المعهودة فى مصر رئيسا وحكومة وشعبا ومعالى الأستاذ الدكتور العالم المفكر/ محمود حمدى زقزوق على كرم الوفادة ولا يسعنى إلا أن أقول كما قال الشاعر

العربى مستشهدا به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار مؤاخاة كانت تستوجب التوارث بعد الموت إلا أن ذلك نسخ بقوله تعالى: **﴿.. وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله﴾** الأنفال: آية ٧٥.. فقام الصديق وقال جزاكم عنا معشر الأنصار خيرا.

فوالله ما مثلنا وما مثلكم إلا كمثل طفيل الغنوى إذ يقول:

جزى الله جعفرا.

رحمته وسعت الجميع

وموضوع المؤتمر حول «التسامح» والتسامح قيمة حضارية هى تنبثق من روح الرحمة التى كانت صفة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** هذه الرحمة التى وسعت المسلم وغير المسلم وسعت الكون والبيئة وسعت الحيوان الأعجم والنبات الأخضر والحيوان الأعجم.

التناغم والتناسق

وهذا المجتمع يعيش فى رحلة تناغم وتناسق انطلاقا منه إيمانا بالتعددية الدينية والتعددية الحضارية والتعددية التشريعية والتعددية الثقافية والتعددية الفكرية لأن الله شاءت حكمته أن تكون الأحادية هى للذات الإلهية وما دون ذلك إنما تكون للتنوع والاختلاف **﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾** الروم: آية ٢٢.

هذا الاختلاف هو من الآيات الدالة على حكمة الله وقدرته لتحول اختلاف التضاد والتشاحن إلى اختلاف التعاون ليكون ثمرة ذلك التعارف ولنؤكد قاعدة التسامح على وحدة الأصل الإنسانى: **«كلكم لآدم وآدم من تراب»** وعلى احترام الكرامة الآدمية: **﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾** الإسراء: آية ٧٠، وعلى قاعدتى البر والقسط: **﴿أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾** الممتحنة: آية ٨، وعلى قاعدة المجادلة بالتى هى أحسن وعلى قاعدة القاسم المشترك إحياء فقه الأرضية الجامعة التى نلتقى عليها فى إطار أمة الإجابة وفى إطار أمة الدعوة.

قبل أن نطرح التسامح مع الآخر علينا أن نجدد التسامح فى إطار الحوار مع الذات

لا للانكفاء على الذات

إذ إننا فى منتدى عالمى إنسانى ليس هناك من سبيل من أن ننكفئ على أنفسنا أو أن نتقوقع على ذاتنا لابد من أن نحقق الفاعلية الإيجابية وذلك تحت شعار **«الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها»**.

هذا يمثل الإطار النظرى لمبدأ التسامح. فإن أمتنا قد حققت هذا الإطار النظرى مدلولا واقعيا معاشا على أرض الواقع بدءا من صحيفة المدينة ودستور المدينة الذى حقق التعايش بين أهل الملل والنحل والأديان فى إطار المواطنة: **«لهم ما لنا وعليهم ما علينا من الحقوق والواجبات»**، ورأينا فى العهدة العمرية ما يمثل ذلك على أرض الواقع. ولكن نعيش اليوم مخاضا عسيرا.

إن التسامح اليوم قبل أن نطرحه فى حوارنا مع

وفود من أذربيجان وأريتريا وموريتانيا واستراليا

الآخر نحتاج إلى أن نجدد التسامح فى إطار الحوار مع الذات. هذا الحوار مع الذات الذى نشأت فيه كثير من بؤر الاحتقان والتوتر الفكرى والاجتماعى والاقتصادى وحوّل أمتنا إلى شتات أدى إلى ذهاب الريح والقوة وأغرى عدونا بنا.

فنحتاج أولا إلى أن نحقق الحوار مع الذات والتسامح مع الذات. وهذا يحتاج أن ننأى عن أنفسنا بجملة من تيارات الفكر الإسلامى المعاصر: منها التيار الانتحارى ومنها التيار الانكفائى ومنها التيار الاجترارى. فالتيار الانتحارى الذى انتقل من دائرة التكفير إلى دائرة التفجير. يكفر المخالف ويضلله ويفسقه ويجهله ولو كان الاختلاف فى موارد الاجتهاد وفى فروع المسائل وفى الظنيات لأدى هذا التكفير إلى أن ينتقل إلى التفجير الذى غدت إلى أوطاننا ودولنا وشعوبنا تعانى من جرائه ما يروع الآمنين بسفك الدماء ويزهق الأرواح ويبدد الثروات وينسف المنشآت كل ذلك نعانيه يوما بعد يوم.

شعارات باسم الدين

لابد أن نتصدى لهذه اللوثة الفكرية التى اتخذت من الدين شعارا تارة باسم الجهاد والجهاد من ذلك براء. إنهم يفجرون الأمة بتراثها وتاريخها وحضارتها ويقدمون براهين يستغلها خصوم الأمة وخصوم الإسلام على ديننا فلابد أن نتصدى لتيار التفجير والتكفير كذلك نتصدى لتيار الانكفاء والقوقعة الذى يريد لنا أن نعيش فى زاوية معزولة لا نتعامل تعاملا إيجابيا فنأخذ النافع المفيد ونعطى النافع المفيد.

وكذلك علينا أن نضيق الخناق على تيار الاجترار الذى يعيش على الماضى وترديد أمجاد الأسلاف ويريد أن نقف عند حد الماضى يقول: **«ليس بالإمكان أبدع مما كان». وما ترك الأول للآخر** ونحن نقول :ثلة من الأولين وثلة من الآخرين والله تعالى جعل الرحمة واسعة تسع المتغيرات من ظروف الزمان والمكان والأحوال

والعوائد والنيات بإحياء الاجتهاد وإحياء التجديد حتى نخرج من تيار الانكفاء والاجترار وتيار التكفير وكذلك تيار الانبهار الذى يريد منا أن نتحول إلى تيار تغريب وتبعية وذيلية للغرب نقلده شبرا بشبر وذراعا بذراع. لا يمكن لنا أن نحقق التسامح فى حوارنا المعاصر إلا عبر منهاج الوسطية والاعتدال الذى يتجافى مع منهج الغلو ومنهج التقصير والشطط ومنهج التعجل. إنه منهج التعقل والتدبير. إنه منهج الوسطية الذى يقوم على ارتباط بالأصل واتصال بالعصر يقوم على الفتوى وتبشير بالدعوى يقوم على إحياء الاجتهاد والتفاعل الحضارى ينتقل من فقه الانكماش إلى فقه الانتعاش من فقه الأزمة إلى فقه العافية ومن فقه الضيق إلى فقه السعة.

ترتيب الأولويات وتحديد الأسبقيات وعدم الانشغال بصغائر الأمور أول الطريق للإصلاح

احترام النفس أولا

إننا نحتاج إلى أن نعيشه داخل أمتنا فى الحوار الإسلامى حتى إذا احترمنا أنفسنا احترمنا الآخرون وليس هناك من أمة لا تحترم نفسها إلا جعلها الآخرون تحت أقدامهم.

الأمر الآخر لابد من أن نرتب أولوياتنا ونحدد الأسبقيات .كثير من المفكرين ومن الدعاة شغلوا بصغائر الأمور والفرعيات والجزئيات والأمة مضيعة أصولها وكبرياتها .

إنك إن سألت داعية اليوم عن فرض الكفاية مثل لنا فيه بمثال قال لك صلاة الجنازة إذا قام بها بعضهم سقطت عن الآخرين ونسى أن فروض الكفاية التى تحتاجها الأمة إحياء مفهوم التنمية الشاملة عبر الإنسان حرية وكرامة عبر النهوض العلمى والتكنولوجى والصناعى والتقنى.

إن أمة سورة الحديد عجزت عن بناء الحديد.

فروض معطلة

لذلك علينا إحياء هذه الفروض الكفائية المعطلة فى حياة الأمة. إن التسامح يقتضى الحوار مع أنفسنا نقدا وتصويبا وأن ننهض بالإصلاح المطلوب ليس استجابة لفروض خارجية إنما هو استجابة لأمر ديننا الذى يجعل شأن النفس اللوامة التى تلوم صاحبها على الذنب يوما بعد يوم فنصحح المسيرة الخاطئة ونقوم السلوك المعوج ونقدم من أنفسنا مثالا يحتذى وقدوة وأسوة يستجيب لها الناس.

نحتاج أن نبدأ بالإصلاح فى داخلنا إصلاحا وفق ثوابتنا وأنساقنا المعرفية مع الإستجابة لمقتضيات العصر.

وعلينا أن نعمل على جبهتين الرد على هذه الهجمة الشرسة من قوى التسلط والهيمنة فى الغرب ولا نعمم الحكم على الغرب كشعوب لا إشكال لنا معنا وإنما المشكلة مع العلم التجريبى لا يجوز لنا أن نكون عالة عليه ولكن المشكلة مع بعض القوى فى الغرب المهيمنة التى تريد أن تفرض حضارة مركزية كونية دون أن تعترف بالتعددية الحضارية. علينا أن نتصدى بالحكمة والرشد والموضوعية لا نجلب مزيدا من العداء ولكن نكثر من الحلفاء مزيدا من الأصدقاء ونحيد من الأعداء ونقدم من واقعنا نموذجا يحتذى به.

الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف:

اللغة أسلوب راق للتفاهم والتخاطب ولا يجوز أن يؤدى الخلاف بين الناس فى الرأى إلى إفساد العلاقات بينهم

خلق الله البشر جميعا من نفس واحدة، واستخلفهم فى الأرض ليقوموا بعمارتها وصيانتها ونشر الخير بين ربوعها والسمو بالإنسان والإنسانية ومن أجل هذا الإنسان الذى كرمه الله وفضله على كثير من خلقه تفضيلا. كانت دعوة الإسلام العالمية للتعاون والتآزر والتعايش بين بنى البشر فى ظل علاقة يغمرها الحب ويسودها التسامح، فما ساد التسامح مجتمعا إلا غشيه الأمن والسكينة وظلله الحب والسلام، ومن هنا حرص الإسلام على أن تسود ثقافة التسامح بين البشر دون تمييز بينهم على أساس عرق أو جنس أو لون.

الإسلام.. المثل والقدوة فى التسامح

هذا ما يؤكده الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ويضيف أن الحضارة الإسلامية التى انطلقت من تعاليم الإسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان قد ضربت أروع الأمثلة فى التسامح والتعايش الإيجابى بين الأمم والشعوب من مختلف الحضارات والثقافات والألوان والأجناس ولاتزال هذه التعاليم الإسلامية حية وقادرة على صقل عقل الأمة وتوجيه سلوكها وتعاملها مع كل البشر فى كل زمان ومكان واستنكر الوزير ما تعرض له الإسلام والمسلمون فى السنوات الأخيرة من حملات ظالمة من الافتراءات والمزاعم التى أرادت أن تلصق بالإسلام ظلما وعدوانا، تهم التعصب والإرهاب وترويع الآمنين ورفض الآخر وغير ذلك مما لا أصل له ولا سند من العلم أو الواقع التاريخى مؤكدا على أن الأمر يحتاج منا كمسلمين إلى وقفة نواجه بها الحملة الظالمة بأسلوب علمى يتوخى عرض الصورة الحقيقية للإسلام.

الحوار لا يهدف لمجرد تحييد كل طرف إزاء الآخر وإنما يدعو لإثراء الفكر وترسيخ قيمة التسامح بين البشر

الالتزام بالسلوك العادل

وأوضح الدكتور زقزوق أن الإسلام لا يكتفى بتعليم أتباعه التسامح الشامل بوصفه شرطا من شروط السلام الضرورى للمجتمع الإنسانى، بل يطلب منه أيضا الإلتزام بالسلوك العادل الذى لا يقبل بالآخر فحسب، بل يحترم ثقافته وعقيدته وخصوصياته الحضارية، وأن خير وصف لهذا التسامح هو أنه

تسامح إيجابى وليس تسامحا حياديا.. يقول تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**﴾ الممتحنة: آية ٨.

الاختلاف لا يبرر التنازع

وحذر الوزير من أن يكون الاختلاف بين الناس فى أجناسهم ولغاتهم وعقائدهم، منطلقا أو مبررا للنزاع والشقاق بين الأمم والشعوب، داعيا إلى أن يكون هذا الاختلاف والتنوع دافعا إلى التعارف والتعاون والتآلف من أجل تحقيق ما يصبون إليه من تبادل المنافع وتعاون على تحصيل المعايش وإثراء الحياة والنهوض بها مصداقا لدعوة القرآن الكريم ﴿**وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**﴾ الحجرات: آية ١٣.

الحضارة الإسلامية ضربت أروع الأمثلة فى التسامح ولاتزال مبادؤها حية وقادرة على صقل عقل الأمة وتوجيه سلوكها

فالتعارف هو الخطوة الأولى نحو التآلف والتعاون فى جميع المجالات. كما دعا سيادته إلى أن يكون الحوار بين الناس بالحسنى وإلى أن تكون اللغة هى الوسيلة الأساسية فى التفاهم والتخاطب والتعبير عن أغراض ومشاعر الناس وأفكارهم، ذلك أنها أسلوب راق للتواصل بين البشر وتبادل الأفكار الذى يؤدى إلى تبادل المنافع فيما بينهم، ولا يجوز أن يؤدى الخلاف بين الناس فى الفكر أو الرأى أو فى الاعتقاد أن يكون سببا فى إفساد العلاقات بينهم، ذلك أن الخلاف فى الرأى شىء طبيعى وليس أمرا شاذا..

وأكد الدكتور زقزوق على أن الحوار فى معناه الصحيح لا يؤدى هدفه المنشود إلا إذا كان هناك احترام متبادل بين أطراف الحوار، وأن الحوار بهذا المعنى يعنى التسامح واحترام حرية الآخرين.

إثراء الفكر

فالحوار لا يهدف لمجرد فك الاشتباك بين الآراء المختلفة أو تحييد كل طرف إزاء الطرف الآخر، وإنما هدفه الأكبر إثراء الفكر وترسيخ قيمة التسامح بين البشر، وتمهيد الطرق للتعاون المثمر فيما يعود على جميع الأطراف بالخير وذلك بالبحث عن القواسم المشتركة التى تشكل الأساس المتين للتعاون البناء بين الأمم والشعوب.

الإسلام لا يكتفى بتعليم أتباعه التسامح الشامل.. بل يحضه على احترام ثقافة وعقيدة الآخر

والحوار فى عصرنا الحالى أصبح أكثر إلحاحا من أى وقت، بل أصبح ضرورة من ضرورات العصر، ليس على مستوى الأفراد والجماعات فحسب وإنما على مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة.

العودة إلى الضوابط

وناشد الوزير المجتمع الدولى نبذ شريعة الغاب التى تلجأ إليها بعض الدول كبديل عن الحوار، مطالبا بضرورة تصحيح الأوضاع وإعادة مثل هذه الدول الخارجة عن القيم الإنسانية والحضارية إلى ضوابطها حتى تنصاع إلى الأسلوب الحضارى فى التعامل. ومؤكدا على أن الموقف الإسلامى يمتاز فى أى حوار دينى بأنه موقف منفتح على الآخرين وتسامح لأبعد الحدود. فقد أقر الإسلام منذ البداية التعددية الدينية والثقافية وصارت هذه التعددية ـ من العلامات المميزة والتعاليم الإسلامية.

الدكتور محمد عمارة (المفكر الإسلامى):

السماحة دين مقدس ووحى إلهى وليست مجرد فضيلة إنسانية يمنحها حاكم ويمنعها آخر

يؤكد الدكتور محمد عمارة أن العدل الذى هو معيار النظرة القرآنية - هو أساس - السماحة الإسلامية فى التعامل مع كل الفرقاء المختلفين، ففى التأسيس القرآنى لهذه السماحة العادلة يطلب القرآن الكريم منا العدل مع النفس والذات مثل ما جاء فى قوله تعالى: ﴿الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ النساء: آية ٩٧.

كما يطلب منهم القرآن العدل مع الآخر **﴿ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم﴾** النساء: آية ١٣٥.

بل والعدل حتى مع من يقاتلنا: **﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾** البقرة: آية ١٩٤.

كذلك فالمنهج القرآنى يلزمنا ألا نضع كل المخالفين لنا فى سلة واحدة وألا نسلك طريق التعميم الذى يظلم عندما يغفل الفروق بين مذاهب هؤلاء المخالفين ومواقفهم يقول الله تعالى: **﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله﴾** آل عمران: اية ١٩٩، فالقاعدة القرآنية الحاكمة فى التمييز العادل بين الفرقاء المخالفين هى أنهم **﴿ليسوا سواء﴾** آل عمران: آية ١١٣.

الإسلام وارث النبوات

ويشير الدكتور عمارة إلى حقيقة ساطعة تشهد للإسلام بكمال السماحة وهى - أن الإسلام - باعتباره الجامع والوارث لكل مواريث النبوات فقد تفرد بالسماحة التى جعلته وحده المؤمن بكل الرسل وبجميع الكتب والصحف والألواح دون تفريق بين أحد من رسل الله - عليهم السلام -: **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾** البقرة: آية ٢٨٥.

ولقد احتضن التطبيق النبوى بالإيمان كل الرسل والأنبياء، فهم جميعا أبناء دين واحد وشرائعهم شتى **«الأنبياء إخوة أبناء علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد».**

دستور المدينة

ويوضح الدكتور عمارة أن التطبيق النبوى للسماحة لم يقف عند حدود السنة القولية، بل تحولت هذه السماحة - فى التطبيق النبوى - إلى واقع معين وأخلاق وسجايا قننها وفندها دستور دولة النبوة فى المدينة المنورة وفى العهود والمواثيق التى قطعها وكتبها رسول الله ﷺ لغير المسلمين.

ولم تقتصر السماحة عند حدود عهد النبوة وإنما امتدت لتشمل كل عهود الفتوحات الإسلامية التى أقامت الدولة وتركت الناس أحرارا فى الدين، فقد **أوصى أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمير الجيش الذاهب إلى الشام يزيد بن أبى سفيان بقوله: إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له.**

وعلى هذا النهج سار خلفاء الإسلام وقواده

الفاتحون لتمتد سماحة الإسلام بامتداد فتوحاتهم العظيمة.

لا يستطيع أى مُلم بتعاليم الإسلام ومبادئه أو متابع لتاريخ الحضارة الإسلامية فى عصوره الزاهرة، إلا أن يقرر وبصوت اليقين أن الإسلام هو الأرض الخصبة لترعرع التسامح، هذا التسامح الذى لم يعرف عنصرية بغيضة ولا عصبية عمياء، وإنما الناس جميعا سواسية لا يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح هو تسامح قائم على العدل بين أتباع كافة الديانات التى عاشت فى كنف الدولة الإسلامية حياة مستقرة كأعظم ما تكون الحياة.

فضيلة إنسانية

هذه السماحة كما يقول ـ المفكر الإسلامى الدكتور محمد عمارة ـ ليست مجرد صياغة نظرية تأملية مجردة ولا هى مجرد فضيلة إنسانية يمنحها حاكم ويمنعها آخر، وإنما هى دين مقدس ووحى إلهى، وبيان نبوى لهذا الوحى الإلهى، وتجسيد وتطبيق لهذا الدين فى دولة النبوة وفى دولة الخلافة الراشدة، وفى التاريخ الحضارى للشرق الإسلامى على طول العصور الإسلامية.

تعايش الفرقاء

ويضيف الدكتور محمد عمارة: إن الرؤية الإسلامية للكون والوجود تقوم على اعتبار التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف قانونا إلهيا تكوينيا وسنة من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل، الأمر الذى يستلزم لبقاء هذه السنة الكونية قائمة ومطردة، وتعايش كل الفرقاء المختلفين، وتعارف جميع عوالم الخلق، أو سيادة خلق السماحة فى العلاقات بين الأمم والشعوب والثقافات والحضارات، والشرائع والأجناس واللغات والقوميات، وبدون الصراع تُلغى وتضل التعددية.

وفى التأسيس القرآنى للكون والوجود نقرأ من آيات الذكر الحكيم: **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾** الحجرات: آية ١٣.

فالإنسانية تتنوع إلى شعوب وقبائل والسماحة السبيل إلى تعارفه وتعايشها، وهذه الأمم تتنوع أجناسها وألوانها وألسنتها والسماحة هى السبيل لتعايش هذه الأجناس والقوميات.

يقول تعالى: **﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾** الروم: آية ٢٢.

د. السيد عقيل بن حسين المنور وزير الشئون الدينية بإندونيسيا:

التسامح الإسلامى بقبول الآخر ورفض الإكراه فى الدين يصعب أن نجد له مثيلا فى أى نظم تشريعية أو دينية أخرى

جاء الإسلام بمفاهيم ومبادئ أحدثت ثورة هائلة فى عالم كانت شريعة الغاب فيه هى السائدة، وتركت تلك المفاهيم عميق الأثر فى النفوس التى كانت تتطلع إلى قيم مثلى تعيد لهذه البشرية توازنها وتنتشلها من مستنقعات الضلالة والفساد، ولم يكن ذلك الأثر العميق لهذه القيم السامية إلا لأنها كانت تنسجم مع الفطرة الإنسانية، ومنها قيمة التسامح التى أشرق بها الإسلام على البشرية جمعاء.

تعددية الثقافة

هذه القيمة التى جعلت المسلمين يقبلون بوجود أديان أخرى ويرفضون إكراه أحد على ترك ملته أصبحت كما يقول الدكتور السيد عقيل بن حسين المنور ـ وزير الشئون الدينية بإندونيسيا ـ يصعب وجودها فى أية نظم تشريعية أو أديان أخرى. ويضيف أن هذه السمة أصبحت من خصائص حضارتنا الإسلامية لأنها تعترف وفى ذات الوقت بالثقافات الأخرى وتهتم بالحوار. كما أن التعددية فى الثقافة ثراء للفكر، كذلك فإن تعدد العقائد تعد كالإقرار بمشيئة الله **﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين﴾** هود: آية ١١٨.

أما الحوار فقد دعا الإسلام إلى التحاور بالتى هى أحسن ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾ النحل: آية ١٢٥.

أول دستور

لقد كانت دعوة الرسول ﷺ تقوم على الإقناع من خلال الكتب التى وجهها - عليه الصلاة والسلام - إلى أمراء العرب والملوك المعاصرين يدعوهم للدخول فى الإسلام، وأول مجتمع إسلامى قام هو المجتمع الذى شيده الرسول ﷺ فى المدينة وأول دستور جسد هذا المجتمع إنما هى تلك الوثيقة والمعاهدة التى كتبها ﷺ لإقامة نظام تعاونى بين شتى فئات الناس فى المدينة المنورة. كما كان عهد الأمان الذى قدمه - عليه الصلاة والسلام - لأهل نجران هو المثل الذى عقدت على منواله عهود الأمان اللاحقة، وكذلك موقفه من يهود المدينة حيث تعاهد معهم الرسول ﷺ وعاهدهم وكفل لهم التمتع بما للمسلمين من حقوق إلى غير ذلك من المواقف العددية للرسول ﷺ التى اتسمت بروح التسامح دائما.

صفحات مضيئة من التسامح

وعن الدولة الإسلامية خلال عصر الخلفاء الراشدين يعدد وزير الشئون الدينية بإندونيسيا صور التسامح الإسلامى مع غير المسلمين ففى عهد أبى بكر كان يأمر قادة جيوش المسلمين بعدم الغدر أو قتل عجوز أو امرأة أو طفل وأن يدعو الأقوام الذين فرغوا أنفسهم لعبادة الله ولا يمسوهم بضر. وفى عهد عمر بن الخطاب ضربت صفحات رائعة من التسامح منها ما كان من موقف عمر يوم فتح القدس ورفضه الصلاة داخل الكنيسة حتى لا يتخذها المسلمون من بعد مسجدا. وهكذا الحال فى بقية عصور الإسلام.

د. على باردالك أوغلى رئيس الشئون الدينية بتركيا:

الحوار الهادف يجب ألا يستثمر أو يستخدم خارج النطاق المنشود له

الاختلاف فى العقيدة أو الجنس أو اللون لا يعده الإسلام سببا للاختلاف بين بنى البشر أو الصراع بينهم، بل إن الإسلام يدعو إلى التعارف والتقارب بين الناس، يحض عليه، لذلك وضع الحوار كأساس للتفاهم والتقارب بين الشعوب على مختلف عقائدها وأجناسها وأكوانها.

السلام العالمى

فى هذا الصدد حذر الدكتور على باردالك أوغلى - رئيس الشئون الدينية بتركيا - من أن تتحول العقيدة الدينية والفروق الموجودة فيها إلى موضوع للنزاع والاصطدام وذلك أن ذلك يؤدى إلى التقليل من شأن الدين والإخلال بالسلام العالمى والانسجام البشرى. كما أنه يعد خطرا حقيقيا لهدوء الأفراد والمجتمعات.

ويضيف الدكتور أوغلى إلى أن اختيار الدين والعقيدة يعد فى نظر الإسلام علاقة شخصية فيما بين العبد والخالق ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾ البقرة: آية ٢٥٦.

فالله تعالى قد أعطى العبد إرادة واسعة وحرية دنيوية كاملة.

العلاقات الطيبة

وإذا كان القرآن الكريم - كما يقول أوغلى - قد حوى بعض العبارات التى تحمل توبيخا لبعض الجماعات غير المسلمة، فإن ذلك لا يجب النظر إليه وتقييمه إلا من خلال عمومية القرآن الكريم، فقد أنزلها الله تعالى فى حياة الرسول ﷺ، فى حق هؤلاء الذين صرحوا بالعداوة البارزة ضد المسلمين أو قاموا بمحاربتهم، وإذا استثنينا تلك الحالات الطارئة فسنجد أن موقف الإسلام ورسوله الكريم يتلخص فى وجوب أن تكون علاقة المسلمين بأهالى سائر الأديان علاقة طيبة تستمد أسسها من التسامح والاحترام المتبادل.

نطاق الحوار

ويؤكد رئيس الشئون الدينية بتركيا على بعض الحقائق المهمة فى قيمة التسامح من أبرزها:

- إن الدين الإسلامى قد اهتم اهتماما بالغ الأهمية بالحوار عموما بين الناس وخصوصا بين الأديان فى إيجاد علاقات طيبة بينهم، ولذا فإن هذا الحوار يجب ألا يستخدم ولا يستثمر على الاطلاق خارج نطاقه المنشود حتى لا تتوقف حركة الحوار بين الأديان وبالتالى يزول التسامح فى الفروق الحاصلة داخل تلك الأديان.
- إن المعتقدات التى ليس بينها تصالح لن تستطيع أن تقدم شيئا ملموسا فى مواصلة السلام العالمى.
- إننا لا نستطيع أن نفهم الأديان فهما حقيقيا بمجرد الاطلاع على نصوصها الأصلية، بل نضيف إليها تجربتها التاريخية، ولو اطلعنا عليها من حيث اختياراتنا الشخصية دون الاعتماد على حقائقها وميادينها التاريخية فسنجد أنفسنا أمام اختيار قد أدى بتلك النصوص إلى تابع لاختيارنا.

د. أحمد عمر هاشم:

المساحة الواسعة للتسامح التى أفسحها الإسلام لمخالفيه فى العقيدة من أهم أسباب دخولهم فى دين الله أفواجا

كانت بعثة محمد ﷺ برسالته الخاتمة فاتحة خير على الدنيا كلها فهى رسالة تخاطب البشر جميعا على اختلاف عقائدهم ومشاربهم وأجناسهم وقومياتهم وعرقياتهم، إيذانا بعالمية الرسالة، وإعلانا للناس كافة بأن الإسلام هو الدين الخاتم الذى يجب على الناس جميعا الإيمان به والدخول فيه. لكنه ومع ذلك لم يكره أحدا على اعتناقه انطلاقا من منهجه الرائع فى التسامح الذى يقبل التعددية ولا يرفض الآخر أو ينبذه.

اتساع الإسلام للتعدد

ومع هذه المساحة الواسعة من التسامح التى أفسحها الإسلام لمخالفيه فى العقيدة إلا أن أصواتا غربية ارتفعت تهاجم الإسلام عن قصد أو عن سوء فهم، وإزاء هذه الموجة العاتية من المزاعم والهجوم على الإسلام يتصدى الدكتور أحمد عمر هاشم - رئيس جامعة الأزهر السابق وعضو مجمع البحوث الإسلامية - لهذه المزاعم مؤكدا أن الإسلام الزاهر عبر عصوره التاريخية - كان يتسع للتعددية الدينية والآراء المذهبية وكانت سماحته فى معاملة غير المسلمين من أهم الأسباب التى جعلت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا.

الحوار لا يهدف لمجرد تحييد كل طرف إزاء الآخر وإنما يدعو لإثراء الفكر وترسيخ قيمة التسامح بين البشر

ويضيف فضيلته بقوله: إنه فى ظل هذا الجو من التسامح كفل الإسلام الحرية الدينية لغير المسلمين الذين يعيشون فى المجتمع الإسلامى قال تعالى: **﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى﴾** البقرة: آية ٢٥٦. كما صان حرمة غير المسلمين ومنحهم حرية إبداء الرأى والمناقشة.

قال سبحانه: **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن﴾** العنكبوت: آية ٤٦، ودعا الإسلام إلى حُسن معاملة غير المسلمين وزيارتهم وعيادة مرضاهم وتبادل المنافع معهم والتعاون على الخير والبيع والشراء، وسائر المعاملات، وكان الرسول ﷺ هو القدوة فى ذلك لدرجة أنه توفى ودرعه مرهونة عند يهودى.

التطبيق العملى للعالمية

ويوضح الدكتور أحمد عمر هاشم التطبيق العملى الذى طبقه رسول الله ﷺ لتحقيق عالمية الدعوة الإسلامية حين حشر الله جميع الرسل والنبيين أيقاظا أحياء بأجسادهم فى ليلة الإسراء والمعراج بالمسجد الأقصى، وجاء جبريل عليه السلام ليأخذ بيد المصطفى ﷺ ويقدمه للقبلة ليصلى بجميع الرسل إماما إعلانا لأتباعهم فى كل الأرض وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين أن عليهم اتباع محمد ﷺ كما اتبعه أنبياؤهم من قبل.

صلاة الرسول ﷺ بجميع الرسل فى المسجد الأقصى تطبيق عملى لعالمية الدعوة الإسلامية

وكان إعلانا فى ذات الوقت أن الإنسان لا يكون مسلما ولا مؤمنا كامل الإيمان إلا إذا آمن بالنبيين والرسل أجمعين: **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾** البقرة: آية ٢٨٥.

أول وثيقة للعلاقات الدولية

ويشير الدكتور أحمد عمر هاشم إلى أن مبادئ الإسلام التى قررها القرآن الكريم وأعلنها بأنه لا إكراه فى الدين وأعلن حقوق المسلمين وحقوق غير المسلمين جاءت تعلن العدالة والحرية والسماحة والوفاء والعدل بين الناس جميعا فقبل أن يدخل الإسلام مصر كان الأقباط يعيشون تحت نير الاضطهاد الرومانى حتى أنهم استجاروا بهذا الدين لما سمعوا أن لا إكراه فى الدين وأنه دين العدالة والمساواة ودين الرحمة والأمن الذى ينصف المظلوم ويعطى لكل ذى حق حقه.

فقد كان أول عمل قام به الرسول ﷺ حينما هاجر من مكة إلى المدينة أن قام ببناء مسجد ليوثق الصلة بالله أولا، ثم قام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ليوحد الصفوف المسلمة، أما العمل الثالث فقد وضع وثيقة للعلاقات الإنسانية والدولية بين المسلمين وبين غير المسلمين من أهل الكتاب، الذين كانوا يسكنون المدينة فتعاهد معهم أن يكون المسلمون وغير المسلمين يدا واحدة فى مواجهة أعدائهم لولا أن اليهود هم الذين نقضوا العهد كما هو طبعهم فى كل مرة ينقضون العهود.

أقباط مصر استجاروا بالإسلام المتسامح ليخلصهم من نير الاضطهاد الرومانى

ولقد سار الخلفاء الراشدون والسلف الصالح على ذات النهج فى تعاملهم مع غير المسلمين فى المجتمعات الإسلامية.

ولقد قررت المنظمات الدولية حقوق الإنسان التى قررها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا.

أين حقوق الإنسان

يتساءل الدكتور أحمد عمر هاشم أين حقوق الإنسان من اضطهاد المسلمين والأقليات المسلمة فى دول الغرب؟ أين هى حقوق الإنسان الفلسطينى الذى يرزح تحت الأغلال وتصادر حريته وتقام المستوطنات على أرضه ويؤسر واحد من أعظم المقدسات وهو القدس الشريف.

ويؤكد أن الدين الإسلامى الذى يدعونا أن نكون أقوياء ولا نرضخ لهذه الفتن التى يحاول إشعالها بين الفينة والفينة بعض الضعفاء وبعض السفهاء لن نركن إليها ولن تستجيب مصر بكل طوائفها إلى هذه الفتن لأن الوحدة الوطنية فيها راسخة رسوخ هذا الدين العظيم.

د. جعفر عبد السلام (الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية):

الأفكار المغلوطة عن الإسلام غذت روح العداء لدى الغرب فقادوا الحروب الصليبية لاستعمار العالم الإسلامي

دفعت المستجدات الدولية التى ضربت العالم أجمع - بأمتنا الإسلامية إلى أتون معترك من التحديات والمواجهات تستهدف النيل من شعوبه وقهرها وإذلالها وإخضاعه لثقافته وتفريغ عقول أبنائه من محتواها وتهميش دورهم والواقع الأكثر والأشد إيلاما على النفس أن مبادرات الشعوب الإسلامية الرامية للتصدى لتلك التحديات، وإلى النهوض بهذه الأمة من ثباتها العميق يؤكد أنها لا ترقى للحد الأدنى الذى يواجه تلك التحديات التى يقود الغرب حملاتها ضد أمتنا الإسلامية بسبب تقاعسهم.

مزاعم باطلة

عن الرؤية العلمية لطبيعة الخلاف بين المسلمين والغرب وكيف يمكن استبدال العلاقات المتوترة بين الإسلام والغرب بعلاقات جيدة يقول الدكتور جعفر عبدالسلام - الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية - إن بعض المفكرين من الغرب اعتبروا أن الصراع بين الإسلام والغرب هو فى الأساس صراع حضارى بسبب تعاليم الكتاب والسنة لدى المسلمين بدعوى أن الإسلام يفرض على المسلمين جهاد غير المسلمين ورفع السيف لقتالهم حتى يشهد أن لا إله إلا الله.. وتلك مزاعم باطلة من السهل تفنيدها، ذلك أن السلام هو الأصل فى العلاقة بين المسلمين وغيرهم، أما موقف الغرب من الإسلام فقد قام على الكراهية والتعصب، وتلك حقيقة لا ينكرها المنصفون من مفكرى الغرب أنفسهم، وقد جاءت تلك الكراهية بسبب تفوق المسلمين عندما قاموا ينشرون تعاليم الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

وهذه الأفكار المغلوطة عن الإسلام هى التى غذت روح الأوروبيين الذين قادوا الحروب الصليبية، كما دفعتهم إلى استعمار العالم تحت دعاوى غريبة بدعوى تمسيح البرابرة وإحلال بركات التمدن الأوروبى على العالم.

صراع الحضارات

وتعرض الدكتور جعفر عبدالسلام بالمناقشة لبعض الأطروحات الغربية التى رفعت شعارات الصراعات الحضارية وأكد أن مناقشة تلك الأطروحات ضرورية لفهم ما يدور حولنا الآن من اتهامات ومن محاولات للاحتواء بل للتغيير تحت مسمى تجفيف المنابع تلك المحاولات التى بدأت تتجه إلى أصول الدين الإسلامى ومناهج الدراسة لاستبعاد كل ما يراه الغرب مكونا لشخصية إسلامية معادية له ولمصالحه ولفكره ولهيمنته.

ومن أخطر النظريات التى تعرضت لعلاقة الإسلام والغرب - كما يرى الدكتور جعفر عبدالسلام نظرية برنارد لويس عن الأصولية الإسلامية، ونظرية صموئيل هنتنجتون عن صراع الحضارة، ونظرية فوكوياما عن نهاية التاريخ.

فنظرية برنارد لويس تقول إن الإسلام والمسلمين كانوا هم المحرضين والدعاة دائما إلى الحرب والجهاد، فالإسلام من وجهة نظره - عدوانى بطبيعته على حين وصف الغرب بأنه عدوانى بطبيعته على حين وصف الغرب بأنه دفاعى يرد بهجمات مضادة على نحو ما تجلى فى الحروب الصليبية. وأن المسلمين يمثلون تهديدا ثلاثيا للحضارة الغربية سياسيا وحضاريا وسكانيا. كما تؤكد النظرية أن المسلمين يعتبرون أمريكا الآن العدو الأكبر لهم، وأن المسلمين بزيهم ولحاهم وعمائمهم يعيشون فى العصور الوسطى ويهددون.

مناقشة أطروحات الصراع الحضارى ضرورة لفهم ما يدور حولنا من محاولات للاحتواء والتغيير تحت مسمى تجفيف المنابع

حرب الحضارات

أما نظرية صدام الحضارات لهنتنجتون فتقرر أن الصدام بين الحضارات هو الذى سيحكم الشئون السياسية فى العالم، وأن الخطوط الفارقة بين الحضارات هى خطوط القتال فى المستقبل وأن الحرب العالمية الثالثة ستكون حربا بين الحضارات.

وعلى نفس الوتيرة يسير فوكوياما ليعلن أن الحضارة الأوروبية بفكرها ومؤسساتها هى نهاية التاريخ لتفوقها على كل الحضارات الأخرى، وأن المسلمين هم الأعداء للتقدم وللفكر الغربى.

ويخلص الدكتور عبدالسلام إلى أن سبب الخلاف بين الإسلام والغرب حديثا هو حملة يهودية صليبية تبنتها الصهيونية العالمية فى صراعها القديم الحديث ضد الإسلام والمسلمين.

أما عن التأصيل الفكرى لعلاقة سوية بين الإسلام والغرب فيقول الدكتور جعفر عبدالسلام: إن التحديات الحضارية التى تواجه المسلمين فى الحاضر والمستقبل تتمثل فى ضرورة التعامل مع الآخرين من منطق القدرة والفهم العميق لما لديهم والأخذ والعطاء فى مختلف المجالات وعدم الانغلاق على الذات.

معاهدات غير متكافئة

ويميز الدكتور جعفر عبدالسلام بين نوعين من القانون الدولى هما: القانون الدولى التقليدى المعروف الذى ينظم العلاقات الدولية على طريقة إبعاد الدول بعضها عن بعض حتى لا تتقاتل وهو قانون يتبنى مفهوم الصراع والحرب كعلم مؤسس ومحرك لهذه العلاقات.

ومن بين الانتقادات التى وجهت لهذا القانون هى إجازته إجبار الدول على التوقيع على معاهدات الحماية التى فرضتها عليها القوى الكبرى وهى المعاهدات «غير المتكافئة».

والثانى هو القانون الدولى للتعاون، وهو يقوم على فكرة الجماعية، ويحاول أن يدعم الحاجات المشتركة بين الدول ويبحث عن أفضل السبل الكفيلة بإشباعها. وقد نفذ الإسلام مبدأ القانون الدولى عندما جاء إلى المدينة، فعقد مع اليهود حلفا أساسه التعاون الدولى وحماية الفضيلة ومنع الأذى، وأكد ذلك بالمواثيق ولكن اليهود نقضوا حلف التعاون.

وفد مصر المشارك فى المؤتمر

د. فوزية العشماوى: للمرأة فى الإسلام مكانة مرموقة وكل ما يشوه صورتها من الشوائب ليس له علاقة بالإسلام

كرم الإسلام المرأة أيما تكريم، وأعلى من شأنها وارتقى بها درجات علُى، فنالت سموا ورفعة وقدرا ومكانة مرموقة، حين صان كرامتها وحفظ أنوثتها، ومنحها حقوقا دونها كل الحقوق التى تنادى بها منظمات تحرير المرأة التى حملت مبادئ زائفة تقوم على شعارات كاذبة وعبارات رنانة، فحطت من قيمة المرأة وانتقصت من حقوقها وجعلت منها تمثالا لا حياة فيه، وجسدا لا روح فيه، على حين اكتسبت المرأة فى ظل الإسلام حقوقا يحق لها أن تفاخر بها بين نساء العالمين.

حقوق غير مسبوقة

ومن عجب أن يطلع علينا من كتاب الغرب ومثقفيه من يحاول أن يصم الإسلام زورا وبهتانا بانتقاص حقوق المرأة.

الدكتورة فوزية العشماوى تفند مزاعم الغرب الباطلة مؤكدة على أن الإسلام قد منح المرأة - منذ ظهوره - حقوقا لم تكن تتمتع بها النساء فى أى مكان على وجه الأرض لا فى الامبراطورية الرومانية ولا فى الامبراطورية الفارسية ولا فى الجزيرة العربية فى ذلك العهد البعيد، حيث كانت المرأة فى الجاهلية متاعا يورث، وليس لها إرادة ولا كرامة، بل أحيانا - كما تضيف - تحرم من حق الحياة ويتم وأدها بعد ولادتها.

المرأة صنو الرجل

كذلك منح الإسلام المرأة حق المساواة التامة بالرجل فيما يختص بالعبادات والواجبات الدينية. كما جعلها صنو الرجل ففرض عليها مثلما فرض على الرجل من عبادات، وفى غيرها من

التكاليف، فيما عدا ما يتنافى مع طبيعة المرأة وتكوينها البيولوجى فى بعض الأمور كالجهاد مثلا.

وقد حفل القرآن الكريم بالعديد من الآيات التى تؤكد على التسوية بين الرجل والمرأة بعبارات فيها ضبط قياسى وتطابق لغوى مثل قوله تعالى: **﴿والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾** الأحزاب: آية ٣٥.

وكذلك قوله تعالى: **﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾**.

فريضة العلم

وأشارت الدكتورة فوزية العشماوى إلى أن الإسلام قد منح المرأة حق التعليم واعتبره فريضة على كل مسلم ومسلمة، وحق العمل الذى مارسته أسماء بنت أبى بكر فى أرض زوجها، والشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس التى اشتغلت بتعليم القراءة والكتابة وتميزت بالحكمة ورجاحة العقل. كما منحها حق اختيار الزوج، فيكون عقد الزواج باطلا بدون موافقتها وحق الاحتفاظ باسمها، وحق الميراث طبقا للآية الكريمة **﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾** النساء: آية ٧. كما منحها حق الطلاق وحق الشهادة.

سلم القيادة

وتفند الدكتورة فوزية العشماوى - مقولة البعض إن الخطاب القرآنى يؤكد على تفوق الرجل على المرأة مستشهدين فى ذلك بالآية الكريمة **﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾** النساء: آية ٣٤، وترد قائلة: إن القوامة هى درجة فى سلم القيادة أو فى إدارة الأسرة؛ فالرجل هو رئيس الأسرة وعليه تقع مسئولية هذه الأسرة وله الكلمة العليا، والمرأة هى مدير عام الأسرة تديرها كيفما تشاء؛ فالزوج بمثابة رئيس الدولة، والزوجة بمثابة رئيس الوزراء الذى يساعده.

كما تفند مقولة إن المرأة تعيش فى الخفاء وراء حجاب فرضه الرجال المسلمون ليحجبوها عن المدنية الحديثة، وتجيب بأن الإسلام لا يفرق بين عقل المرأة وعقل الرجل ويطبق المساواة التامة بينهما فى كثير من الأمور، ولعل مبدأ الشورى هو خير دليل على تلك المساواة، وقالت: إن الحجاب أمر من الله سبحانه فى قوله تعالى: **﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾** النور: آية ٣١.

علينا أن نؤكد للغرب أن كثيرا من الشوائب التى تشوه صورة المرأة المسلمة لا علاقة لها بالإسلام

حملة شعواء

وانتقدت الدكتورة فوزية العشماوى موقف الحكومة الفرنسية من الحجاب الإسلامى والحملة الشعواء التى شنتها على ارتدائه وإصدارها قانونا بمنع التلاميذ من ارتداء الرموز الدينية ومن بينها الحجاب فى المدارس الابتدائية والثانوية.

وقالت إن علينا أن نؤكد للغرب أن كثيرا من الشوائب التى تشوه صورة المرأة المسلمة ليست لها علاقة بالإسلام، لأن الإسلام جعل للمرأة مكانة رفيعة ولو تم تطبيق الشريعة الإسلامية مثلما كانت مطبقة فى عهد الرسول ﷺ فى المدينة المنورة لحسدتها المرأة الأوروبية على تلك المكانة، فالمرأة الأوروبية لم تحصل على كثير من حقوقها المدنية والسياسية إلا بعد صراع مرير استمر أكثر من مائة عام أو يزيد، بينما المرأة المسلمة كان من حقها التمتع بكل هذه الحقوق منذ عهد الرسول الكريم ﷺ.

د. عبدالكريم الكيدانى:

صورة العرب والمسلمين المشوهة من أبرز مظاهر الحقد والكراهية فى فكر الغرب

إذا كانت أحداث الحادى عشر من سبتمبر قد ألقت بظلالها القاتمة وتداعياتها الرهيبة على أبناء العالم الإسلامى فى شتى بقاع الأرض، فإن الجزء الأكبر من تلك التداعيات كان من نصيب الأقليات المسلمة فى المجتمعات الغربية، هؤلاء الذين يعيشون أزمة خانقة، بعد أن صار الشعور العام السائد فى تلك المجتمعات هو الخوف من الآخر، وأصبح هاجسا يسكن المواطن الأوروبى مسلما كان أم غير مسلم.

وسائل الإعلام الغربية تلعب دورا خطيرا فى تغذية روح العداء للعرب والمسلمين

جذور الكراهية

يلخص الدكتور عبدالكريم الكيدانى من بلجيكا أهم عوامل معاداة الإسلام فى الغرب فى مجموعة من العوامل السياسية والثقافية والاجتماعية ومن أهمها:

الموروث التاريخى والاستعلاء الثقافى والحضارى، فالعلاقة بين أوروبا والإسلام تكشف عن وجود ارتياب أوروبى كامن وموروث من الإسلام والمسلمين صنعته عوامل تاريخية متعددة ترجع بعض جذورها إلى الفتح الإسلامى، وكذا الحروب الصليبية التى استمرت مئات السنين، وإلى وجود شعور فى العقلية الأوروبية بأن له رسالة كونية والإسلام يعتبر التحدى الرئيسى لعالمية رسالته. كما أن ثقافة التفوق العرقى والقومية الفردية الغربية وتميز الجنس الأبيض، ساهمت مساهمة كبيرة فى صناعة تاريخ أوروبا والغرب الحديثين وبررت موجات الاستعمار والهيمنة.

كذلك ينتمى العداء للإسلام إلى الخوف من عالم الجنوب الذى يبدو كمنطقة عدم استقرار وقلاقل، وتعتبر صورة العرب والمسلمين المشوهة أحد أبرز المظاهر على إنتاج الكراهية والحقد للعرب والمسلمين لدى الغربيين رغم أن معظم أبناء الأقليات لم يفرضوا أنفسهم على هذه المجتمعات؛ فهم إما جاءوا إليها رغم أنوفهم عبيدا قبل قرون، وإما جذبوا بتشجيع من الحكومات الغربية التى كانت تبحث عن الأيدى العاملة التى تحرك اقتصادها.

الإسلام فوبيا

ونعى الدكتور الكيدانى على بعض مثقفى ومفكرى الغرب الذين يناصبون الإسلام العداء، ومنهم من يخلط بين الإسلام وسلوك بعض المسلمين وتصل الدرجة ببعض من يحسبون أنهم

مثقفون - كما يقول - إلى درجة السب والشتم المبتذل من دون تورع.

وأكد على أن وسائل الإعلام الغربية تلعب دورا خطيرا فى تغذية روح العداء، وبترسيخ صورة نمطية عن الآخر باعتباره أقرب إلى التوحش والبدائية وقلة الحضارة وتصوير المجتمعات الأصلية للأقليات العرقية والدينية التى تعيش فى الغرب باعتبارها مجتمعات للحروب والإرهاب.

كما افتعلت بعض وسائل الإعلام ظاهرة «الإسلام فوبيا»، أى الخوف المريع من الإسلام وراحت تشوه الدين الإسلامى وتجرفه من خلال الأفلام والمسلسلات والتغطيات الإعلامية المختلفة وأضحى اسم المواطن المسلم يقترن بالجريمة والسرقة والعنف.

خلط الأوراق

ويرى الدكتور عبدالكريم الكيدانى أن أهم إيجابية لأحداث الحادى عشر من سبتمبر فى أوروبا هى أن الأوروبيين أدركوا أن وسائل الإعلام لا تمدهم بالحقيقة عن الإسلام وأنهم فى حاجة لأن يعرفوا الإسلام من مصادره، لذا شهدت حركة بيع الكتب الإسلامية وترجمات القرآن الكريم رواجا كبيرا قدره الكاتب الألمانى المسلم بزيادة بلغت ألف فى المائة.

ويحذر الدكتور الكيدانى من حدوث خلط فى الأوراق فى علاقة الإسلام بالغرب ومسألة الوجود الإسلامى فى أوروبا وتزامن هذا الخلط مع ظهور أفكار تصادمية ضد الإسلام منها صدام الحضارات وصراع الأديان والعدو البديل.

وقال: إن هناك موجة من العداء والاعتداءات العنصرية ضد مسلمى أوروبا طالت معظم الدول حتى فى بعض البلدان المعروفة بتسامحها، لكن مظاهر هذا العداء متفاوتة من بلد إلى آخر؛ فلباس المرأة المسلمة مثلا لا يطرح أية مشكلة فى المجتمع البريطانى، بينما أخذت هذه القضية بعدا آخر فى فرنسا حيث تم سن قانون لمنع حمل أو ارتداء العلامات الدينية فى المدارس.

عز الدين الخطيب: شريعة الإسلام تفيض بمعانى التسامح التى نعتز بها فى دنيا ملئت اضطرابا وشقاء

التسامح إحدى اللبنات التى يقوم عليها البنيان الأخلاقى فى الإسلام ولا يجد المرء حضارة ساد فيها خلق التسامح واكتست برداء العفو كما كانت الحضارة الإسلامية عبر تاريخها الطويل، حتى صارت مضربا للأمثال فى كل عهد وزمان، ولا عجب فى حضارة استقت تلك القيم، ونهلت تلك المعانى من معين القرآن الكريم الذى لا ينضب والذى تتجلى فيه أخلاق التسامح فى فيض لا ينضب من الآيات. كما تتجلى بغزارتها من ينابيع السنة الشريفة.

قيم حضارية

حول هذه المعانى الرائعة يقول عز الدين الخطيب التميمى - قاضى القضاة ومستشار الملك للشئون الإسلامية بالأردن -: إن القرآن الكريم والسنة النبوية يفيضان بالعديد من معانى التسامح النبيلة التى تشير إلى مافى الإسلام من قيم حضارية وأحكام شرعية وأخلاق نبوية نعتز بها فى الدنيا التى ملئت اضطرابا وشقاء وطغى فيها الأقوياء، ولعل مافى القرآن الكريم والسنة من القيم والمعانى الإنسانية النبيلة يكون لنا نبراسا يضىء لنا طريق الحياة ونحن نشق عبابها.

ففى القرآن الكريم يقول تعالى: **﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾** البقرة: آية ٢٨٦.

ويقول سبحانه: **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** البقرة: آية ١٨٥.

ويقول جل شأنه: **﴿ادفع بالتى هى أحسن السيئة﴾** المؤمنون: آية ٩٦.

ويقول تعالى: **﴿وجادلهم بالتى هى أحسن﴾** النحل: آية ١٢٥.

وفى الحديث الشريف يقول الرسول ﷺ: **«لا تشددوا فيشدد عليكم»** ويقول أيضا: **«اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»**.

الإسلام يرفض أن يتحول العالم إلى غابة الأقوياء فيها هم وحوشها الضارية والضعفاء فرائسها الممزقة

تاريخ معطر

ويضيف فضيلة قاضى قضاة الأردن: إن التسامح حقيقة ناصعة فى حياة المسلمين وفكرهم وحضارتهم وهذا التسامح جعل تاريخنا معطرا حافلا بالحرية والكرامة والعدالة.

ولقد كانت كلمات القرآن الكريم وكلمات النبى ﷺ فى الرفق والتسامح نبضا يتدفق بالحرارة ليعلن للبشرية أنه لا ينبغى للعالم أن يكون غابة كبرى الأقوياء هم وحوشها الضارية، والضعفاء فرائسها الممزقة.

وأوضح فضيلته أن الإسلام قد عايش أصنافا شتى من الطوائف والملل والنِّحَل والأديان والعقائد، وعايش أهل الكتاب وعايش المشركين من عبدة الأوثان وعبدة النيران وعبدة الشمس، ومنكرى بعثة الرسل وغيرهم من المشركين والملحدين، لكنه ترك هؤلاء وما يدينون به ولم يتعرض لهم أحد بسوء، بل دعا إلى العدل معهم وإلى الإحسان إليهم والإقساط والإنصاف معهم، ويجمع هذا فى الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾** الممتحنة: آية ٨.

ولم تكن هذه التعاليم ـ كما يضيف ـ مجرد عظات وإرشادات أو نظريات مجردة، وإنما صيغت بقوالب تشريعية وقانونية ودستورية وترتيبات عليا تمارس على المستوى الرسمى كمسئوليات عليا فى الدولة يذعن لها المسلمون ويقضى بها القضاة ويفتى بها المفتون.

منهج لا يعرف التعصب

ودعا فضيلته إلى ضرورة الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية وجودا وحضورا وإظهارها وتعزيزها، فذاك هو المنهج الذى يظهر هويتها ويؤكد موضوعية قضاياها ومصداقية دعواها الصادرة عن مطالب عادلة حقيقية لا تعرف التعصب المعادى للشرق أو للغرب، وفى مقدمة هذه المطالب إقرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى بالحرية والاستقلال، مؤكدا على أن رسالة المثقفين هى فهم الإسلام واستيعاب أهدافه، وحسن عرضه لمتبعيه وللآخرين، وهى الولاء المطلق للإسلام بعقيدته وشريعته ونظمه وقيمه ليكون منهجا سلوكيا فى حياة الفرد والمجتمع.

د. مصطفى سيريتش - مفتى البوسنة -:

سوء حال المسلمين اليوم يرجع إلى عدم قدرتهم على إيجاد التوازن بين ذكرى الماضى الفائت والمستقبل القادم

من أبرز ملامح الحضارة الإسلامية طوال تاريخها الطويل أنها حضارة حية نابضة قامت على التفاعل والتعاون مع الآخرين، فلعبت أعظم الأدوار فى إثراء التراث الإنسانى وإيقاظه من غفوته، لكنها ظلت حضارة أصيلة لها معالمها الفريدة التى لا تقبل الانصهار أو الذوبان فى غيرها من الحضارات، وبذلك بقت حضارة شامخة البنيان تتآلف وتتفاعل مع غيرها امتثالا لمبادئ القرآن العظيم التى تحض على التعاون والتآلف بين الناس جميعا باعتبار وحدة الأصل الإنسانى.

نجاح غير مسبوق

أكد الدكتور مصطفى سيريتش - رئيس العلماء والمفتى العام للبوسنة والهرسك - أن الحضارة الإسلامية تتحرك حول محور إلهي يحرك عجلة الحضارة الإسلامية فى مختلف الاتجاهات، وقال إن التعايش بين البشر يمثل النقطة الحاسمة التى حددت مسار الحضارة الإسلامية فى الماضى أى قدرتها على فهم الاستمرارية الضرورية للتراث مع إمكانية تغيير التاريخ، وفكرة التعايش بين الاستمرارية والتغيير هى الفكرة الرئيسية التى مكنت الحضارة الإسلامية من تحقيق ذلك النجاح غير المسبوق.

تعدد الأديان

وحذر الدكتور سيريتش من أن يتخذ بعض المسلمين من انتقاد القرآن لبعض اليهود والنصارى وسيلة للتغطية على عيوب بعض المسلمين أنفسهم الذين انتقدهم القرآن أيضا، وقال إن على المسلمين أن يطبقوا روح التسامح فى وسط من تعدد الأديان وما أكثر ما أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى حيث يقول عز وجل: **﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم﴾** البقرة: آية ٦٢.

نبى الرحمة المهداة

وأوضح الدكتور سيريتش أن الحقبة العظيمة للحضارة الإسلامية كانت فى الوقت الذى تفاعلت فيه مع الحضارات الأخرى، وأن فكرة العزلة غريبة على الحضارة الإسلامية، لأن النبى ﷺ أرسل إلى الناس كافة ولذلك فهو الشاهد على العالم كله من حيث أنه جلب إليه الرحمة بدلا من الشقاء.

وعلل المفتى العام للبوسنة والهرسك سوء حال المسلمين اليوم بأن السبب يكمن فى عدم قدرتهم على إيجاد هذا التوازن بين ذكرى الماضى الفائت وذكرى المستقبل القادم، وقال إن الأزمة الحالية للحضارة الإسلامية تعود لنقص الثقة بالنفس.

عباس الجرارى
مستشار ملك المغرب: الحرب فى نظر الإسلام خرق للسلام لا يُلجأ إليها إلا اضطرارا

تقوم الحضارة الإسلامية فوق بنيان شامخ من المبادئ الحكيمة والقيم النبيلة، تلك المبادئ والقيم التى تسمو بالإنسان وتحفظ له كرامته وتحقق لهذه الحياة توازنها، ذلك أن المنهج الإسلامى يحمل قيما رفيعة مستمدة من شريعة سامية سمحاء تنظم شئون الكون والحياة بموازين دقيقة لا تختل ولا تهتز، حتى الحروب فى الإسلام لها أصولها ومبادئها ومبرراتها ولا تخضع لهوى طامع أو نزوة مغرور أو بطش متجبر. إن الحرب فى الإسلام هى الطريق إلى السلام.

شرع الجهاد فى الإسلام لرد الظلم والعدوان وأعلى مراتبه جهاد النفس

دين السلام لا الاستسلام

عن معادلة السلم والحرب فى منظور الإسلام يقول عباس الجرارى ـ مستشار ملك المغرب ـ إن الإسلام كما هو معروف وكما لا يخفى إلا على المتحاملين عليه ـ دين التوحيد والوحدة والعدل والخير ودين الهداية والرحمة ودين التساكن والتسامح ـ ولهذا فهو دين السلم، والسلم لا يعنى الاستسلام، أو التنازل أو الضعف، ولكن يعنى أخذ الحق وتبادل العلاقات والمصالح على أساس المساواة والمعاملة بالمثل، وعلى أساس عهود ومواثيق تكون ملزمة لجميع الأطراف مهما تكن الظروف والأحوال.

الجهاد الأكبر

ومؤكدا على أن الجهاد فى الإسلام ينصرف إلى نواح كثيرة ومتعددة فهناك الجهاد بالعمل السياسى والجهاد بإنفاق المال وجهاد النفس الذى هو أعلى مراتب الجهاد حتى أن الرسول ﷺ سماه الجهاد الأكبر، ثم هناك الجهاد بمدلول القتال، وهو لا يكون إلا عند الضرورة، لأن الإسلام يعتبر أن الحرب جريمة، وخرقا للسلام لا يقبلها إلا إذا كان لها دواع مشروعة فأول آية شرعت الجهاد ربطته برد الظلم، يقول تعالى: **﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾** الحج: آية ٣٩.

الورقة الأخيرة

فالسلم هو الأصل وإنما الحرب ضرورة يلجأ إليها الإسلام حين يستعصى الأمر أى حين تكون هى الإمكانية الأخيرة لحل الخلافات والنزاعات، والإسلام بهذا ـ أى بإقراره الحرب فى هذا الإطار ـ دين الحياة والواقع يتعامل مع طبيعة البشر، وما قد تنزع إليه من ظلم وعدوان.

فالحرب ـ كما يضيف ـ تعد خرقا للسلام الذى هو الأصل والأساس لا يلجأ إليها ـ وبضوابط دقيقة وآداب مثالية ـ إلا للضرورة وباضطرار كالدفاع عن النفس ورد الظلم وما إليهما من قضايا عادلة يبررها الشرع.

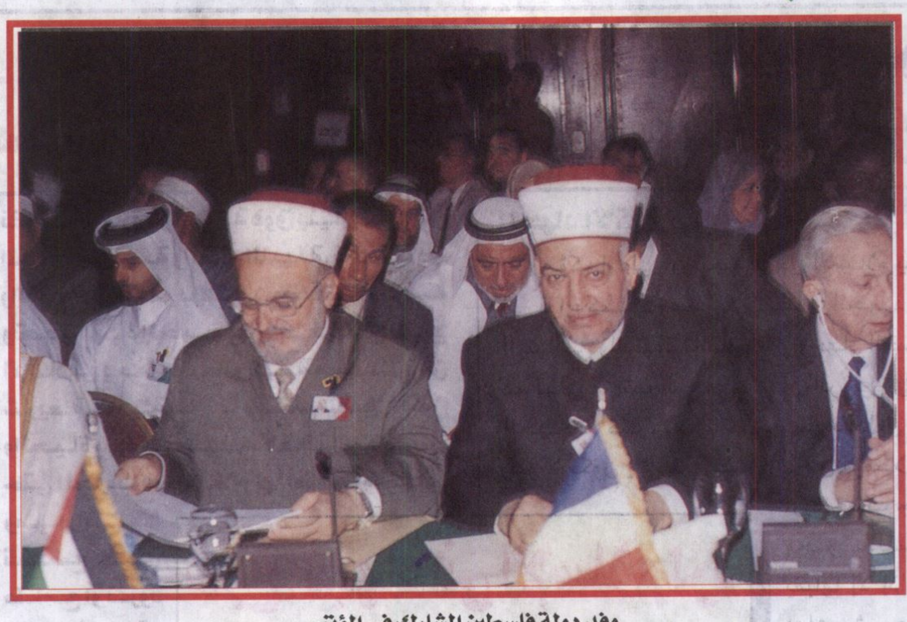

وفد دولة فلسطين المشارك فى المؤتمر

الشيخ عكرمة صبرى المفتى العام للقدس وفلسطين

ما من عقوبة ورد ذكرها فى القرآن تتعلق بحقوق العباد إلا ويرافقها دعوة ربانية للعفو

الإسلام دين واقعى يستجيب للفطرة الإنسانية ويتفاعل مع متطلبات الحياة فى كل زمان ومكان، لذا فإن دعوته للتسامح مع الآخرين ليست شعارا براقا يرفع أو كلمات جوفاء تَتَرَدَّد وإنما هى تطبيق عملى، وممارسة فعلية لمبدأ رفيع من مبادئ الإسلام الساطعة التى لم تعرف البشرية لها مثيلا طوال تاريخها الطويل.

التسامح ليس ضعفا

دلائل دامغة وبراهين مؤكدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للتطبيق العملى لقيمة التسامح فى الإسلام يعرضها فضيلة الشيخ عكرمة صبرى المفتى العام للقدس والديار الفلسطينية فيقول: إن دعوة الدين الإسلامى العظيم تهدف لبث القيم الخلقية الرفيعة، والتى منها خلق الصفح والعفو والمسامحة، يقول تعالى: **﴿فاصفح الصفح الجميل﴾** الحجر: آية ٨٥.

ويقول تعالى فى آية أخرى: **﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾** التغابن: آية ١٤.

وقد يتصور البعض أن التسامح يأتى عن ضعف واستكانة واستسلام وهذا توهم خاطئ، مغاير للحقيقة، فالتسامح ينطلق من القوة والمقدرة. يقول الله تعالى: **﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾** الشورى: آية ٤٠.

الحث على العفو والمسامحة

ويوضح الشيخ عكرمة صبرى أنه ما من عقوبة من العقوبات التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم تتعلق بحقوق العباد إلا ويرافقها مطلب ربانى يحث على الصلح والعفو والمسامحة فيقول عز وجل: **﴿وليعفوا وليصفحوا﴾** النور: آية ٢٢.

وبهذا العفو والصفح والمغفرة تزداد الألفة ويعم الاستقرار فى المجتمع وتخمد الفتن وينزع فتيل الأحقاد.

وعن مجالات التسامح يقول فضيلته إنها مجالات واسعة ومتعددة ومتشبعة ومن أبرزها التعامل مع الناس بالحسنى فى البيع والشراء وسائر المعاملات لقول الرسول ﷺ **«رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»**.

مبادئ الإسلام فى العفو والصفح تهدف لإخماد نار الفتن ونزع فتيل الأحقاد

وهناك العفو والتسامح فى الدماء وسائر العقوبات فما من عقوبة ترد فى القرآن وتتعلق بحقوق العباد، إلا ويقابلها طلب للعفو والمسامحة والإصلاح كقوله تعالى: **﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل﴾**.

كذلك يكون التسامح من الحاكم الصالح العادل لرعيته لقوله ﷺ: **«يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وتطاوعا ولا تختلفا»**.

إقرار التعددية

ويؤكد المفتى العام للقدس وفلسطين أن صورة الإسلام الناصعة تتجلى فى تسامح الإسلام مع أتباع الديانات الأخرى، فلم يضق بها ذرعا، بل أقر التعددية وتعامل مع أتباع الديانات بتسامح ومحبة بعيدا عن التعصب والمعاداة.

وقد وضع القرآن المبدأ العام لتعامل المسلمين مع غيرهم وذلك من خلال قوله تعالى: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾** الممتحنة: الآية ٨.

أسس الحرية الدينية

ويضيف فضيلته إن الإسلام العظيم قد منح أصحاب الديانات الأخرى حرية العقيدة والديانة والعبادة وهذه الحرية تقوم على الأسس الآتية: أن الأنبياء والمرسلين أخوة لا تفاضل بينهم فى النبوة والوحى والله تعالى يقول: **﴿لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾**.

كما لا يجوز الإكراه على العقيدة لقوله تعالى: **﴿لا إكراه فى الدين﴾** البقرة: آية ٢٥٦. كذلك حث الإسلام على أن تكون المناقشة والمجادلة مع أصحاب الديانات الأخرى بأسلوب حسن وبالحكمة حيث يقول تعالى: **﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾**.

ومن الأسس الهامة التى تقوم عليها حرية العقيدة فى الإسلام أن أماكن العبادة لأصحاب الديانات محترمة ومصونة، يقول تعالى: **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾**.

الدكتور عبدالعزيز التويجرى المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة:

التفاعل بين الحضارات سنة من سنن الخلق وصبغة الله على كل الحضارات المتعاقبة

طوال تاريخها الطويل ظلت الحضارات الإسلامية هى النبع الأصيل للعطاء، والرافد الغزير للعلم والمعرفة للإنسانية جمعاء ولاتزال هذه الحضارة العظيمة حية نابضة رغم كل عوامل الضعف التى دبت فى جسد الأمة الإسلامية، فهى حضارة سامقة تتميز بوسطيتها وتحمل فى داخلها بذورا كامنة من الحيوية المتجددة تجعلها أكثر قدرة وأعمق أثرا وأكثر ثراء عما سواها من الحضارات ولا ريب فى ذلك فهى حضارة إيمانية متوازنة تستمد روحها من الدين الإسلامى الحنيف.

الحضارة الإسلامية حضارة إيمانية انبثقت من العقيدة الإسلامية فاستوعبت مضامينها وتشربت مبادئها

نموذج فريد للتفاعل

فى ظل الأحداث والمتغيرات الدولية الأخيرة التى عصفت بمفاهيم التواصل والتفاعل والحوار بين الحضارات من أجل الإنسانية، تبرز أهمية مواصلة بحث القضايا التى تتعلق بتلك المفاهيم التى يتصدى للحديث عنها الدكتور عبدالعزيز التويجرى - المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والتعليم والثقافة - والذى يرى أن التفاعل بين الحضارات هو سنة من سنن الخلق وصبغة الله فى كل حضارة من الحضارات الإنسانية المتعاقبة، ويقول: لقد كانت الحضارة الإسلامية فى أوج ازدهارها نموذجا لهذا التفاعل بالمعنى الدقيق للكلمة ويقول: إن التفاعل الحضارى كما يوضح القرآن الكريم وسط بين التواصل والتدافع، كذلك هو وسط بين الانغلاق والعزلة، وبين التقليد والتبعية لذا فهو يستلزم ويستوجب اكتشاف مساحة الخصوصية الحضارية المكونة لهويتنا الحضارية والتى لابد من إحيائها والتمسك بها وحمايتها كما تحمى الأمم أعراضها، بل وصناعتها الوطنية واكتشاف مساحة المشترك الإنسانى العام فى الإبداع الإنسانى.

حضارة الخلق والإبداع

ويشير الدكتور عبدالعزيز التويجرى إلى أن الحضارة الإسلامية نوعان: النوع الأول: حضارة إسلامية أصيلة وتسمى حضارة الخلق والإبداع وقد كان المسلمون مصدرها الوحيد وعرفها العالم لأول مرة عن طريق الإسلام، والنوع الثانى: حضارة قام بها المسلمون فى الأمور التجريبية امتدادا وتحسينا كما عرفها الفكر البشرى من قبل وتسمى حضارة البعث والإحياء.

كما أن الحضارة الإسلامية ليست حضارة جنس معين فتكون

بذلك حضارة قومية تنتمى إلى قوم مخصوصين، ولكنها حضارة جامعة شاملة للأجناس والقوميات جميعا التى كان لها نصيبها من قيام هذه الحضارة.

حضارة إيمانية إنسانية

ويحدد الدكتور التويجرى أهم الخصائص التى تميز الحضارة الإسلامية فى خصائص خمس هى:

الأولى: أنها حضارة إيمانية انبثقت من العقيدة الإسلامية فاستوعبت مضامينها وتشربت مبادئها واصطبغت بصبغتها.

الثانية: أنها حضارة إنسانية المنزع عالمية فى آفاقها وامتداداتها لا ترتبط بإقليم جغرافى ولا بجنس بشرى ولا بمرحلة تاريخية.

استجابت الحضارة الإسلامية لكل الحاجات البشرية فحق لها أن تكون هى حضارة العالم لعقود طويلة

الثالثة: أنها حضارة معطاءة؛ أخذت واقتبست من الحضارات والثقافات الإنسانية التى عرفتها شعوب العالم القديم، وأعطت عطاء زاخرا بالعلم والمعرفة والفن الإنسانى الراقى وبقيم الخير والعدل والمساواة والفضيلة وكان عطاؤها الإنسانى للإنسانية جمعاء.

الرابعة: أنها حضارة متوازنة، وازنت بين الجانب الروحى وبين الجانب المادى فى اعتدال هو طابع من طوابع الفكر الإسلامى وميزة من مزايا الحضارة الإسلامية فى كل العصور.

الخامسة: أنها حضارة باقية بقاء الحياة على وجه الأرض، تستمد بقاءها من الإسلام الذى قامت على أساس مبادئه، وقد تكفل الله بحفظ الدين الحنيف، وهى بذلك حضارة لا تشيخ ولا تنقرض.

ويقول الدكتور التويجرى: إذا كانت الحضارة هى رد فعل الحاجات البشرية، فإن الحضارة الإسلامية استجابت لهذه الحاجات جميعا وهى حضارة العالم بلا منازع لعقود كثيرة، وبذلك تكون الحضارة الإسلامية هى صاحبة الفضل فى إرساء حجر الأساس للحضارة الأوروبية الحديثة.

مرحلة التفاعل الداخلى

وعن واقع الحضارة الإسلامية اليوم يؤكد الدكتور التويجرى أنه واقع لا يعبر عن المكانة التى ينبغى أن تتبوأها الأمة الإسلامية ذات الرسالة الحضارية الإسلامية، ولكن ذلك كما يقول لا يسيغ لنا أن نحكم على الحضارة الإسلامية بالانهيار؛ فمصير الحضارات لا يرتبط بالوقائع التاريخية فى فترات زمنية محدودة ولا يتقرر هذا المصير وفقا للنتائج المترتبة على مضاعفات الأزمات التى تلم بالمجتمعات، فالحضارة الإسلامية فى هذه المرحلة من التاريخ هى فى حالة تفاعل داخلى يهيئ لبدء دورة حضارية جديدة، ويؤكد ذلك كله الإرهاصات التى نشاهدها على أكثر من مستوى، والتحولات العميقة التى تعيشها الأمة الإسلامية والتى لابد وأن تنتهى إلى مبادرات إيجابية ستكون حاسمة فى تقرير مصير العالم الإسلامى، بل ستكون حاسمة فى تقرير مصير العالم كله.

بيان القاهرة

تمكين العقل الإنسانى من التعرف على الحقائق يمكن المجتمع الدولى من أداء رسالته فى حفظ السلام

أصدر المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى ختام أعماله بيان القاهرة الذى أكد أنه من منطلق إحقاق الحق وإبطال الباطل وإقرار الحقائق التاريخية فإن المؤتمر يواجه التزييف المتعمد والحملة الضارية على الحضارة الإسلامية التى انطلقت من تعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه، والتى قدمت عطاء ثريا للإنسانية وأن هذا المؤتمر الذى يبرز قيمة التسامح فى الحضارة الإسلامية يلفت النظر إلى أهمية إسهام المسلمين فى دعم جهود السلام والأمن والرخاء فى العالم على مدى التاريخ.

يعيش عالمنا المعاصر فترة من أصعب فترات التاريخ الإنسانى فقد تغير الكثير من المفاهيم والمعطيات واهتزت كثير من القيم والمعايير الإنسانية المتعارف عليها منذ فجر التاريخ وتاهت فى معظم الأحيان معالم الطريق نحو قيم الحق والعدل والخير والجمال.

ولا شك فى أن الأوضاع المأساوية التى يواجهها عالمنا اليوم تحتم على عقلاء العالم ومفكريه بذل جهود فائقة فى محاولة جادة لمعالجة هذه الأوضاع وتصحيح المسار والتنبيه إلى الأخطار المحدقة بعالمنا والكشف عن الحقائق دون تزييف من أجل توعية الأمم والشعوب بحقائق الأمور وتمكين العقل الإنسانى من التعرف على الحقائق دون ضغط إعلامى موجه يسعى إلى الترويج لمفاهيم مغلوطة وأفكار خاطئة من شأنها إثارة البلبلة والسعى إلى الهيمنة على كافة المستويات انطلاقا من غرور القوة وغطرسة التعامل دون مراعاة للقيم والمعايير الإنسانية وتقاعس المجتمع الدولى عن أداء رسالته فى حفظ السلام عن طريق المنظمات الدولية.

وغير خاف على أحد أن الحضارة الإسلامية ـ التى انطلقت من تعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه والتى قدمت عطاء ثريا للإنسانية ـ تتعرض اليوم لحملة ضارية من التزييف والجحود ونكران الجميل مما يعطى للأجيال الجديدة انطباعا زائفا يلصق بهذه الحضارة كل صفات العدوان والتدمير ويجردها من كل القيم الإنسانية الرفيعة التى أرست قواعدها منذ أربعة عشر قرنا من الزمان.

ومن منطلق إحقاق الحق وإبطال الباطل وإقرار الحقائق

التاريخية يأتى المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت عنوان **«التسامح فى الحضارة الإسلامية»** ليواجه هذا التزييف المتعمد وليكشف على نحو موضوعى حقيقة الإسلام وتسامحه الفريد مع كل الأمم والشعوب والحضارات والأديان. وليبرز قيمة التسامح على الصعيدين النظرى والعملى فى الحضارة الإسلامية ويبين أنها لم تكن أبدا مجرد شعار لا مضمون له وإنما كانت وستظل واقعا معاشا له رسوخه فى العقول ومكانته فى القلوب وجذوره فى التاريخ. وفضلا عن ذلك ليسهم بقدر المستطاع فى نشر قيمة التسامح فى عالمنا الذى يتطلع إلى السلام والاستقرار فى مواجهة طوفان التعصب والكراهية الذى يريد أن يغرق العالم فى دوامته المدمرة.

ولابد لنا أن نشير فى هذا المقام إلى أنه ليس من مصلحة هذا العالم واستقراره أن تكال الاتهامات الظالمة لحضارة من الحضارات أو لأمة من الأمم ومحاولة إعلاء شأن إحدى الحضارات على غيرها. فسلام العالم لا يمكن أن يتحقق دون تضامن البشرية كلها فى السعى الجاد نحو تحقيقه. ولكن هذا السلام المنشود لن يكتمل إلا إذا أقيمت موازين العدل فى العالم وتحررت الشعوب مما تعانيه من الظلم والقهر والطغيان حتى تستطيع أن تشارك بفاعلية فى صنع السلام.

والمسلمون الذين يشكلون أكثر من خمس سكان العالم لهم دورهم الذى لا يجوز تجاهله فى الإسهام فى بناء السلام والاستقرار فى العالم. وهم بما لديهم من رصيد حضارى يعرفه التاريخ قادرون على تحمل مسئولياتهم فى هذا السبيل.

وهذا المؤتمر الذى يبرز قيمة التسامح فى الحضارة الإسلامية يلفت النظر إلى أهمية إسهام المسلمين فى دعم جهود السلام والأمن والرخاء فى العالم على مدى التاريخ.

إن الحضارة الإسلامية التى انطلقت من تعاليم الإسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان قد ضربت أروع الأمثلة فى التسامح والتعايش الإيجابى بين الأمم والشعوب من مختلف الحضارات والثقافات والأديان والأجناس ولا تزال هذه التعاليم الإسلامية حية وقادرة على صقل عقل الأمة وتوجيه سلوكها وتعاملها مع كل البشر فى كل زمان ومكان.

سلام العالم لا يمكن أن يتحقق دون تضامن البشرية فى السعى الجاد نحو تحقيقه

وقد برهنت البحوث العلمية التى قدمت للمؤتمر على مدى أربعة أيام بوضوح وبما لا يدع مجالا للشك أن الإسلام على مدى تاريخه كله كان نموذجا فريدا للتسامح وأنه لم يعرف التعصب أو التمييز. فالناس جميعا لديه سواء لا فضل لأحد منهم على غيره إلا بالتقوى والعمل الصالح وأنه على الرغم مما بينهم من اختلافات غير جوهرية فإنهم مدعوون للتعارف والتآلف والتعاون فيما بينهم من أجل خير البشر جميعا.

لقد كانت السمة الغالبة على الحضارة الإسلامية هى التسامح الذى برز فى العقيدة الإسلامية منذ أول لحظة من ظهور الإسلام. ومن الأمثلة البارزة فى هذا الصدد ذلك العفو الذى

أصدره النبى عليه الصلاة والسلام عن أهل مكة الذين آذوه وأتباعه بشتى ألوان الإيذاء والتعذيب والتجويع .فقد عفا عنهم جميعا بعد أن دخل مكة قائلا لهم : **«اذهبوا فأنتم الطلقاء»**.

ومن الأمثلة البارزة على التسامح أيضا تأسيس مجتمع المدينة الذى سجلته الوثيقة التى أصدرها النبى بعد الهجرة إليها. فقد أسس مجتمعا متعدد الأديان والثقافات يتعايش فيه الجميع على قدم المساواة دون تمييز.

كما شهدت الأندلس فى العصور الوسطى الأوروبية فى ظل الحضارة الإسلامية نموذجا رائعا للتعايش السلمى والتفاعل الإيجابى بين المسلمين والمسيحيين واليهود وشهدت الحروب الصليبية نموذجا آخر تجسد فى تسامح صلاح الدين الأيوبى بعد أن استرد بيت المقدس عام ١١٨٧م فقد سجل له التاريخ تسامحه النادر مع خصومه مما لا يخفى على أى مطلع على هذا التاريخ. والأمثلة كثيرة ومتعددة تفوق الحصر.

ومن ذلك كله وغيره كثير يتضح لنا مدى حرص الإسلام على قيمة التسامح قولا وفعلا. ويؤكد ذلك فى وضوح تام أن الإسلام عندما يكون مضطرا للدخول فى حرب ضد عدوان خصومه فإنه لم يكن يكتفى برد العدوان بل نراه يتقدم خطوة هامة فى سبيل محاربة العداوة فى نفوس الأعداء علهم ينقلبون إلى أصدقاء .ويسجل القرآن ذلك فى قوله: **﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾**.

وهذه الروح المتسامحة التى ظلت تسرى فى جميع مجالات الحضارة الإسلامية كانت تتجاوز دائما دائرة المجتمع الإسلامى لتنتشر فى دوائر أوسع تسع البشرية كلها .وقد كان هذا الموقف الثابت مبنيا على أساس ما أكده القرآن الكريم من أن الناس جميعا قد خلقوا من نفس واحدة .فالكل إخوة تجمعهم رابطة الإنسانية بصرف النظر عن أعراقهم وأديانهم ولغاتهم.

الإسلام ليس مسئولا عن تصرفات الحمقى من أتباعه

ولا يجوز تحميل الإسلام مسئولية ما يفعله بعض الحمقى من بين أبنائه من تصرفات لا يرضى عنها الإسلام .فمثل هؤلاء موجودون فى كل الأزمنة وفى كل الحضارات والأديان.

إن عالمنا فى أشد الحاجة إلى التسامح أكثر من أى وقت مضى .فالتعصب والانغلاق من شأنهما تغذية نار الكراهية بين الأمم والشعوب والانزلاق إلى مزيد من الحروب والنزاعات التى تؤدى إلى التدمير العبثى لكل ما هو جميل فى هذا العالم. ونحن جميعا مسئولون عن كل ما يحدث إذا لم نبذل أقصى الجهود لمنع هذا التدمير العبثى.

ومن هنا فإن العالم مطالب بمراعاة مستقبل الأجيال الجديدة التى لم يكن لها ذنب فى أى نزاع سابق .ومن حقها علينا أن نهيئ لها الفرصة لبناء مستقبل يسود فيه التسامح بين الأفراد والجماعات.

التوصيات

رفض محاولات طمس الهوية الإسلامية

فى ختام أعماله أصدر المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية توصياته طالب فيها دول العالم بضرورة ترسيخ الاحترام المتبادل بين أبناء كل الديانات السماوية السابقة لأن الإسلام جعلها أساسا فى عقيدته ونادى بتكريم الإنسان والاعتراف بكل حقوقه فى المجتمع ومنها حق العقيدة.

وناشد المؤتمر وسائل الإعلام فى البلاد غير الإسلامية أن تتفهم حقيقة الجهاد فى الإسلام بدلا من تشويه صورته وربطه بالإرهاب وأن تكف عن الخلط بين ممارسة الدفاع المشروع ضد العدوان وهو حق أقرته المواثيق الدولية للشعوب المقهورة أو المحتلة وبين الأعمال الإجرامية التى يرتكبها بعض الناس بدافع التعصب الدينى أو التعصب العنصرى الذى يتستر برداء الدين.

انطلاقا من دور جمهورية مصر العربية وأزهرها الشريف، ومسئوليتها التاريخية تجاه الإسلام والمسلمين. دعت وزارة الأوقاف فى مصر إلى عقد المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت عنوان:

«التسامح فى الحضارة الإسلامية»

بمدينة القاهرة فى الفترة من ٨ـ ١١ ربيع الأول ١٤٢٥هـ ـ الموافق ٢٨/٤ ـ ١ مايو ٢٠٠٤م

تحت الرعاية الكريمة للسيد الرئيس/ **محمد حسنى مبارك** رئيس جمهورية مصر العربية.

والرئاسة الشرفية لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور **محمد سيد طنطاوى** شيخ الأزهر.

وقد رأس المؤتمر فضيلة الأستاذ الدكتور **محمود حمدى زقزوق** وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وشارك فيه ممثلون عن الدول والمنظمات الإسلامية العالمية التالية:

أولا: من الدول العربية:

المملكة الأردنية الهاشمية ، الإمارات العربية المتحدة، مملكة البحرين ، الجزائر، جيبوتى، المملكة العربية السعودية ، السودان، سوريا، سلطنة عُمان، الصومال، العراق، فلسطين، قطر، جمهورية القمر المتحدة، الكويت، لبنان، ليبيا، مصر، المملكة المغربية، موريتانيا، اليمن.

ثانياً: من الدول الأفريقية:

أريتريا، أوغندا، تشاد، تنزانيا، جنوب أفريقيا، زيمبابوى، السنغال، غينيا كوناكرى، كينيا، موزمبيق، نيجيريا.

ثالثا: من الدول الآسيوية:

أذربيجان، أندونيسيا، أوزبكستان، إيران، باكستان، بنجلاديش، سنغافورة، الصين، كازاخستان، المالديف، ماليزيا، الهند.

رابعاً: من الدول الأوروبية:

ألمانيا، إنجلترا، إيطاليا، بلجيكا، بلغاريا، البوسنة والهرسك، تركيا، سويسرا، روسيا، الفاتيكان، فرنسا، كوسوفا، المجر، النمسا، اليونان.

خامساً: الأمريكتان:

الأرجنتين، كندا، الولايات المتحدة الأمريكية.

سادساً: استراليا:

سابعاً: المنظمات والهيئات العالمية التالية:

١ ـ منظمة المؤتمر الإسلامى.

٢ ـ المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة.

٣ ـ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو).

٤ ـ رابطة الجامعات الإسلامية.

٥ ـ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت.

٦ ـ جمعية الدعوة الإسلامية فى ليبيا.

وقد افتتح المؤتمر بكلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية، ألقاها نيابة عن سيادته الأستاذ الدكتور عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء.

وتحدث فى الجلسة الافتتاحية فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، وقداسة البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، والأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية «رئيس المؤتمر».

كما تحدث باسم الوفود المشاركة الأستاذ الدكتور عصام أحمد البشير وزير الأوقاف بالسودان.

وقد قرر المؤتمر اعتبار كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية وثيقة مهمة من وثائق المؤتمر يتم الاسترشاد بما جاء فيها من توجيهات.

وتابع المؤتمر جلساته صباحا ومساء على مدى أربعة أيام حيث ألقيت ونوقشت البحوث المقدمة من السادة المشاركين وبلغ عددها (٧٥) بحثا باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية دارت حول المحاور الرئيسية الآتية:

● **المحور الأول:** التسامح الإسلامى بين النظرية والتطبيق.

● **المحور الثانى:** الإسلام والآخر فى العلاقات الدولية.

● **المحور الثالث:** التسامح الإسلامى بين الحقيقة والافتراء.

الجهاد ليس إرهابا لأنه شرع لرد العدوان ودفع الطغيان

وقد شكل المؤتمر لجنة لصياغة توصياته برئاسة الأستاذ الدكتور صوفى أبو طالب وعضوية ممثلين عن الوفود المشاركة لوضع مشروع التوصيات من واقع البحوث التى طُرحت وما أسفرت عنه المناقشات والمداخلات، والتى شارك فيها أعضاء الوفود من كبار المسئولين والعلماء والمفكرين من الدول المشاركة.

وقد انتهت اللجنة إلى مشروع التوصيات التالية:

١ ـ ينادى الإسلام بتكريم الإنسان والاعتراف بحقوقه فى المجتمع كما يؤمن بتتابع الرسالات الإلهية وتعاونها ولذلك يؤكد المؤتمر على ضرورة ترسيخ الاحترام المتبادل بينها وما تنادى به من إيمان بالله ورسله وبما تدعو إليه من أخلاق فاضلة وأخوة إنسانية كما يؤكد على ضرورة العمل على استظهار القيم المشتركة بين هذه الرسالات بما يحقق خير الإنسانية وسعادتها. وتحقيقا لبلوغ هذه الغايات يناشد المؤتمر كل الهيئات الدينية وجميع المؤسسات العلمية والثقافية والسياسية فى سائر أنحاء العالم

بذل أقصى جهد لاستمرار الحوار بين الأديان ودعمه.

٢ ـ أقام المسلمون فى الماضى حضارة زاهرة أفادت منها البشرية جمعاء واستمدت جذورها من الكتاب والسنة واستعارت بعض جوانبها من الحضارات القديمة التى سبقتها وكانت هى الأساس الذى قامت عليه الحضارة الأوروبية فى عصر النهضة وما بعده وهى حضارة متفتحة على العالم الخارجى تجمع بين العلم والإيمان بين الماديات والروحانيات بين الدنيا والآخرة وتقبل التعايش مع غيرها من الحضارات أخذاً وعطاء ويناشد المؤتمر سائر المؤسسات الثقافية والعلمية والسياسية فى العالم العربى والإسلامى وفى المجتمعات غير الإسلامية بذل أقصى الجهود لإقامة حوار بين الحضارات يستهدف تعميق مبدأ تواصل الحضارات وتكاملها ويرفض إعلاء شأن بعضها على حساب بعضها الآخر ورفض كل أساليب التشكيك فى الحضارة الإسلامية أو تشويه صورتها.

٣ ـ إن التسامح الدينى من السمات الأساسية للحضارة الإسلامية .ويناشد المؤتمر المؤسسات والهيئات العلمية داخل البلاد الإسلامية وخارجها العناية بالوثائق التى تبرز التطبيقات العملية فى التاريخ الإسلامى لهذا التسامح الدينى والحضارى وبسط ما ورد فى المواثيق التاريخية فى هذا الخصوص مثل: صحيفة المدينة ـ صحيفة نجران ـ التسامح فى فتح مكة ـ العهدة العمرية ـ دستور حكم مدينة القدس ـ سلوك صلاح الدين الأيوبى فى معاملة الصليبيين ـ عهد محمد الفاتح لأهالى القسطنطينية عندما فتحها المسلمون.

كما يناشد المؤتمر العلماء ومراكز البحوث فى سائر أنحاء العالم التخلى عن سياسة التنقيب فى كتب التاريخ للبحث عن عورات الحضارة الإسلامية وضرورة التركيز على الجوانب الإيجابية لها وتناسى الماضى المشبع بالعنصرية والعصبية الدينية من الجانبين والابتعاد عما يثير الكراهية والحقد بين الشعوب.

٤ ـ يؤكد المؤتمر على حق كل شعب فى الحفاظ على هويته الحضارية وخصوصياتها فى إطار من التعاون مع الحضارات الأخرى ولذلك يرفض المؤتمر كل المحاولات الظاهرة والمستترة التى تحاول طمس الهوية الإسلامية أو استبدال غيرها بها.

٥ ـ إن تفرق المسلمين وتجزئة دولتهم كان على رأس أسباب تخلفهم عن ركب التقدم العلمى المعاصر وجمود بعض عناصر الحضارة الإسلامية فى مجال العلوم التطبيقية من كيمياء وفيزياء.. وغيرها.

ويناشد المؤتمر الدول الإسلامية التعاون والتنسيق والتكامل فيما بينها فى مجالات البحوث العلمية حتى تلحق بركب التقدم وتحتل المكان اللائق بها بين الأمم.

٦ ـ يناشد المؤتمر حكومات وشعوب العالم الإسلامى زيادة الاهتمام باللغة العربية ـ لغة القرآن الكريم ـ وتاريخ الأمة الإسلامية والتربية الوطنية وكتابات الفقهاء المعتمدة فى شرح أحكام الشريعة الإسلامية وتجديد الأحكام غير القطعية فيها بما يتفق مع ظروف العصر اعتمادا على مصادر الشريعة الاجتهادية من عرف ومصالح مرسلة وغيرها .مع ضرورة التعاون والتنسيق بين المجامع الفقهية فى البلاد الإسلامية وكذلك التعاون والتنسيق بينها فى برامج التعليم بهدف تنمية الانتماء والولاء لأمتهم الإسلامية.

٧ ـ يهيب المؤتمر بكل الهيئات والمنظمات التى تتولى شئون الإعلام فى البلاد الإسلامية من صحافة وقنوات فضائية إسلامية وعربية أن تفسح مجالا كافيا لإظهار المفاهيم الحقيقية للإسلام باللغات الأوروبية الحية والابتعاد عن الابتذال أو التزمت فى عرضها.

٨ ـ يناشد المؤتمر وسائل الإعلام فى البلاد غير الإسلامية أن تتفهم حقيقة الجهاد فى الإسلام بدلا من تشويه صورته وربطه بالإرهاب. فالإسلام دين سلام كما جاء فى القرآن الكريم: **﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة﴾** البقرة: آية ٢٠٨.

ويأمر الإسلام بمسالمة الأعداء لقوله تعالى: **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾** الأنفال: اية ٦١. وقد أباح الحرب على سبيل الاستثناء ردا للعدوان ودفعا للطغيان وقيد ممارستها بالعديد من القيود التى تتفق مع ما قررته اتفاقيات جنيف الأربعة الصادرة سنة ١٩٤٩م.

٩ - يناشد المؤتمر وسائل الإعلام فى سائر أنحاء العالم أن تكف عن الخلط بين ممارسة حق الدفاع المشروع ضد العدوان. وهو حق أقرته المواثيق الدولية للشعوب المقهورة أو المحتلة - وبين الأعمال الإجرامية التى يرتكبها بعض الناس بدافع التعصب الدينى أو التعصب العنصرى الذى يتستر برداء الدين أو التى ترتكبها بعض الدول تحت شعار الدفاع الشرعى .فالإسلام ينكر العنف والإرهاب وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى: **﴿من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾** المائدة: آية ٣٢. لذلك يدعو المؤتمر شعوب العالم للتصدى للإرهاب بعد تحديد مفهومه وتعريفه بصورة واضحة والوقوف على أسبابه والقضاء عليها حتى يستطيع المجتمع الدولى أن يدعو إلى إقامة نظام مقبول يحقق التعاون فيما بين الدول لمكافحة الإرهاب واتخاذ تدابير جماعية للحيلولة دون وجود ملاذات آمنة أو دعم مادى أو أدبى للمنظمات الإرهابية.

١٠ - يناشد المؤتمر الحكومات والهيئات والمنظمات التى تتولى شئون الدعوة الإسلامية بذل مزيد من الجهد فى تزويد المسلمين - الناطقين بغير اللغة العربية والأقليات الإسلامية فى البلاد غير الإسلامية - بالصورة الصحيحة للإسلام وحضارته وترجمة ذلك إلى اللغات الأجنبية الحية.

ويبارك المؤتمر الجهود التى تبذلها بعض الدول الإسلامية - ومنها مصر - لإعداد دعاة ملمين باللغات الأجنبية - وقادرين على عرض مبادئ الإسلام الصحيحة وما يتضمنه من حلول لمشكلات العصر وكيفية التوفيق بين أوضاع المسلمين وما يسود البلاد غير الإسلامية من نظم وتقاليد بغية تحقيق التعايش السلمى بين الديانات والحضارات المختلفة.

١١ - يبارك المؤتمر الخطوات الجادة التى اتخذتها كثير من الدول غير الإسلامية فى التسليم بحق المسلمين الموجودين بها فى التزود بالثقافة الإسلامية وتعاليم الإسلام الصحيحة سواء فى دور التعليم الخاصة أو الحكومية أو فى المراكز الثقافية الإسلامية.

كما يناشد هذه الدول تمكين المسلمين من ممارسة شعائرهم الدينية إعمالا لحرية العقيدة التى تنص عليها دساتيرها ومواثيق حقوق الإنسان مع تمكينهم من السير على هدى أحكام الشريعة الإسلامية وخاصة فى مسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وغيرهما أسوة بما تتبعه البلاد الإسلامية مع غير المسلمين المقيمين بها أو الحاصلين على جنسيتها.

١٢ - إن تقدم الحضارة رهين بقوة دولتها والمسلمون بنص القرآن الكريم أمة واحدة. وإن كانت الظروف الراهنة أدت إلى تفرقهم فلا أقل من قيام تكامل سياسى واقتصادى فى إطار الحضارة الإسلامية. لذلك يناشد المؤتمر حكومات الدول الإسلامية العمل على تقوية الاتحادات والمنظمات الإقليمية ووضع نظام يكفل حرية انتقال الأشخاص والأموال بينها والتمتع بسائر الحقوق لأبناء الدول الإسلامية داخل أى دولة منها على قدم المساواة مع أبنائها.

١٣ - انطلاقا من تكريم الإسلام للإنسان وتأكيدا للأخوة الإنسانية أقر الإسلام مجموعة من الحقوق العامة والحريات الأساسية وأبرزها حرية العقيدة **﴿لا إكراه فى الدين﴾** وحق ممارسة الشعائر الدينية وتقنين مبدأ المساواة بين الناس أجمعين دونما تمييز وحق كل مواطن فى التعبير عن آرائه بصورة فردية أو فى صورة تجمعات نقابية أو جمعيات أو غيرها.

ويحيى المؤتمر الجهود التى تبذلها بعض الدول الإسلامية فى السماح بقيام هيئات وجمعيات لحماية حقوق الإنسان.

١٤ ـ يؤكد المؤتمر على ضرورة احترام مبدأ الشورى كأساس لنظم الحكم فى الدول الإسلامية وهو يتسع لجميع صور الديمقراطية الليبرالية المعاصرة.

ويناشد المؤتمر الدول الإسلامية بمضاعفة الجهد لتعميق مفهوم الديمقراطية وإزالة العوائق التى تحول دون تكوين الأحزاب وتداول السلطة.

١٥ ـ يناشد المؤتمر الدول الإسلامية احترام ما قرره الإسلام من حقوق للمرأة ونبذ العادات الدخيلة التى باعدت بينها وبين ممارسة حقوقها. فالنساء شقائق الرجال فى الحقوق والواجبات ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف.

توصيات عامة:

١ ـ يدين المؤتمر الممارسات الوحشية لحكومة إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى واجتياح المدن الفلسطينية من حين لآخر وهدم المساكن وقتل الأبرياء المدنيين من الشيوخ والنساء والأطفال كما يستنكر قيام حكومة إسرائيل باغتيال القيادات الفلسطينية ويندد ببناء الجدار العازل الذى يقتطع أجزاء من أرض السلطة الفلسطينية ويقطع سبل الاتصال بين الفلسطينيين فى الضفة الغربية ويدعو المؤتمر المجتمع الدولى إلى ضرورة التدخل لحماية الشعب الفلسطينى ووضع حد لجميع تلك الانتهاكات الصارخة والعمل على تنفيذ خارطة الطريق التى سبق أن وافقت عليها الأمم المتحدة بما يضمن قيام الدولة الفلسطينية على أرض فلسطين داخل حدود ما قبل حرب يونيو ١٩٦٧م. مع تمكين الشعب الفلسطينى من ممارسة حقوقه المشروعة فوق أرضه بما فيها القدس الشريف. كما يناشده فرض إرادته على إسرائيل فى ضرورة نزع أسلحة الدمار الشامل التى لديها أسوة بما تم مع دول الجوار.

٢ـ يدعو المؤتمر الدول الإسلامية وكل الدول المحبة للسلام بذل قصارى جهدها لدى الولايات المتحدة الأمريكية للكف عن تأييدها المطلق لإسرائيل فى ضم مستوطنات الضفة الغربية ورفض السماح للاجئين الفلسطينيين العودة إلى ديارهم بالمخالفة لقرارات مجلس الأمن وعلى الخصوص القرارين رقمى ٢٤٢ ، ٣٣٨.

٣ ـ يبدى المؤتمر أسفه الشديد للفوضى الأمنية التى سادت العراق بعد الاحتلال الأنجلو أمريكى لها وما نجم عن ذلك من تدمير وتخريب وقتل للأبرياء. ويدعو المؤتمر دول العالم الحر والمنظمات الدولية إلى ضرورة التدخل لدى الولايات المتحدة الأمريكية لإنهاء احتلالها للعراق وتمكين أبناء العراق من ممارسة سيادتهم الكاملة على أرضهم واختيار حكومتهم بإرادتهم الحرة دون أى ضغط أو توجيه خارجى.

٤ ـ يبدى المؤتمر قلقه الشديد واستنكاره البالغ لما يحدث من عمليات إرهابية من حين لآخر فى بعض البلاد العربية والإسلامية وبخاصة فى المملكة العربية السعودية مهبط الوحى وموطن الحرمين الشريفين.

٥ ـ يدعم المؤتمر الجهود الرامية لإحلال السلام فى السودان ووحدة أراضيه. ويناشد جميع القوى السياسية الوقوف صفا واحدا ضد المؤامرات التى تستهدف تفتيت وحدة بلادهم. كما يدعو المؤتمر الدول العربية والإسلامية إلى الوقوف بجانب السودان فى النهضة التنموية فى جنوب السودان وشماله.

٦ ـ يناشد المؤتمر السودان حكومة وشعبا وأحزابا التمسك بوحدة البلاد وتجاوز الخلافات ويهيب بالجميع أن يقفوا صفا واحدا ضد أى مؤامرات تهدف إلى تفتيت وحدتهم.

والله ولى التوفيق ..

برقية شكر للرئيس محمد حسنى مبارك

كل التقدير لمصر وقيادتكم الحكيمة على عطائكم غير المحدود لأمتكم

طالبت الوفود المشاركة فى ختام أعمال المؤتمر بإرسال برقية شكر وتقدير للرئيس محمد حسنى مبارك لرعايته للمؤتمر وكرم الضيافة وحسن الاستقبال واختيار موضوع المؤتمر جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس / محمد حسنى مبارك

رئيس الجمهورية

بمناسبة انعقاد المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى الفترة من ٨ - ١١ ربيع الأول ١٤٢٥هـ الموافق ٢٨/٤ - ١/٥/٢٠٠٤م تحت عنوان:

«التسامح فى الحضارة الإسلامية»

يتشرف الأعضاء المشاركون فى المؤتمر من سبعين دولة ومنظمة إسلامية عالمية بأن يعربوا عن عميق شكرهم وعظيم تقديرهم لسيادتكم ولمصر بقيادتكم الحكيمة على كل ما تقدمونه من عطاء غير محدود لأمتكم الإسلامية كما يقدرون كل التقدير تفضلكم بوضع المؤتمر تحت رعايتكم الكريمة تعبيرا عن اهتمامكم الشخصى واهتمام مصر كلها بقضايا أمتها الإسلامية.

ولا شك فى أن انعقاد المؤتمر فى هذه الظروف العصيبة التى تمر بها الأمة الإسلامية والاختيار الموفق لموضوع ومحاور المؤتمر وما عرض فيه من بحوث وما دار فيه من مناقشات يفتح باب الأمل أمام الأمة فى تجاوز محنتها والانطلاق إلى ما نرجوه لها جميعا من تقدم وازدهار يتفق مع تاريخها المجيد فى العطاء الحضارى.

وقد كان للكلمة الشاملة التى تفضلتم بتوجيهها إلى المؤتمر أثرها العميق فى نفوس المشاركين لما تضمنته من أفكار قيمة ورؤى مضيئة وتصورات بالغة الأهمية تعين الأمة فى طريقها للوصول إلى النهضة المرتقبة التى تعيد لها مجدها التليد ومكانتها الرفيعة بين الأمم.

نسأل الله أن يمتعكم بالصحة والعافية وأن يسدد على طريق الخير والحق خطاكم وأن يحقق لمصر على يديكم المزيد من التقدم والازدهار..

وكل عام وأنتم بخير..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

رئيس المؤتمر

د. محمود حمدى زقزوق

القرآن الكريم وعلومه

- تفسير سورة القلم
- آيات العتاب فى القرآن الكريم
(عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ)

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة «القلم»

لفضيلة الإمام الأكبر
الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ
عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ
الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ
(٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ
أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ
لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ
(٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن
كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ
وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢)
خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا
يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) ﴾
الآيات: ٣٤ - ٤٣

١ - بعد أن ذكر - سبحانه - قصة أصحاب الجنة التى صورت النفس الإنسانية أكمل تصوير، فى حال غناها وفى حال فقرها، فى حال حصولها على النعمة، وفى حال ذهاب هذه النعمة من بين يديها.

بدأت سورة «القلم» بعد ذلك فى بيان حسن عاقبة المؤمنين، وفى محاجة المجرمين، وفى تحديهم بالسؤال تلو السؤال، إلزاما لهم بالحجة، وتوبيخا لهم على غفلتهم، وتذكيرا لهم بيوم القيامة الذى سيندمون عند وقوعه، ولكن لن ينفعهم الندم.

وقوله - سبحانه -: **﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾**: بيان لما وعد به - سبحانه - المؤمنين الصادقين من ثواب جزيل، بعد بيان وعيده للكافرين بسوء المصير.

أى: إن للمتقين الذين صانوا أنفسهم عن كل مالا يليق، وأدوا جميع ما يجب عليهم، جنات ليس لهم فيها إلا النعيم الخالص، والسرور التام، والخير الذى لا ينقطع.

وقال - سبحانه -: **﴿عند ربهم﴾**: للتشريف والتكريم. أى: هذه الجنات اختص الرب - عز وجل - بها الذين اتقوه فى كل أحوالهم.

وإضافة الجنات إلى النعيم، للإشارة إلى أن النعيم ملازم لها لا يفارقها، فلا يكون فيها فى حدائق الدنيا من تغير فى الأحوال، فهى تارة مثمرة، وتارة ليست مثمرة.

٢ ـ والاستفهام فى قوله ـ تعالى ـ: **﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾** للنفى والإنكار للتسوية بين الفريقين.

والمعنى: أنحيف فى أحكامنا، فنجعل الذين أخلصوا لنا فى العبادة، كالذين أشركوا معنا فى العبادة آلهة أخرى؟ كلا لن نجعل هؤلاء كأولئك، فإن عدالتنا تستلزم التفريق بينهما، فنجعل الحياة الطيبة، والعاقبة الحسنة للأبرار، ونجعل الحياة التعيسة، والنهاية البائسة للأشرار.

ثم أضاف ـ سبحانه ـ إلى توبيخ هؤلاء المشركين توبيخا آخر فقال: **﴿مالكم كيف تحكمون﴾**؟ أى: ما الذى حدث لعقولكم حتى ساويتم بين الأخيار والفجار، وبين الأتقياء والأشقياء؟

ثم انتقلت الآيات الكريمة من توبيخهم على جهلهم إلى توبيخهم على كذبهم فقال ـ تعالى ـ: **﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون* إن لكم فيه لما تخيرون﴾**.

ولفظ «**أم**» هنا وما بعدها للإضراب الانتقالى، وهو بمعنى حرف «**بل**». والضمير فى قوله ـ تعالى ـ: «**فيه**» يعود على الكتاب. وقوله ـ سبحانه ـ: «**تدرسون**» بمعنى تقرءون بعناية وتفكير. وقوله **﴿تخيرون﴾**: أصله تتخيرون.. والتخير: طلب ماهو خير. يقال: فلان تخير الشىء واختاره: إذا أخذ خيره وجيده.

أى: بل ألكم ـ أيها المشركون ـ كتاب قرأتم فيه بفهم وتدبر المساواة بين المتقين والمجرمين، وأخذتم منه ما اخترتموه من أحكام؟ كلا، إنه لا يوجد كتاب سماوى أو غير سماوى، يوافقكم على التسوية بين المتقين والمجرمين، وأنتم إنما تصدرون أحكاما كاذبة، ما أنزل الله بها من سلطان. ثم انتقلت الآيات الكريمة إلى توبيخ هؤلاء المشركين على لون أخر من ألوان مزاعمهم، فقال ـ تعالى ـ: **﴿أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون﴾**.

أى: وقل لهم ـ أيها الرسول الكريم ـ على سبيل إلزامهم الحجة: بل ألكم «**أيمان**» أى: عهود ومواثيق مؤكدة «**علينا**»، وهذه العهود «**بالغة**» أقصى مداها فى التوكيد، وثابتة لكم علينا «**إلى يوم القيامة**» بأننا قد سوينا بين المسلمين والمجرمين فى أحكامنا؟ إن كانت لكم علينا هذه العهود والمواثيق، فأظهروها لنا وللناس، وفى هذه الحالة يكون من حقكم أن تحكموا بما حكمتم به!!

ومما لاشك فيه، أنهم ليست لهم عهود عند الله بما زعمـوه من أحكام، وإنما المقصود من الآية الكريمة، بيان كذبهم فى أقوالهم، وبيان أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بجواب يثبتون به مدعاهم.

وقوله ـ سبحانه ـ: **﴿إن لكم لما تحكمون﴾**: جواب القسم، لأن قوله ـ سبحانه ـ **﴿أم لكم أيمان علينا﴾** بمعنى: أم أقسمنا لكم أيمانا موثقة بأننا رضينا بأحكامكم التى تسوون فيها بين المسلمين والمجرمين؟

٣ ـ ثم أمر الله ـ تعالى ـ محمدا ﷺ أن يسألهم سؤال تبكيت وتقريع فقال: **﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾**.

والزعيم: الضامن لغيره، والمتكلم عن القوم، والناطق بلسانهم، واسم الإشار يعود على الحكم الباطل الذى

حكمـوه، وهو التسـوية بين الأخـيـار والأشرار.

أى: اسـأل - أيها الرسول الكريم - هؤلاء المشـركـين - سـؤال تقـريع وتوبيخ، أى واحـد منهم سـيكون يوم القيامة كفيلا بتحمل مسئولية هذا الحكم، وضـامنا بأن المسلمـين سيكونون متساوين مع المجرمين فى الأحكام عند الله - تعالى -.

ثم انتـقلت الآيات الكريمـة إلى إلزامهم الحجة عن طريق آخر فقال - تعـالى -: ﴿**أم لهم شـركـاء فليـأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين**﴾ أى بل ألهم شركاء يوافقونهم على هذا الحكم البـاطل إن كـان عندهم ذلك فليـأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين فى زعمهم التسوية بين المتقين والمجرمين.

والمراد بالشـركـاء هنا: الأصنام التى كـانوا يشركونها فى العـبادة مع الله - عز وجل - أى أم لهم شركاء لنا فى الألوهيـة يشـهـدون بصحـة أحكامهم، والأمر فى قوله - تعالى - ﴿**فليأتوا**﴾ للتعجيز.

والمتدبر فى هذه الآيات الكريمة، يرى أن الله - تعـالى - قـد وبخـهـم باستفهامات سبعة:

أولها: قوله - تعالى -: ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين**﴾. وثانيها وثالثها: ﴿**مالكم كيف تحكمون**﴾، ورابعها: ﴿**أم لكم كتاب فيه تدرسون**﴾، وخامسها: ﴿**أم لكم أيمـان علينا بالغـة إلى يوم القيـامـة**﴾، وسـادسـهـا: ﴿**أيهم بذلك زعيم**﴾، وسابعها: قوله - عز وجل -: ﴿**أم لهم شركاء..**﴾.

٤ - ثم انتقلت الآيات الكريمة إلى بيان جانب من أهوال يوم القيامة، ومن حال الكافرين فيه، فقال - تعالى - ﴿**يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فـلا يستطيعون* خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون**﴾.

والكشف عن الساق معناه: التشمير عنها وإظهارها، وهو مثل لشدة الحال، وصعوبة الهول، وأصله أن الإنسان إذا اشتد خوفه أسرع فى المشى، وشمر عن ثيابه، فينكشف ساقه.

قال صاحب الكشاف ما ملخصـه: «الكشف عن السـاق.. مثل فى شدة الأمر، وصعوبة الخطب، كما قال الشاعر:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها

وإن شمرت عن سوقها الحرب شمرا

فمعنى يوم يكشف عن ساق: يوم يشتد الأمر ويتفاقم، ولا كشف ولا ساق، كما تقول للأقطع البخيل: يده مغلولة، ولا يد له ولا قيد، وإنما هو مثل فى البخل».

والمعنى: واذكر لهم - أيهـا الرسـول الكريـم - لكى يعـتـبـروا ويتعظوا أهوال يوم القيـامـة، يوم يشتـد الأمـر، ويعظم الهول، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى.

«ويدعون» هؤلاء المشركون فى هذا اليوم «إلى السجود» لله - تعالى - على سبيل التوبيخ لهم، لأنهم كانوا فى الدنيا ممتنعين عنه «فلا يستطيعون» أى: فلا يستطيعون ذلك، لأن الله - تعالى - سلب منهم القدرة على السجود له فى هذا اليوم العظيم، لأنه يوم جزاء، وليس يوم تكليف، والذين يدعـونهم إلى السجود هم الملائكة بأمره - عز وجل -.

وقوله - سبحانه - ﴿**خاشعة أبصارهم**﴾ أى: ذليلة عيونهم، إذ خشوع الأبصار كناية عن الذلة وعن الخوف الشديد، ونسب - سبحانه - الذلة إلى الأبصار لظهور أثرها فى العيون.

أى: هم يدعـون إلى السجـود فلا يستطيعـون ذلك، لأنه - سبحانه - سلب منهم القدرة عليه، ثم يساقون إلى النار، حالة كونهم ذليلة أبصارهم، منخفضة رءوسهم.

وقوله: ﴿**ترهقـهم ذلة**﴾: أى: تغشاهم وتعلوهم ذلة وانكسار «وقد كانوا» فى الدنيا، «يدعون إلى السجود» لله - تعالى - «وهم سالمون» أى: وهم قادرون على السجود له - عز وجل - ومتمكنون من ذلك غاية التمكن، ولكنهم كانوا يعرضون عن كل من يدعوهم إليه، وينصحهم بإخلاص العبادة لله الواحد القهار.

آيات العتاب فى القرآن الكريم (١)

عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ

أ.د. محمد محمد أبو ليلة

فى هذه الأيام يعيش العالم ذكرى نبى الرحمة ورسول السلام ذلك الرسول العظيم ابن الإنسانية البار وقلبها الرحيم محمد بن عبد الله الذى أرسله الله شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن جور الإنسان إلى عدل الديان أرسله الله بالهدى ودين الحق وبالعدل والإخاء والمساواة يعلم الناس ويزكيهم وعلى التقوى ومحبة الخير للنفس وللغير يربيهم .هذا النبى الذى كان يهز قلبه الكبير بكاء الطفل الصغير وصرخة الملهوف وأنات المضطربين والثكالى والمحزونين ويتطامن أمام عظمته كل جبار وكل من رفع رأسه على الناس كبرا وعصبية. رسول الله ﷺ حبيب الرحمن ومحب الإنسان والعطوف على الحيوان الرسول الذى جعل الله له الأرض مسجدا وتربتها طهورا ونصره على أعدائه على بعد مسيرة شهر.

يدور موضوع هذا المقال حول عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ فى القرآن الكريم وقبل أن نتناول آيات العتاب يحسن بنا أن نبين معنى «العتاب» فى أصل اللغة وفى اصطلاحات العلماء.

أصل العَتَب: الشدة وحمل على عَتَبٍ من الشر وعتبة أى شدة يقال: حمل فلان على عتبة كريهة وعلى عتبٍ كريهٍ من البلاء والشر ويقال: ما فى هذا الأمر رتبٌ ولا عتبٌ أى شدة .وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها: إن عتبات الموت تأخذها أى شدائده. والعتب: الموجدة .عتب عليه يعتب ويعتب عتبا وعتابا ومعتبة ومعتبة ومعتبا أى وجد عليه .أما الاستعتاب فهو طلبك إلى المسىء الرجوع عن إساءته .والتعتب والتعاتب والمعاتبة: تواصف الموجدة .ومنه العتبى :اسم على فعلى يوضع موضع الإعتاب وهو الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضى العاتب.

يقال: (لك العتبى) (هذا من دعاء النبى ﷺ) لما خرج إلى الطائف وصده أهلها فقال: **«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة**

حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تكلنى إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى غير أن عافيتك هى أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك أو أن ينزل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»(١) وهو إزالة ما لأجله يعتب وبينهم أعتوبة أى :ما يتعاتبون به ويقال: عتب عتبا: إذا مشى على رجل مشى المرتقى فى درجة(٢).

وفى الحديث: لا يعاتبون فى أنفسهم يعنى لعظم ذنوبهم وإصرارهم عليها وإنما يعاتب من ترجى عنده العتبى أى الرجوع عن الذنب والإساءة. وفى المثل: ما مسىء من أعتب. وفى الحديث: «عاتبوا الخيل فإنها تعتب» أى أدبوها وروضوها للحرب والركوب فإنها تتأدب وتقبل العتاب. واستعتبه: كأعتبه. واستعتبه: طلب إليه العتبى تقول: استعتبته فأعتبنى أى استرضيته فأرضانى(٣) وفى الحديث: **«لا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله يزداد وإما مسيئا فلعله يستعتب»** أى يرجع عن الإساءة ويطلب الرضا. ومنه الحديث: **«ولا بعد الموت من مستعتب»** أى ليس بعد الموت من استرضاء لأن الأعمال بطلت وانقضى زمانها وما بعد الموت دار جزاء لا دار عمل.

وفى حديث عائشة رضى الله عنها «إن عتبات الموت تأخذها» أى شدائده. يقال حمل فلان فلانا على عتبة أى على أمر كريه من الشدة والبلاء(٤).

جاءت آيات العتاب فى القرآن الكريم بغير لفظ «العتاب» فى خمس سور هى (الأنفال والتوبة والأحزاب والتحريم وعبس) وفى بضع آيات من كل سورة من هذه السور.

وينبغى فى البداية أن ننبه على أن الله تعالى لم يعاتب أحدا فى القرآن الكريم غير حبيبه محمد ﷺ وأنه لم يرد لفظ «عتب» فى القرآن إلا فى أربعة مواضع كلها فى حق الكفار.

قوله تعالى: **﴿فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾** فصلت: آية ٢٤.

ومعنى **﴿يستعتبوا﴾** أى يطلبون إزالة سبب العتاب يومئذ بما يرضى الله تعالى.

وقوله تعالى: **﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾** النحل: آية ٨٤.

وقوله تعالى: **﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾** الروم: آية ٥٧.

وقوله تعالى: **﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون﴾** الجاثية: آية ٣٥.

ففى هذه الآيات دلالة على أن الكفار والعصاة لن يدعون إلى ما يقتضى إعتابهم أى إزالة عتبهم من التوبة والطاعة يوم القيامة كما دعوا إليه فى الدنيا لأن زمن العمل قد انتهى وانتهت كذلك الدنيا التى كانت دار الأعمال.

أما عتاب الله تعالى للنبى ﷺ فى القرآن الكريم فهو عنوان المحبة والقرب منه تعالى والتصفية والود بل وعنوان المعية والشهود فرسول الله ﷺ القدوة الطيبة والأسوة الحسنة وعتابه ﷺ هو دليل أن الله تعالى كان معه دائما.

فى سورة الأنفال:

وأول عتاب ورد فى القرآن الكريم من الله تعالى لحبيبه محمد ﷺ ما جاء فى سورة الأنفال: **﴿ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم* لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾** الأنفال: الآيتان ٦٧، ٦٨.

ومعنى «**يثخن**» أى يشدد فى القتل حتى يعجز العدو ويسيطر هو ﷺ على ميدان القتال وتصير له القوة والغلبة «**كتاب من الله**» أى وعد منه تعالى بأنه

لا يعذب أحدا إلا بعد البيان وإقامة الحجة والبرهان عليه أو أنه تعالى لا يعذب قوما ما دام الرسول ﷺ فيهم مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾ الأنفال: آية ٣٣.

وموضوع هذه الآيات أن رسول الله ﷺ بعد أن جمع أسرى بدر استشار فيهم أصحابه ماذا يفعل فيهم

فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله هم قرابتك ولعل الله يهديهم بعد إلى الإسلام ففادهم (أى اقبل فيهم الفدية) واستبقهم (أى لا تقتلهم) ويتقوى المسلمون بأموالهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يا رسول الله بل تضرب أعناقهم فإنهم أئمة (زعماء) الكفر. وفى رواية أخرى عن عمر «يا رسول الله كذبوك وأخرجوك وقاتلوك قدمهم فاضرب أعناقهم» وقد قال سعد بن معاذ وهو مع رسول الله ﷺ فى العريش (أى الخيمة التى كان فيها النبى ﷺ وقد رأى الإثخان (أى التشديد) فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال.

وقد برر أبو بكر رأيه بأن الأسرى كانت تجمعهم قرابات برسول الله ﷺ، وبالمسلمين فكان إطلاقهم أحرارا وأخذ الفدية أهون على نفوسهم وأوفق فى تأليف قلوبهم على الإسلام وأوقع فى نفوس أهليهم مع الاستعانة بمال الفدية فى تقوية شأن المسلمين وسد بعض حاجاتهم إلى المال.

أما رأى عمر وسعد فذهبا إلى أن ترك الأسرى سوف يزيد من عدد الكفار فى الوقت الذى كان فيه المسلمون لا يزالون قلة وأن هؤلاء الأسرى ربما عادوا إلى محاربة المسلمين .فاختار رسول الله ﷺ رأى أبى بكر لأنه الأرحم والأنسب لأخلاق النبى ﷺ والأقوى فى التأثير فى نفوس الكفار فنزل قوله تعالى: ﴿**ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض**﴾ أى نبى وفى قراءة: ﴿**ما كان للنبى**﴾ أى النبى محمد ﷺ بخاصة فجاء العتاب فى الآية لتفضيل أكثر الصحابة أخذ مال الفدية والتى سماها الله تعالى فى القرآن «عرض الدنيا» على التخلص من الأسرى القساة بالقتل وهم الذين بدأوا بالعدوان والذين واصلوا اضطهادهم للمسلمين فى مكة دون رحمة وجاءوا يحاربونهم فى بدر والمعنى: ما كان ينبغى لكم أيها المسلمون أن تفعلوا هذا الفعل أى تأخذوا الفدية التى هى عرض من أعراض الدنيا الزائلة بل كان عليكم أن تواصلوا وتشدوا الخناق على الأعداء حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويقوى أهله.

وأتفق مع ابن عطية فى أن العتاب إنما كان للمسلمين من أصحاب النبى ﷺ وليس هو للنبى ﷺ. وإنما جاء ذكر النبى ﷺ فى الآية إشارة إلى دخوله ﷺ فى هذا العتاب لأنه ﷺ هو القائد ولأنه لم ينه عن ذلك حين سمع أصحابه يختلفون فى شأن الأسرى ولكنه ﷺ شغله بغت الأمر- أى مجيئه على جهة الفجأة - وظهور النصر لجيش المسلمين فترك النهى عن الاستبقاء وقبل الفدية فى هذا المقام ولذلك بكى ﷺ وأبو بكر حين نزلت هذه الآية. وروى عنه ﷺ أنه قال: «**لو نزل عذاب من السماء لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ» وذلك لأنهما أشارا بمواصلة القتال ضد الأعداء.**

وقال كثير من المفسرين إن هذا العتاب إنما كان بسبب رأى من أشاروا على رسول الله ﷺ بأخذ الفدية.

وقال المفسرون فى تعليل مجىء هذا العتاب إن الناس خيروا بين أمرين أحدهما غير جيد على جهة الاختيار لهم فاختاروا المفضول على الفاضل فمن هنا وقع العتاب ولم يكن التخيير بين شيئين مختلفين فى المستوى(٥).

فى سورة التوبة:

ومن آيات العتاب فى سورة التوبة قوله تعالى:

﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ التوبة: آية ٤٣، أى أن الله تعالى قد عفا عنك يا محمد وغفر لك ما كان منك من إعطاء الإذن بالتخلف عن الجهاد قبل أن يتبين أمرهم وحقيقة نواياهم تجاهك ومدى خطورة إعطائهم هذا الإذن على الأمة وعلى الدين فى هذا الوقت العصيب فالله تعالى سبحانه يعلم أنهم كانوا مصرين على القعود عن الغزو وإن لم تأذن لهم فيه ولكنهم أرادوا أن يكسبوا قعودهم شرعية إمعانا فى تضليل المسلمين. يقول سفيان بن عيينة: «انظر إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو» وقال عون: «هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا ناداه بالعفو قبل المعاتبة». ولقد كان الأولى تأخير الإذن حتى يظهر كذب المنافقين ويفضحون على رؤوس الأشهاد ولا يتمتعون بالعيش فى أمان ودعة وحتى لا يتسنى لهم أن يفرحوا فيما بينهم بأنهم غرروا برسول الله ﷺ وأرضوه بالأكاذيب.

وهذا ما جاء مفصلا فى قوله تعالى: **﴿لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين* إنما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون* ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين*لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين* لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون* ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾** التوبة: الآيات ٤٤ ـ ٤٨.

نزلت هذه الآيات فى صنف من الناس قد بلغوا فى النفاق أقصاه عندما استأذنوا الرسول ﷺ فى التخلف عن الخروج معه لقتال الأعداء دون عذر حقيقى وكان على رأسهم عبد الله بن أبى بن سلول كبير المنافقين فأذن لهم رسول الله ﷺ بالبقاء فى المدينة استبقاء لهم وأخذا بالأيسر من الأمور وتوكلا على الله تبارك وتعالى وثقة فيه.

وقد أعطى النبى ﷺ الإذن لهؤلاء المنافقين قبل أن يأتيه الوحى به من الله تعالى فقال له الله: **﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾** والآية ليس فيها عتاب لرسول الله ﷺ على وجه التوبيخ له على خطأ وقع منه وإنما هو استفتاح كلام كما تقول «أصلحك الله وأعزك الله».. ثم تذكر الموضوع .ولم يكن هناك خطأ وقع فيه النبى ﷺ أو ذنب أحدثه يعفى عنه وذلك لأن صورة الاستغفار وقبول الأعذار راجعة إلى اجتهاده ﷺ ويكون معنى قوله تعالى **﴿لم أذنت لهم﴾** على هذا التوجيه تقريرا.

يقول نفطويه: كان لرسول الله ﷺ أن يفعل وألا يفعل حتى ينزل عليه الوحى كما قال: **«لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لجعلتها عمرة»** وقد قال تعالى: **﴿ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء﴾** الأحزاب: آية ٥١، فقد ترك الله تعالى له الخيار فى أن يفعل أو ألا يفعل فيما لم ينزل عليه فيه وحى وعندما استأذن المنافقون فى التخلف واعتذروا له قبل الرسول ﷺ أيسر الأمرين تكرما منه وتفضلا وعلى هذا يكون قوله تعالى: **﴿عفا الله عنك﴾** افتتاح كلام وليس عفوا عن ذنب كما قال ﷺ: «عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق» ومعناه ترك لكم أن يلزمكم ذلك(٦).

وقد يكون **«عفا الله عنك»** دعاء له ﷺ لما كان عمله وهو المعصوم أشبه بالذنب أو أنه دعاء وتسلية لقلبه ﷺ على الإطلاق فكأن الله تعالى يدعو له لما حسم الموقف مع المنافقين لأنه فى تركهم مصلحة أكبر من حملهم معه ﷺ بدليل الآيات التالية: **﴿لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين***

إنما يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون* ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين* لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين* لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ التوبة: الآيات ٤٤ ـ ٤٨.

من هذه الآيات نعلم أن الذين استأذنوا رسول الله ﷺ فى التخلف عن غزوة تبوك ليسوا مؤمنين بل إنهم كانوا يعلنون الإسلام ظاهرا وأنهم كانوا يشكون فى قلوبهم فى صدق نبوته ﷺ وبالتالى فقد كرهوا رياسته عليهم وكرهوا الانضمام تحت لوائه. وكان شك هؤلاء شكا نفسيا مرضيا لا شكا عقليا فى سبيل البحث عن الحق فهم مذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما وصفهم الله تعالى فى سورة النساء: **﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾** آية ١٤٣. فهم كالشاة العاثرة بين الغنمين وهم كالسراب يخدع ولا ينفع.

ولقد كان وجود المنافقين المتخلفين فى المدينة يشكل خطرا على المسلمين أيضا لأنه كان بإمكانهم أن يزعزعوا الجبهة الداخلية إذا ما تواطأوا مع الأعداء الظاهرين فى جبهة واحدة ضد رسول الله ﷺ وهو يجاهد لتأمين حدود الدولة من الخارج ضد إمبراطورية مدعومة بالمال والسلاح هى الإمبراطورية الرومانية.

وإذا فالعتاب الربانى لرسول الله ﷺ إذا أخذنا الخطاب فى الآية على أنه عتابى إنما كان لتوضيح خطورة الموقف على الدولة الإسلامية وعلى وجوب الحذر من المنافقين الانتهازيين فى حالة تخلفهم عن القتال أو فى حالة مشاركتهم فيه.

ومن ناحية أخرى فما كان أشد موقف المسلمين حرجا إذا ما خرج هؤلاء الخائنون مع رسول الله ﷺ واتحدوا مع المنافقين الذين خرجوا فى تلك الغزوة الفاصلة ـ غزوة تبوك ـ مع رسول الله ﷺ فقد كان فى جيش المسلمين كثير من هؤلاء المنافقين المخذلين الذين كان دأبهم دائما إضعاف الروح المعنوية للمسلمين وإفساد خطتهم كما حدث فى غزوة أحد حين انصرف عبد الله بن أبى بن سلول كبير المنافقين بمن معه حتى يتشتت شمل المسلمين ويتفرقوا عن رسول الله ﷺ كما هو المفهوم من قوله تعالى: **﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾** التوبة: آية ٤٨.

وهذا معنى قوله تعالى: **﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا﴾** والخبال هو الفساد يدب فى الأشياء المؤتلفة الملتحمة ومعنى **﴿ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة﴾** أى لأسرعوا فى الانتشار بينكم وبث الفرقة فى صفوفكم ليختل نظامكم وتهزمون فى المعركة ولو هزم المسلمون فى معركة تبوك لقضى على الإسلام ولم يعد للمسلمين قوة ولحوصر الإسلام فى نطاقه الضيق حتى يقضى عليه وهؤلاء المنافقون الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ كان منهم الجواسيس الذين كان همهم التقاط الأخبار ثم نقلها إلى أعداء الإسلام **﴿وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين﴾** وهؤلاء هم ضعاف الإيمان هكذا قال سفيان بن عيينة فى تفسير هذه الجملة القرآنية.

وهؤلاء المنافقون المشاركون منهم فى الغزوة والمتخلفون كانوا يخططون دائما للقضاء على الإسلام كما جاء فى قوله تعالى: **﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون* ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين* إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم**

فرحون* قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ التوبة: الآيات ٤٨ ـ ٥١.

ومعنى ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ أى دبروها وقلبوها ظهرا لبطن وسعوا بكل حيلة ومكر للإطاحة بك وبالإسلام وقرأ مسلمة بن محارب ﴿وقلبوا﴾ بفتح اللام وتخفيفها أى صرفوا الأمور وحولوها عما وضعت له و﴿أمر الله﴾ الوارد فى الآية هو الإسلام ودعوته.

وعلى الرغم من هذا الجو العصيب وحرارة المعركة الذى جعل النبى ﷺ وأصحابه تفوتهم صلاة الفجر وعلى الرغم كذلك من الجدب وقلة الزاد والعتاد بالنسبة للمسلمين وعلى الرغم من قوة العدو ومكائد المنافقين وعمالتهم للرومان وبناء مسجد الضرار ليكون قاعدة لدسائسهم وفى معرض العتاب الربانى لرسول الله ﷺ بشأن الإذن لكبار المنافقين بالقعود والتخلى عن الجهاد تأتى تلك الخطبة الجامعة التى خطبها الرسول ﷺ بين يدى صلاته فى تبوك وهذه الخطبة تعد نموذجا فريدا للقوة النفسية والشفافية المطلقة لرسول الله ﷺ وفى كشف أمر المنافقين والتحذير منهم بطريق التورية واتساقا مع الأدب النبوى فى الخطاب.

فقد أخرج البيهقى فى الدلائل عن عقبة بن عامر قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك فأشرف رسول الله ﷺ فلما كان منها على ليلة فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح قال: ألم أقل لك يا بلال أكلئنا الليلة فقال: يا رسول الله ذهب بى النوم فذهب بى الذى ذهب بك فانتقل رسول الله ﷺ من ذلك المنزل غير بعيد ثم صلى ثم هدر بقية يومه وليلته فأصبح بتبوك فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرا كلمة التقوى وخير الملل ملة إبراهيم وخير السنن سنة محمد ﷺ وأشرف الحديث ذكر الله وأحسن القصص هذا القرآن وخير الأمور عوازمها وشر الأمور محدثاتها وأحسن الهدى هدى الأنبياء وأشرف الموت قتل الشهداء وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى وخير العلم ما نفع وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب واليد العليا خير من اليد السفلى وما قل وكفى خير مما كثر وألهى وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيامة ومن الناس من لا يأتى الصلاة إلا دبرا ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرا وأعظم الخطايا اللسان الكذوب وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل وخير ما وقر فى القلوب اليقين والارتياب من الكفر والنياحة من عمل الجاهلية والغلول من جثاء جهنم والكنز كى من النار والشعر من مزامير إبليس والخمر جماع الإثم والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون وشر المكاسب كسب الربا وشر المآكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره والشقى من شقى فى بطن أمه وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع والأمر بآخره وملاك العمل خواتمه وشر الروايا روايا الكذب وكل ما هو آت قريب وسباب المؤمن فسوق وقتال المؤمن كفر وأكل لحمه من معصية الله وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يتأول على الله يكذبه ومن يغفر يغفر له ومن يغضب يغضب الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ومن يتبع السمعة يسمع الله به ومن يصبر يضعف الله له ومن يعص الله يعذبه الله اللهم اغفر لى ولأمتى قالها ثلاثا: أستغفر الله لى ولكم».

الهوامش:

١ـ راجع: الروض الأنف ١٧٢ وزاد المعاد ٥٢.

٢ ـ الأصفهانى ـ مفردات ألفاظ القرآن الكريم

٣ ـ ابن منظور ـ لسان العرب القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن.

٤ ـ ابن الأثير ـ النهاية فى غريب الحديث ابن تيمية ـ دقائق التفسير.

٥ ـ المحرر ٣٧٥/٦ ـ ٣٨١، الفيروز آبادى ـ بصائر ذوى التمييز فى لطائف كتاب الله العزيز.

٦ ـ ابن عطية المحرر الوجيز، ٥٠٦/٦.

دراسات فى السنة المطهرة

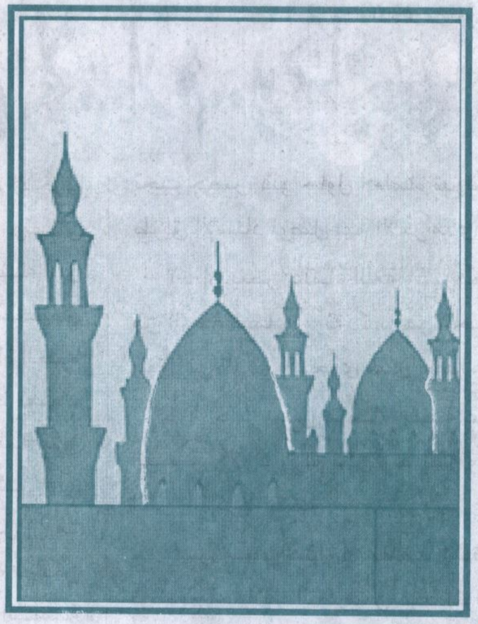

- الرواية فى الإسلام.. وحاجتها إلى الإسناد
- الإسلام دين الإقناع بالحجة والدفاع بالعدة

للرواية منزلة عظيمة، وأهمية بالغة فى نقل أشرف العلوم وأهمها، ولهذه الأهمية كان من الضرورى أن نبرز ما تحتاجه من وسائل كالإسناد وغيره من قوانين أصول الحديث.

وإذا نظرنا إلى الرواية قبل الإسلام لم نجد العرب قد عنوا بها أو بتصحيح الأخبار، وتمحيص المرويات العناية الكاملة، لأن مروياتهم لم يكن لها من القداسة ما يدعو إلى ذلك، ففيها الأساطير والأحاديث المختلفة. أما الرواية فى الإسلام، وفى الحديث خاصة، فقد شدد العلماء فيها، وقعدوا لها القواعد، وصاغوا لها الشروط، وأصلوا لها الأصول بعناية فائقة، تعتبر أدق ما وصل إليه النقد فى القديم والحديث:

أ. د/ أحمد عمر هاشم

الرواية فى الإسلام.. وحاجتها إلى الإسناد

ولم تبلغ الرواية فى العلوم الأخرى شأو ما بلغته رواية الحديث، ولم تلق من العناية مثل ما لقيته لدى المحدثين من دقة النقد وتمحيص المرويات، ولم يتمسك رواة العلوم الأخرى بالإسناد طويلا، كما تمسك به المحدثون، فلم تر لعلماء اللغة مثلا معجما مسندا كما هو الشأن فى صحيحى البخارى ومسلم، بل إن ما جمعه علماء اللغة وغيرهم لم يكن كله فى درجة واحدة من الثقة والصحة، فقد تعرض للتصحيف وتسلل إليه الوضع والتحريف وحامت حول بعضه الشكوك والشبهات، ويرجع ذلك إلى أسباب يمكن إجمالها فيما يأتى:

١ ـ إن سائر العلوم واللغات فيما سوى القرآن والسنة لم تتمتع بالقداسة والإكبار كما هو الشأن فى هذين الأصلين الشريفين.

٢ ـ إن الألفاظ اللغوية لا تقع تحت حصر، فلو حاول العلماء تدوين كل كلمة وكل اشتقاق عن طريق الإسناد لوصل بهم الأمر مدى لا يحصى.

٣ ـ إن بعض علماء اللغة وغيرهم لم يكونوا على جانب كبير من الدقة فيما يروونه، كما هو الحال بالنسبة للمحدثين الذين بلغوا فى الدقة والتحرى مدى بعيدا.

٤ ـ أخذ بعض علماء اللغة عن الكتب والصحائف فى العصور الأولى، ولم تكن منقوطة ولا مشكولة، إلا ما كان فى القرآن الكريم فقط.

وليس معنى هذا، أن نفقد الثقة بتلك العلوم، ولكن المراد توضيح اختلاف النظريتين عند الموازنة: فالمحدثون نظروا على أنه دين وتشريع له قداسته، وأما غيرهم فلم تصل نظرتهم فيما دونوه ما وصلت إليه نظرة أهل الحديث.

ويتبين لنا الفرق واضحا بما صنعه ابن جرير الطبرى فى كتابه التفسير حيث تحرى الدقة فى الرواية أكثر مما صنعه فى كتابه «التاريخ» وهذا راجع إلى تغاير النظرتين.

هذا بالإضافة إلى ما أمر به المسلمون فى القرآن الكريم من قول الله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**، وقوله تعالى: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾**.

وما ورد فى السنة الشريفة من التحذير من الكذب، قال ﷺ: «**إن كذبا علىَّ ليس ككذب على أحد فمن كذب على فليتبوأ مقعده من النار**» رواه الشيخان.

ومنذ العهد النبوى والصحابة والتابعون يعيشون فى جو من الصدق، لا كذب ولا تدليس، وحتى بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، حيث كانت صدورهم الأمينة تفيض بالثقة والإخلاص، وقلوبهم الواعية بالصدق والإيمان، فكان البعض يسند الحديث مرة ولا يسنده أخرى.. إلى أن حدثت الفتنة وظهرت الأحزاب والفرق، وأخذ الكذب على رسول الله ﷺ يزداد شيئا فشيئا، فانبرى الصحابة والتابعون يمحصون الأحاديث سندا ومتنا، ويشددون فى معرفة الرواة والطرق، ويلتزمون الإسناد دائما. وكان ابتداء مرحلة التحرى والتزام الإسناد منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة.

وفيما رواه مسلم - بسنده - عن ابن سيرين قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم».

فما هو الإسناد الذى التزموه؟ وما منزلته فى الدين؟ وكيف كانت عنايتهم به؟ هذا ما سنجيب عنه فى البحوث التالية بتوفيق الله تعالى.

منزلة الإسناد وعناية الأمة به

الإسناد هو رفع الحديث إلى قائله:

وللإسناد منزلته العالية، وأهميته البالغة، فى تمحيص الأخبار وتوثيقها، وتمييز صحيحها من ضعيفها.

وإذا نظرنا إلى السنة الشريفة، وجدناها تمثل المصدر الثانى من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، فهى المفسرة لمبهمه، المفصلة لمجمله، المقيدة لمطلقه الشارحة لأحكامه. كما أتت بأحكام لم يرد نص فى القرآن عليها - على رأى من يقول باستقلالها ببعض الأحكام - كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، وغير ذلك..

السنة الشريفة تمثل المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن فهى المفسرة لمبهمه، المفصلة لمجمله، الشارحة لأحكامه

فكانت بهذا متممة ومطبقة لما فى القرآن، وجاءت مرتبتها بعده مباشرة، لهذا كله كان الطريق الذى يصل بنا إلى سنة الرسول ﷺ - وهو الإسناد - له نفس الأهمية إذ لولاه لما عثر طالب الحديث على طلبته ولما وقف المسلمون على أحكام دينهم مفصلة واضحة.. وتبرز ثمرات الإسناد وأهدافه فيما يأتى:

أولا: يمكن تحقيق الأخبار، ومعرفة ما يقبل منها وما يرد.

ثانيا: يستطيع طالب الحديث أن يقف على درجة كل قول أو فعل أو تقرير أو صفة ما وردت به السنة، من حيث الصحة أو الحسن أو الضعف وما إلى ذلك.

ثالثا: بالإسناد يمكن صيانة السنة وحفظها من الدسّ والتحريف أو الوضع والتبديل، أو النقص أو الزيادة.

رابعا: بالإسناد تدرك الأمم والشعوب درجة السنة، وأنها قد ثبتت بأدق طرق النقد والتحقيق التى لا تعرف لها مثيلا. لأن الإسناد من خصائص الأمة الإسلامية.. وهذا يرد دعاوى المبطلين وشبههم التى أثاروها حول صحة الحديث الشريف.

وحسب الإسناد فضلا أن الله حفظ به الدين من تحريف المبطلين.

ولهذه المنزلة الجليلة، حث الشارع الحكيم على طلب الإسناد وحض المسلمين على تتبعه، من ذلك ما رواه الحاكم وغيره عن مطر الوراق فى قوله تعالى: ﴿**أو أثارة من علم**﴾ الأحقاف: آية ٤، قال: «إسناد الحديث» وفيما أخرجه مسلم: قال ابن المبارك: «الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء». وقال الإمام أحمد: طالب الإسناد العالى سنة عمن سلف، وإلى جانب حث الشارع الحكيم عليه فقد قيض الله له الأئمة الثقات، العدول الذين أفنوا أعمارهم فى خدمته.. وكان الإسناد بحق من خصائص الأمة الإسلامية، يقول ابن حزم: «نقل الثقة عن يبلغ به النبى ﷺ مع الاتصال، خص الله به المسلمين دون سائر الملل، وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد فى كثير من اليهود ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا، وإنما يبلغون إلى شمعون فقط.. وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين، فكثير فى نقل اليهود والنصارى»، وقال أبو على الجيانى: «خص الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد والأنساب والإعراب»، لهذا كله عنى المسلمون بالرحلة من أجل الإسناد، واستجابوا لدعوة رسولهم - صلوات الله وسلامه عليه -: **«من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة»**، ولشدة عنايتهم بالرحلة كانوا يستسهلون الصعب، ويستعذبون العناء فى سبيلها، يقول الصحابى العظيم أبو الدرداء رضي الله عنه: «لو أعيتنى آية من كتاب الله فلم أجد أحدا يفتحها على إلا رجل ببرك الغماد لرحلت إليه»(١). بل كانت الرحلة مألوفة عندهم حتى من أجل حديث واحد، يقول سعيد بن المسيب: «وإن كنت لأرحل الأيام والليالى فى طلب الحديث الواحد».

وقال الإمام أحمد بن حنبل: «لقد كان علقمة والأسود يبلغهما الحديث عن عمر رضي الله عنه فلا يقنعان حتى يخرجا إلى عمر فيسمعانه منه».

وبهذا يتبين لنا مدى عناية الأمة بالإسناد، ومدى حرصهم ودقتهم الفائقة فى تحرى الإسناد الصحيح، ورواية الحديث الصحيح، فرحلوا طلبا لعلو الإسناد، ورغبة فى لقاء الأئمة والاستفادة بعلمهم، قال الخطيب البغدادى:

لقد ثبتت السنة بالإسناد وبأدق طرق النقد والتحقيق وهذا يرد دعاوى المبطلين وشبههم حول صحة الحديث الشريف

«المقصود من الرحلة فى طلب الحديث أمران:

أحدهما: تحصيل علو الإسناد وقدم السماع.

والثانى: لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة منهم..».

أقسام الإسناد:

وينقسم الإسناد إلى قسمين:

١ - الإسناد العالى.

٢ - الإسناد النازل.

١ - الإسناد العالى:

يعرف الإسناد العالى بأنه «ما قرب رجال سنده من رسول الله ﷺ بسبب قلة عددهم بالنسبة إلى سند آخر يرد بذلك الحديث بعينه بعدد كثير أو بالنسبة لمطلق الأسانيد».

وطلب الإسناد العالى سنة عند الأئمة، ولذا استحبت الرحلة فيه، قال الإمام أحمد: طلب الإسناد العالى سنة عمن سلف، وعلو الإسناد يجلعه أبعد عن الخطأ.

ولكن بعض المتكلمين قال: كلما طال الإسناد كان النظر فى التراجم والجرح والتعديل أكثر فيكون الأجر على قدر المشقة.

وهذا غير صحيح، فإن فى كثرة الرجال مجالا لاحتمالات الخطأ أو السهو، وفى قلتهم البعد عن هذا، قال ابن الصلاح: «العلو يبعد الإسناد من الخلل، لأن كل رجل من رجاله يحتمل أن يقع الخلل من جهته سهوا أو عمدا، ففى قلتهم قلة جهات الخلل وفى كثرتهم كثرة جهات الخلل..».

وللإسناد العالى خمسة أقسام:

الأول: القرب من رسول الله ﷺ من حيث العدد، بإسناد صحيح نظيف غير معل ولا ضعيف، وهذا القسم هو أفضل أنواع العلو، بخلاف ما إذا كان عاليا مع ضعف فإنه لا يلتفت حينئذ إلى هذا العلو خاصة إذا كان فيه بعض الكذابين المتأخرين ممن ادعى سماعا من الصحابة مثل دينار ونعيم ابن سالم، ويعلى بن الأشدق، قال الذهبى: «متى رأيت المحدث يفرح بعوالى هؤلاء فاعلم أنه عامى».

وفى قرب الإسناد قرب إلى رسول الله ﷺ وفى القرب إلى رسول الله قرب إلى الله عز وجل، فيكون فى قرب الإسناد قربة وصلة وعبادة لله تعالى.

الثانى: أن يكون الإسناد عاليا بسبب القرب من أئمة الحديث كالأعمش، وابن جريج ومالك وغيرهم مع صحة الإسناد إليه، حتى وإن كثر العدد بعد ذلك من هذا الإمام إلى رسول الله ﷺ، فوصف الإسناد بالعلو فى هذا القسم راجع بالنسبة إلى قربه من ذلك الإمام.

الثالث: أن يكون علو الإسناد بالنسبة إلى كتاب من كتب السنة المعتمدة المعروفة كالموطأ والكتب الستة، وهذا القسم سماه ابن دقيق العيد علو التنزيل، وليس بعلو مطلق إذ أن الراوى لو روى الحديث من طريق كتاب منها وقع أنزل مما رواه من غير طريقها، وهذا القسم أربعة أنواع:

١ - الموافقة: وهى أن يقع لك مثلا حديث عن شيخ مسلم من غير جهته بعدد أقل من عددك إذا رويته بإسنادك عن مسلم عنه، وصورة هذا النوع: أن يروى مسلم حديثا عن يحيى عن مالك عن نافع عن ابن عمر، فترويه بإسناد آخر عن يحيى بعدد أقل مما لو رويته من طريق مسلم عنه.

٢ - البدل: وهو أن يقع هذا العلو عن شيخ غير شيخ مسلم وهو مثل شيخ مسلم فى ذلك الحديث، وقد يطلق على هذا النوع موافقة بالنسبة إلى شيخ مسلم ومثال هذا النوع: أن يروى مسلم حديثا عن يحيى عن مالك عن نافع عن ابن عمر كما سبق، ثم ترويه أنت بإسناد آخر عن مالك بعدد أقل.

٣ - المساواة: وهى أن يقل العدد فى إسنادك لا إلى شيخ مسلم ولا إلى شيخ شيخه بل إلى من هو أبعد من ذلك كالصحابى، بحيث يقع بينك وبين

الصحابى من العدد مثل ما وقع من العدد بين مسلم وبين ذلك الصحابى فتكون بهذا مساويا لمسلم فى قرب الإسناد وفى عدد الرجال.

وقد مثل له ابن حجر: كأن يروى النسائى - مثلا - حديثا يقع بينه وبين النبى ﷺ فيه أحد عشر نفسا، فيقع لنا فى ذلك الحديث بعينه بإسناد آخر إلى النبى ﷺ، يقع بيننا فيه وبين النبى ﷺ أحد عشر نفسا، فنساوى النسائى من حيث العدد، مع قطع النظر عن ملاحظة ذلك الإسناد الخاص.. أ. هـ.

٤ - **المصافحة:** وهى أن تقع هذه المساواة السابقة لشيخك، لا لك فيقع هذا لك عن طريق المصافحة، فكأنك لقيت مسلما فى ذلك الحديث، لأنك التقيت بشيخك المساوى له.

قال ابن الصلاح: ثم اعلم أن هذا النوع من العلو علو تابع لنزول، إذ لولا نزول ذلك الإمام فى إسناده لم تعل أنت فى إسنادك.

الرابع: تقدم وفاة الراوى الذى يروى عنه عن وفاة راو آخر، وإن تساويا فى عدد رجال الإسناد، فما يروى عن ثلاثة: عن البيهقى عن الحاكم أعلى مما يروى عن ثلاثة عن أبى بكر بن خلف عن الحاكم، لتقدم وفاة البيهقى على ابن خلف سنة سبع وثمانين وأربعمائة.

وأما العلو بتقدم وفاة شيخ الرواة مطلقا. لا بالنسبة إلى إسناد آخر أو شيخ آخر، فقد عين بعض العلماء لهذا القسم حدا هو مضى خمسين سنة على وفاة الشيخ وعين البعض الآخر حده ثلاثين سنة.

الخامس: العلو بتقدم السماع من الشيخ، فمن سمع متقدما كان أعلى من سمع متأخرا، كأنى يسمع اثنان من شيخ واحد وسماع أحدهما منذ ستين سنة، وسماع الآخر منذ أربعين سنة وكان العدد متساويا إليهما فإن الأول يكون أعلى من الثانى. قال السيوطى: ويتأكد ذلك فى حق من اختلط شيخه أو خرف، وربما كان المتأخر أرجح، بأن يكون تحديثه الأول قبل أن يبلغ درجة الإتقان والضبط ثم حصل له ذلك بعد، إلا أن هذا علو معنوى.

٢ - الإسناد النازل:

والإسناد النازل هو ما قابل العالى.. فكل ما سبق بيانه من أقسام الإسناد العالى، وأنواع بعض أقسامه، يقابلها للإسناد النازل على نحو ما سبق، وعلى هذا يكون النزول خمسة أقسام كذلك:

١ - النزول بسبب البعد عن رسول الله ﷺ.

٢ - النزول بسبب البعد عن إمام من الأئمة.

٣ - نزول الإسناد بالنسبة إلى كتاب من كتب السنة المعتمدة.

٤ - النزول بسبب تأخر وفاة الشيخ الذى يروى عن وفاة شيخ آخر.

٥ - النزول بسبب تأخر السماع من الشيخ بالنسبة لآخر مقدم سماعه.

ومما سبق يتضح لنا أن الإسناد العالى أفضل من النازل. ولكن هذا الحكم ليس عاما، فقد يكون الإسناد النازل أفضل، وذلك بأن يكون رجاله أوثق، وأضبط، وأفقه من رجال الإسناد العالى، أو يكون الإسناد النازل متصلا بالسماع والعالى فيه إجازة أو بعض تساهل من الرواة، فالمعول عليه إذا - فى الأفضلية - إنما هو صحة الرجل.. قال ابن المبارك: ليس جودة الحديث قرب الإسناد بل جودة الحديث صحة الرجال. وقال السلفى: الأصل الأخذ عن العلماء فنزولهم أولى من العلو عن الجهلة على مذهب المحققين من النقلة، والنازل حينئذ هو العالى فى المعنى عند النظر والتحقيق أ. هـ.

الهامش:

١ - وبرك الغماد: بكسر الغين،موضع وراء مكة بخمس ليال.

الإسلام دين الإقناع بالحجة والدفاع بالعدة

فضيلة الشيخ
محمد عبد المجيد زيدان

لقد نشر الإسلام دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة، وشق طريقه بالإقناع والحجة فعندما جاء ﷺ إلى البشرية حدد لها طريق الحق وقادها نحو ربها بنظام شرعه الله تبارك وتعالى، وكان ﷺ فى نفسه صورة حية لنظام الإسلام، وقدوة طيبة لأتباعه المؤمنين، فقد ظل ﷺ بمكة المكرمة يدعو للحق الذى أرسله الله به ثلاث عشرة سنة كاملة، وفى يده برهان من العقل ودليل من الواقع الملموس، وحجة دامغة على بطلان عقائد أهل مكة من المشاهد المحسوس، وما كانت دعوته ﷺ معقدة حتى يبذل فى سبيلها جهدا تنوء به أمة، وما كان الحق الذى جاء به خفيا حتى يحتاج لكل وسائل الإقناع.

● ولكن الموقف كان من المشركين، جمودا على قديم آبائهم وعنادا لحق يحرمهم من شهواتهم وسخيف عاداتهم، ولم يكن موقفهم من رسول الله ﷺ موقف المكذب له، فهم الذين لقبوه لما عرفوه قبل رسالته بالصادق الأمين، كما لم يكن موقفهم من رسالته موقف المنكر لها، فالحق الصريح يشق طريقه للقلوب برغمها مثل النور الذى يقتحم الأماكن فيدخلها، ولكن كاره النور يغلق بابه دونه أو يمنعه عن عينيه بيديه، كذلك عدو الحق يشعر بسطوته على قلبه ويفهم معناه بعقله، ولكن مع ذلك يرفضه بنفسه وشهوته عنادا لا تكذيبا، وجحودا لا تفنيدا، قال تعالى: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا﴾** النمل: آية ١٤، وقال جل ذكره لنبيه: **﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾** الأنعام: آية ٣٣، ومن هنا يتبين أنه إذا كانت العقبات التى تقف فى سبيل الدعوة آتية من الجهل وضعف الفهم كان الإقناع علاجها والتعليم دواءها فيتم شفاؤها ويكمل برؤها.

● أما إذا وقف العناد فى طريق الحق وقامت المكابرة فى سبيل الإصلاح فلن ينفع دليل ولن يفيد برهان.

وليس يصح فى الأذهان شىء
إذا احتاج النهار إلى دليل

● والمعاند لايقبل حجة ولا دليلا، ولا يستعين فى رد الحق بحجة أو دليل.

● لقد أمر الله رسوله أن يجادل مخالفيه بالتى هى أحسن، لأن الاحسان يجتذب القلوب إلى الداعى ويكسب الثقة بالهادى، وأمره بالصبر والاحتمال رغبة فى عودة الخصوم إلى المودة والحق والامتثال، والله قادر على هدايتهم غفور لإساءتهم: **﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم﴾** الممتحنة: آية ٧.

إعداد القوة دفاعا عن الحق:

● لكن عندما يكون عدوان أهل الباطل على أهل الحق جماعيا مسلحا يأمر الإسلام أبناءه بإعداد العدة حتى لا نؤخذ على غرة، قال تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾ الأنفال: آية ٦٠.

● والإسلام عندما يدعو للقوة والاستعداد يريدها قوة العادل الذى لا يتعدى ولا يظلم دفاعا عن الحق وذودا عن الأمة، ولا يقاتل إلا أهل العدوان ليرد إلى الناس الأمن والأمان والعدل والسلم والسلام، قال تعالى: ﴿**وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾ البقرة: آية ١٩٠، وقال تعالى: ﴿**ياأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة**﴾ البقرة: آية ٢٠٨، فالجهاد فى الإسلام مقدر بالضرورة التى يدفعنا إليها المعتدى، فإذا رغب فى المسالمة سالمناه قال تعالى: ﴿**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**﴾ الأنفال: آية ٦١، فديننا أكبر داع للسلم والأمن العام، ولكنه يأمر بالاستعداد ليوقظ الهمم ويحرك العزائم حرصا على العزة الإسلامية والكرامة الوطنية أن تهان، وصونا للراية أن تذل وتضام. ومجاراة للأمم فى تأهبها وتقدمها، ومسايرة للزمن فى تطوره وتقلبه، ولهذا أطلق القوة ولم يحدد نوعها فى قوله: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾ الأنفال: آية ٦٠، فمظاهر القوة تختلف باختلاف الأزمنة، قال أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد ـ رضى الله عنهما ـ حين وجهه إلى حرب اليمامة: «يا خالد حاربهم بمثل ما يحاربونك به، السيف بالسيف، والرمح بالرمح» ولو كان أبو بكر فى عصرنا هذا لقال: «والمدفع بالمدفع، والصاروخ بالصاروخ.. وهكذا» لأن الله تعالى يقول: ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**﴾ البقرة: آية ١٩٤.

● إن القوة المادية التى لا تصاحبها قوة روحية وخلقية خطر كبير وشر مستطير تولد فى النفس الغرور والبغى والعدوان، والدين يهذب القوة الجامحة ويقلم أظافر البغى والعدوان، ويوجه القلوب إلى الوقوف عند حدود الحق والعدل والإنصاف.

الإسلام دعوته السلام والجهاد فيه مقدر بالضرورة التى يدفع إليها المعتدى

● إن من مبادئ الإسلام الحزم والحذر وأخذ الحيطة وبعد النظر، حتى لا نخدع أو نؤخذ على غرة، انظر إلى صلاة المسلمين فى ميدان القتال، كيف نظمها الله فى قوله: ﴿**وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم**﴾ النساء: آية ١٠٢.

عناصر نهضة الأمة:

● إن بقاء كل أمة مرتبط بقوة حيويتها ومتانة خلقها وحسن توجيهها، والإسلام يعبر عن حقيقة السلام والمؤاخاة للبشر جميعا، فهو دين أمن وأمان واحترام لحقوق الإنسان والحضارة الإسلامية هى حضارة إنسانية تفاعلت مع جميع الحضارات، ونحن المسلمين قد حملنا الله أمانة دعوة سائر

الأمم والشعوب إلى حضارة عالمية تتبادل فيها الشعوب ثمرات خبراتها وتجاربها، وتتسابق من خلال تنوع ثقافتها إلى الخيرات، فنحن أمة ذات رسالة متجددة بين الناس قرنا بعد قرن، وجيلا بعد جيل، جوهرها عبادة الله وحده ومبادؤها تحرير الإنسان وإشاعة روح التواصل بين الأفراد والشعوب وتحقيق السلام العادل الذى تنتعش من خلاله التنمية الإنسانية الشاملة، لأننا نؤمن بكل المبادئ الإنسانية الرفيعة التى بشرت بها الأديان السماوية، والتى تنطلق من الإيمان بوحدة الأصل الإنسانى وبوحدة المصير وبالعمل الجماعى فى إطار التعاون الإنسانى لنشر قيم العدل والخير والسلام، كما أننا نرفض كل عدوان يستهدف الأبرياء أو يدمر الإنجازات الحضارية للمجتمع الإنسانى، لأن ديننا دين وحضارة، وقد علمنا بأن الحضارة الحقيقية ماهى إلا مواقف إنسانية نبيلة تتسم بضبط النفس وتحقيق العدالة التى لا تفرق بين إنسان وإنسان آخر.

القوة المادية التى لا تصاحبها قوة روحية شر مستطير يولد فى النفس البشرية البغى والعدوان

الأخذ بأسباب العلم والتخطيط السليم:

● ولكن من الواجب علينا ونحن فى هذه المرحلة الحاسمة أن نبدأ بتغيير جوهرى فى أنفسنا وأخلاقنا، وأن يكون هذا التغيير عاما وشاملا بالنسبة للعامة والخاصة، لأن أفكارنا هى التى تصنعنا، فقد عاد رسول الله ﷺ أعرابيا مريضا فقال مواسيا له: «طهور» فقال الأعرابى: بل هى حمى تفور على شيخ كبير لتورده القبور، فقال ﷺ: «فهى إذن» صحيح البخارى. ومعنى ذلك أن الأعرابى كان يائسا فلم يتذوق منطق الرسول ﷺ الذى يبشره بالعافية، فحبس نفسه فى سجن اليأس، والمرء حيث يضع نفسه، وصدق الله حيث يقول: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ الرعد آية ١١، وقد صدق من قال:

ليس السعيد الذى دنياه تسعده

إن السعيد الذى ينجو من النار

● أى من نار القلق والتمزق فى الدنيا بسوء اختياره وسلوكه.

● وأن نأخذ بأسباب القوة من قوة الإيمان، وصحة الأبدان، وسلامة الخلق، وحسن الاستعداد لكل حالة، ونأخذ بأسباب العلم النافع والتكنولوجيا الحديثة، ننتج قوتنا من أرضنا، ونصنع كل ما نحتاج إليه بأيدينا.

● فأمتنا الإسلامية تمتلك كل مقومات النهضة، ولكن تنقصها الإرادة والتخطيط السليم وعلى كل داعية أن يجدد فى خطابه بما يتلاءم مع تطور العصر وحركة التنمية، وعليه أن يستلهم أحاسيس الناس وأن يلامس متاعبهم المزمنة والعارضة، ويحاول أن يجسدها فى خطبه ودروسه، فالكلمة الأمينة الشريفة ثروة وموقف، والموقف مبدأ والرجال مواقف ومبادئ لا يتأرجحون على حبال النفاق، والداعية لا يغير جلده لأن جلد الداعية نسيج يستمد ألوانه من آلام الناس ومشاعرهم.

● وعلى الجميع أن يدرك بأن الأمل الوحيد أمامنا لكى يعود لأمتنا مجدها الداثر وشرفها الغابر هو الوحدة عملا وليس شعارا فقط.

قال رسول الله ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه».

الشفاعة العظمى

شعر / عمر موسى موسى البرعى

إن الشفاعة بالمختار قد وجبت ... للتائبين بفضل الله واتضحت
فهو الشفيع المرجى فى شفاعته ... به الإنابة للرحمن قد قبلت
وهو المؤمل يوم الزحف فى ثقة ... وهو الرحيم به الآلاء قد عظمت
يوم القيامة كل الناس يفزعهم ... خوف من الحشر فيه الحال قد كربت
والكل يرجو خلاصا من شدائده ... فى لهفة عمها الإرهاق واضطربت
الملك يومئذ لله منفردا ... وكل نفس غدت رهنا بما كسبت
يوم به الخلق قد ضاقوا وقد سئموا ... والمجرمون به أنفاسهم حبست
وكل نفس به قد بان موقفها ... حيث الصحائف بالأعمال قد نشرت
تجمع الخلق حول الرسل فى فزع ... يشكون من وقفة طالت وقد ثقلت
حتى إذا يئسوا من طول وقفتهم ... ترى العيون إلى المختار قد شخصت
وجاء أحمد والإشراق يغمره ... مرآه فيها سمات البشر قد سفرت
فهو الحبيب لدى الرحمن حيث له ... عز الشفاعة والأهوال قد كربت
وهو المشفع إجلالا لمبعثه ... به البرايا عن الأعمال قد سئلت
من غيره فى الورى ترجى شفاعته ... وغضبة الله قد حلت وقد قهرت
والكلِ ينظر للمختار فى وله ... قلوبهم بالرجا فى الله قد ملئت
وخر أحمد تحت العرش مرتجيا ... عفو الكريم الذى آلاؤه غمرت
يارب رحمتك الكبرى فأنت لها ... أهل وأنت الذى كفاه قد رحمت
أنت الكريم الذى ترجى مكارمه ... كل القلوب إلى الحلقوم قد بلغت
يارب فاغفر لمن زلت جوارحه ... إن الجوارح بالعصيان قد نكبت
يجيبه الحق حبا فى شمائله ... أنت الشفيع وهذى رحمتى وسعت
واستبشر الخلق بعد اليأس وابتهجوا ... فإن رحمة رب العرش قد حضرت
يارب صل على المختار شافعنا ... به الخلائق فى الأكوان قد شرفت
فأنت أرسلته للناس كلهم ... مسك الختام به الأديان قد ختمت

الحضارة والعلوم

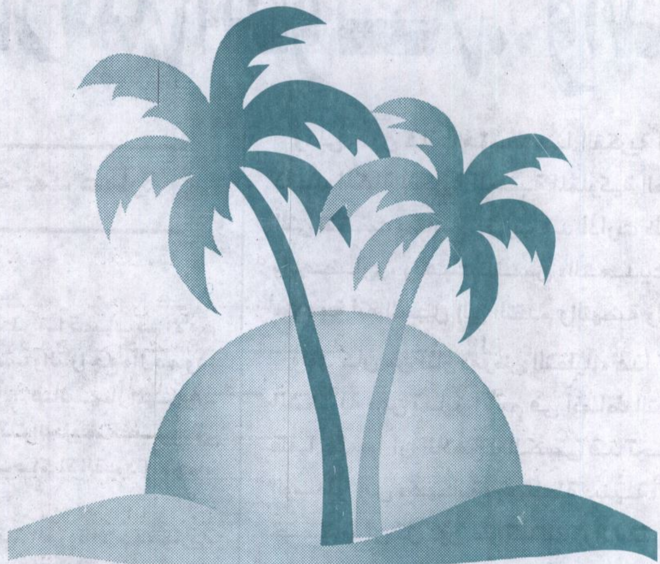

- إسلامية الدولة ومدنيتها
- تطوير المناهج الدراسية
- الصحة وعلاقتها بالبيئة من منظور إسلامى
- الفن الإسلامى عبر ١٤٠٠ عام

الدين والدولة ٢

إسلامية الدولة.. ومدنيتها

أ. د. محمد عمارة

من أسوأ وأخطر ما تصاب به الأمم فى حقب الضعف والتراجع والجمود: داء «التقليد».. فانبهار المهزوم - وخاصة إذا كانت الهزيمة نفسية - يدفعه إلى «محاكاة القردة» تجاه المنتصرين؟!..

وعندما هيمنت الغزوة الاستعمارية الحديثة على وطن الأمة العربية كانت صورة الموروث العربى الإسلامى مثقلة بالبدع والخرافات والجمود الناجمة عن إغلاق باب الاجتهاد.. فجاءت «فكرية التغريب» - فكرية الحضارة الغربية المنتصرة - إلى بلادنا فى ركاب هذه الغزوة الاستعمارية لتمارس مع موروثنا الوطنى والقومى والدينى محاولات المسخ والنسخ والتشويه، مستهدفة احتلال العقل العربى، كى تضمن بتحولنا إلى «هامش» لحضارة المركز - الغرب الأوروبى - تأييد وتأبيد التبعية الاقتصادية والعسكرية حتى بعد جلاء جيوش الغزو وقوات الاحتلال..

وعلى حين كانت مؤسساتنا الفكرية التقليدية منكفئة على ذاتها، المكبلة بفكرية الحقبة المملوكية العثمانية.. فإن «النخبة» التى تثقفت بمناهج الغرب قد أدارت ظهرها للموروث الفكرى والحضارى، وذهبت تلتمس «التحديث على النمط الغربى»، متوهمة أنه السبيل إلى التقدم والنهضة والتحرير..

ولقد كان من آثار «مرض التقليد» هذا أن غفلت هذه «النخبة» المتغربة «عن تمايز الأمم فى أنماط التطور وطبائع الموروث.. فلما علموا أن اللاهوت الكنسى قد تحول فى أوروبا العصور الوسطى إلى «كهانة» و«سلطة دينية» و«حكم بالحق الإلهى»، حسبوا أن كل دين هو كذلك، وألحقوا هذه الوصمة بدين الإسلام؟!.. ولما علموا أن «العلمانية» - بما تعنيه من فصل الدين عن الدولة - قد كانت الحل التقدمى الذى أخرج أوروبا من عصورها المظلمة، حسبوا أن هذا هو ذات طريق النهضة فى وطن العروبة وعالم الإسلام؟!

لقد حسبوا الإسلام مسيحية تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله!.. واستعاروا مشكلة أوروبية كى يستعيروا لها حلول الأوروبيين؟!..

وإذا كنا نؤمن بصدق وصلابة الحقائق التى تنفى الشبه بين تطورنا وواقعنا وديننا وبين ما يقابلها فى المسيرة التطورية للحضارة الغربية - بصدد هذه القضية - فإننا نعلم أن قلة قليلة قد شذت عن المجرى العام لفكر الأمة فزعمت قيام التشابه، فى هذه القضية، بيننا وبين الحضارة الغربية المسيحية، وجادلت فى حقيقة أن الإسلام «دين» و«دولة» وقالت إنه هو الآخر مجرد رسالة روحية، لا شأن لها بالدولة والسياسة والسلطان؟!.. ولذلك وجب علينا الوفاء بما يكشف الشبهات عن حقيقة موقف

الإسلام فى هذا الموضوع..

● لقد «ابتكر» هذه الدعوة المرحوم الشيخ على عبدالرازق (١٣٠٥ـ ١٣٨٦هـ ـ ١٨٨٧ ـ ١٩٦٦م) فى كتابه «الإسلام وأصول الحكم»، فقال: **«إن محمدا ﷺ ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين، لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة، وأنه ﷺ لم يقم بتأسيس مملكة، بالمعنى الذى يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها. ما كان إلا رسولا كإخوانه الخالين من الرسل، وما كان ملكا ولا مؤسس دولة، ولا داعيا إلى ملك**(١)**..»!**

● ولقد تابعته فى هذه الدعوى جماعة من الذين غلبت على ثقافتهم «فكرية التغريب».. وكانت «حجتهم» الأولى فى هذه الدعوى هى خلو القرآن الكريم من الحديث عن محمد ﷺ كرجل دولة، فقالوا: «إن القرآن الكريم لم يجعل النبى العربى محمد بن عبدالله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ملكا أو رئيس دولة، وظل ينعته بالنبى الرسول.. وليس من حقنا بأى حال من الأحوال أن نلتزم بغير ما جاء به القرآن الكريم، ونستبدله بغيره. **لم يكن نبى الإسلام فى أى وقت من الأوقات ملكا أو رئيس دولة، وإنما ظل دائما النبى الرسول**(٢)**..»**.

● ونحن إذا شئنا كشف الشبهات التى تلقيها هذه الدعوى على حقيقة موقف الإسلام من «الدولة» و«سياسة» الأمة وتنظيم المجتمع، وجب علينا أن نعلم **أن كل تيارات الفكر الإسلامى السنّية وأعلام علمائها مجمعون على أن «الدولة» ليست «ركنا» ولا «أصلا» من أركان «الدين» وأصوله..** فهذه الأركان والأصول قد حددها حديث الرسول ﷺ الذى يقول: **«بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»**(٣).

كانت صورة الموروث العربى مثقلة بالبدع والخرافات والجمود الناجمة عن إغلاق باب الاجتهاد

و«الدولة» ـ «الإمامة ـ الخلافة» كما يقول ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ ـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨م) ـ ليست ركنا من أركان «الإيمان» الستة ـ (وهى: الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر) ـ .. ولا ركنا من أركان «الإحسان» ـ (التى يجمعها: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)(٤).

ولم يقل أحد من هؤلاء الأعلام إن الوحى القرآنى قد فصّل للدولة الإسلامية نظاما، ولا أن الله قد أوجب على رسوله، فى القرآن، إقامة «الدولة» كما أوجب إقامة أركان الإسلام وفرائض الدين وأصول الاعتقاد.. فـ«الدين»: «وضع إلهى»، وهو فى الرسالة الخاتمة قد اكتملت أركانه وعقائده وأصوله وشريعته فى القرآن الكريم، الذى لم تشتمل آياته على نظام للحكم ولا تشريع للدولة ولا تفصيل للحكومة التى يزكيها كى تسوس مجتمع الإسلام..

وبالطبع، فليس بين أهل الإسلام من يعتقد أن هذا «السكوت القرآنى» عن تفصيل شأن «الدولة» ونظام الحكم السياسى راجع إلى السهو أو القصور أو التقصير.. فحاشا لله وتنزه سبحانه.. لكن الذى يعتقده المسلمون هو **أن القرآن ذلك الكتاب الذى لا**

ريب فيه لما كان كتاب الرسالة الخاتمة، فإنه قد وقف عند النهج والمقاصد والغايات والفلسفات فى كل ما يتصل بالأمور التى هى محل وموضوع للتغير والتطور، الذى هو قانون طبيعى وسنة من سنن الله فى الكون الذى أبدعه ويرعاه.. ومن هذه الأمور: إقامة «الدولة» وقيادة الأمة وسياسة المجتمعات.

فكون «الدولة» ليست ركنا من أركان «الدين»، لا يعنى انتفاء العلاقة بينهما، على نحو ما يفهم «العلمانيون».. لا لما قدمنا من السبب الذى أخرجها من نطاق الثوابت الدينية فقط، وإنما لأسباب أخرى تشهد لوجود العلاقة بين «الدين» و«الدولة»، على النحو الذى تميز فى الإسلام وتميز به الإسلام.

جاءت فكرة التغريب مستهدفة اختلال العقل العربى كى تضمن تأبيد وتأييد التبعية الاقتصادية والعسكرية حتى بعد جلاء جيوش الغزو وقوات الاحتلال

● فالقرآن الكريم، الذى لم يفرض على المسلمين إقامة «الدولة» ـ كواجب دينى ـ قد فرض عليهم من الواجبات الدينية ما يستحيل عليهم القيام به والوفاء بحقوقه إذا هم لم يقيموا «دولة الإسلام»!..

فهناك من فرائض الإسلام وواجباته الدينية، حدود لابد لقيامها وإقامتها من «الولاية» و«الدولة» و«السلطة العامة» و«السلطان».. وذلك مثل جمع الزكاة من مصادرها، ووضعها فى مصارفها.. ومثل: القصاص، ومايلزم له من تعديل للشهود، وتنظيم للقضاء.. ومثل: رعاية المصالح الإسلامية على النحو الذى يجلب النفع ويمنع الضرر والضرار ومثل تنظيم فريضة الشورى الإسلامية فى أمر المسلمين.. ومثل: القيام بفريضة العلم.. ومثل: وضع الآية القرآنية التى توجب على المسلمين طاعة «أولى الأمر» منهم فى التطبيق، وذلك لأن القرآن الكريم قد توجه إلى ولاة الأمر، أهل «الولاية» و«الدولة» و«السلطان»، فأوجب عليهم أداء الأمانات ـ أمانات الولاية والسلطة العامة ـ إلى المحكومين **﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾** النساء: آية ٥٨، ثم توجه فى الآية التى تلت هذه الآية، إلى الرعية والأمة فأوجب عليها طاعة أولى الأمر الذين ينهضون بأداء هذه الأمانات **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾** النساء: آية ٥٩.. فوجود «ولاة للأمر» يجب عليهم أداء الأمانات إلى المحكومين.. ووجود رعية تجب عليها طاعة «ولاة الأمر».

هذه، هى فرائض دينية لا سبيل إلى الوفاء بها إذا غابت «الدولة» من عالم الإسلام والمسلمين.. وهذه «الدولة» ليست مطلق دولة، من حيث النهج الذى تلتزمه والشرع الذى تحتكم إليه، وإنما هى «الدولة الإسلامية»، لأنها هى وحدها الأداة الكافلة لإقامة الواجبات الشرعية الإسلامية التى لا تقوم ولا تقام إلا بهذه الأداة!.. وهكذا نجد أن «الدولة»، رغم أنها ليست فريضة قرآنية ولا ركنا من أركان «الدين»، إلا أنه لا سبيل فى حال غيابها، إلى الوفاء بكل الفرائض القرآنية الاجتماعية، والواجبات الإسلامية الكفائية التى يقع الإثم بتخلفها على

الأمة جمعاء، والتى كانت، لذلك آكد من فروض الأعيان!.. فوجوب «الدولة»، إسلاميا راجع إلى أنها مما لا سبيل إلى أداء الواجب الدينى إلا به.. ومن هنا تأتى علاقتها، وعلاقة «السياسة» بـ«الدين» فى نهج الإسلام!.. إنها «واجب مدنى» اقتضاه ويقتضيه «الواجب الدينى» الذى فرضه الله على المؤمنين بالإسلام.

● ويزيد هذه الحقيقة الإسلامية جلاء ووضوحا اتفاق المسلمين - باستثناء أبى بكر الأصم - ٢٧٩هـ - ٨٩٢م) - من المعتزلة - و«النجدات» أتباع نجدة بن عامر الحنفى (٣٦ - ٦٩هـ - ٦٥٦ - ٦٨٨م) - من الخوارج - اتفاقهم على «ضرورة الدولة ووجوبها» شرعا أو عقلا، أو للاعتبارين.. لأن «الناس يتظالمون فيما بينهم، بالشره والحرص المركب فى أخلاقهم، فلذلك احتاجوا إلى الحكام(٥)».. ولأن «الإنسان مطبوع على الافتقار إلى جنسه، واستعانته صفة لازمة لطبعه، وخِلْقَةٌ قائمة فى جوهره(٦)».. ولأن «صلاح الدنيا معتبر من وجهين:

أولهما: ما ينتظم به أمور جملتها.

والثانى: ما يصلح به حال كل واحد من أهلها»(٧)..

ومع اتفاق علماء الإسلام على «ضرورة» الدولة و«وجوبها»، فإنهم قد اتفقوا - خلا الشيعة الإمامية - على أنها من «الفروع»، وليست من أصول العقائد ولا من أركان الدين(٨).. فهى واجب مدنى اقتضاه ويقتضيه الواجب الدينى، المشتمل على تحقيق الخير للإنسان فى هذه الحياة.

فهى ليست ركنا دينيا.. وإنما هى «واجب مدنى» و«ضرورة مدنية»، لكن ليس بالمعنى الذى يقطع صلاتها وعلاقاتها بالواجبات والفرائض الدينية، على النحو الذى يقول به العلمانيون، لأن قيام الكثير من الواجبات «الدينية» متوقف على تحقيق هذا الواجب «المدنى».. و«المدنية»، هنا، تعنى انتفاء «الكهانة» و«الثيوقراطية» (Theo- Cracy) عن طبيعة «الدولة» والسياسة فى الإسلام، ولا تعنى العلمانية التى تفصل «الدولة» عن «الدين».

● ونحن إذا تأملنا موقف أبى بكر الصديق رضي الله عنه من قتال القبائل التى بقيت على إسلامها، بعد وفاة الرسول ﷺ، لكنها امتنعت عن تسليم زكاة أموالها إليه، كخليفة للدولة الإسلامية.. إذا تأملنا هذا الموقف وجدناه نموذجا جيد التعبير والبرهنة على طبيعة العلاقة بين «الدين» و«الدولة» فى نهج الإسلام.

فالذى رفضته هذه القبائل وارتدت عنه لم يكن «دين الإسلام.. لأنهم ظلوا قائمين على الإيمان «بالتوحيد» الدينى فى الألوهية، وعلى «النبوة» لمحمد ﷺ، يصومون، ويصلون، ويحجون.. بل لقد ميز مالك بن نويرة (١٢هـ - ٦٣٤م) وأصحابه الزكاة عن أموالهم، لكنهم امتنعوا عن إعطائها «للدولة» الجديدة، دولة الخلافة التى قامت بالمدينة عقب وفاة الرسول ﷺ.. وكانوا فى هذا الموقف «مرتدين عن وحدة الدولة، والتوحيد القومى»، رغم إيمانهم بالتوحيد الدينى» الذى جاء به الإسلام!..

لكن، أبا بكر الصديق، بعبقريته السياسية التاريخية، لم يقبل منطق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذى سأله معترضا: كيف تقاتلهم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله؟!.. وفى السنة النبوية أن من شهد بها فقد عصم ماله ودمه؟!.. لم يقبل أبو بكر هذا المنطق، الذى وقف عند «الدين»، ولم يبصر علاقته بـ«الدولة». فمع تسليمه بإيمان القوم - المرتدين - «بالإسلام الدين»، رغم ارتدادهم عن وحدة «الدولة» الإسلامية، أبصر الصديق علاقة «الدين» بـ«الدولة»، **ورأى «وحدة الدولة» حقا يقتضيه «التوحيد فى الدين»!..**

فوجود «دولة الخلافة»، يومئذ - وهى ضرورة

مدنية وواجب سياسى - كان السبيل لتنظيم «الزكاة»، التى هى واجب دينى، وركن من أركان الإسلام الدين.. وهذا هو المعنى الحقيقى والعميق لعبارة أبى بكر، التى حسمت الحوار الذى دار حول مشروعية قتال هؤلاء المرتدين عن وحدة الدولة الإسلامية: إن الزكاة هى حق لا إله إلا الله؟!.. «والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه»!.. وبهذا المنطق، الذى ربط أبو بكر بين «الدين» و«الدولة»، شرح الله صدر عمر بن الخطاب لرأى الصديق فى هذا الموضوع الخطير!..

بل لعلنا لا نغالى إذا قلنا إن وجود «دولة الخلافة» - التى حماها الصحابة ودعموها بقتالهم للمرتدين - رغم طابعها المدنى، وانتفاء وصف «الواجب الدينى، والفريضة الدينية، والدولة الدينية» عنها - كان السبيل لما هو أكثر من إقامة «فريضة الزكاة الدينية»، كركن من أركان الدين.. إذ أنها كانت السبيل لإقامة الإسلام كله كدين.. «فالدولة» هى التى نشرت الإسلام خارج شبه الجزيرة، بعد أن أعادت رفع أعلامه التى طواها العرب المرتدون.. ولولاها لتهددت الإسلام مخاطر أن يصبح مجرد نحلة من النحل التى عرفها التاريخ، أو ديانة يقف شرف التدين بها عند قلة من الناس.. لقد كانت هذه «الدولة» هى الأداة التى تحقق بها وعد الله سبحانه فى قرآنه الكريم: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر: آية ٩.

إن «التشيع» - كمذهب - لم يبلغ فى المنطق والاتساق والتماسك مبلغ «الاعتزال».. وعبقرية الليث بن سعد (٩٤ - ١٧٥هـ - ٧١٣ - ٧٩١م) ومحمد بن جرير الطبرى (٢٢٤ - ٣١٠هـ - ٨٣٩ - ٩٢٣م) فى الفقه لا تقل - إن لم تزد - عن عبقرية مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩هـ - ٧١٢ - ٧٩٥م) ومحمد ابن إدريس الشافعى (١٥٠ - ٢٠٤هـ - ٧٦٧ - ٨٢٠م).. لكن وجود «الجماعة المنظمة» هو الذى ضمن البقاء لمذهب التشيع، ولفقه مالك والشافعى، على حين ذاب الاعتزال، واندثر إبداع الليث والطبرى كفقهاء!.. وهذا برهان على أهمية «النظام والتنظيم» بالنسبة لبقاء وانتشار الدعوات.. وبرهان على مكان «الدولة» - رغم طابعها المدنى - من الإسلام كدين.. **فتميز طبيعتها عن طبيعة الدين، وإن برأها من «الكهانة والثيوقراطية»، إلا أنه لا يقطع الصلات بينها وبين الدين، على النحو الذى يقول به العلمانيون، فهى واجبة، بنظر الإسلام، وضرورة شرعية سياسية، لأن فى تخلفها - رغم كونها من «الفروع» - تخلف كثير من «الأصول» والواجبات التى فرضها الدين!..**

الهوامش:

١ - على عبدالرازق (الإسلام وأصول الحكم) ص١٥٤. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

٢ - د. محمد أحمد خلف الله (النص والاجتهاد والحكم فى الإسلام) - دراسة - مجلة (العربى) الكويتية - عدد ٣٠٧ رمضان سنة ١٤٠٤هـ - يونيو سنة ١٩٨٤م ص٤٣.

٣ - رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن حنبل.

٤ - ابن تيمية (منهاج السنة النبوية) جـ١ ص٧٠ - ٧٢ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢م.

٥ - الجاحظ (رسائل الجاحظ) جـ١ ص١٦١. تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون. طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤م.

٦ - الماوردى (أدب الدنيا والدين) ص١٣٢. تحقيق مصطفى السقا. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣م.

٧ - المصدر السابق. ص١٣٤.

٨ - انظر الغزالى (الاقتصاد فى الاعتقاد) ص١٣٤. طبعة صبيح - القاهرة - بدون تاريخ. و(فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) ص١٥. طبعة القاهرة سنة ١٩٠٧م. والجوينى (الارشاد) ص٤١٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠م. والإيجى، والجرجانى (شرح المواقف) جـ٣ ص٢٦١. طبعة القاهرة سنة ١٣١١هـ، والشهرستانى (نهاية الإقدام) ص٤٧٨ طبعة جيوم. بدون تاريخ أو مكان الطبع (مصورة) وابن خلدون (المقدمة) ص١٦٨ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.

تطوير المناهج الدراسية

ضـــرورة دينيـة وعلمـــية

أ.د/ محمد الدسوقى

لرابطة الجامعات الإسلامية جهد مشكور فى عقد الندوات والمؤتمرات التى تعالج قضايا الأمة فى العصر الحاضر، ولا تكتفى بعقد هذه الندوات والمؤتمرات فى الدول الإسلامية، وإنما تسعى لعقدها فى الدول الأخرى، لتقدم الصورة الصحيحة للإسلام وتشريعاته الإنسانية العادلة لغير المسلمين الذين تأثروا بما يذيعه الفكر الاستشراقى من أباطيل وافتراءات فكانت مواقفهم وأحكامهم غير المنصفة لهذا الدين القويم علهم يدركون الحقيقة فتفتر موجة العداء للإسلام والمسلمين، ويسود الحوار الحضارى الذى يتحرر من أوزار التعصب والجهل وعدم الاعتراف بالآخر!

وكان أحدث تلك المؤتمرات ما عقد أخيرا فى بيروت، وهو المؤتمر السابع للرابطة، ويعقد هذا المؤتمر كل أربع سنوات.

خصص هذا المؤتمر لبحث تطوير مناهج العلوم فى المرحلة الجامعية والدراسات العليا، واشترك فيه نحو ستين باحثا من مختلف الجامعات والكليات الإسلامية، وقد شكلت لهذا عدة لجان متخصصة، تتولى كل لجنة تقديم مقترحاتها وتوصياتها لتطوير منهج علم من العلوم، ثم عرضت هذه المقترحات على المؤتمر العام، ودار حولها نقاش وأخذ ورد، وتمت الموافقة على بعضها، وأعيد بعضها الآخر إلى مقررى اللجان، للنظر فيما أثير حولها من ملاحظات، والأخذ بما ينبغى الأخذ به منها.

ولم تكن العلوم التى نظر المؤتمر فى مناهجها هى العلوم الإسلامية بمفهومها التقليدى، والتى تشمل علوم التفسير والحديث والأصول والفقه والكلام والدعوة الإسلامية فحسب، وإنما شملت إلى جانب هذه العلوم علوم اللغة العربية والدراسات الاجتماعية والاقتصاد الإسلامى، والحضارة الإسلامية، وأخلاقيات مهنة الطب، فضلا عن تقديم مقترح بإنشاء كلية علوم البيئة.

وقدمت الرابطة للجان التطوير دراسات قيمة لتسترشد بها فى عملها وتناولت هذه الدراسات، فلسفة العلوم فى الإسلام، وكذلك فلسفة التطوير وأهدافه.

ونظرا لأن العلوم التى درس المؤتمر السابع لرابطة الجامعات الإسلامية مناهجها أكثر من عشرة علوم فليس من اليسير الحديث فى تفصيل عن هذه المناهج جميعها، ومن ثم آثرت الاقتصار على منهج علم أصول الفقه، لأن هذا العلم بقضاياه المنهجية يكاد يكون قاسما مشتركا بين مناهج العلوم الإسلامية، وفقا لمفهومها المعاصر، فالحديث عنه يعد حديثا عن منهج هذه العلوم بوجه عام.

● **إن علم أصول الفقه من أهم العلوم التى أبدعها الفكر الإسلامى وترجع أهمية هذا العلم إلى أنه عماد الاجتهاد، ولهذا يمثل الميزان الصحيح الذى يضبط البحث الفقهى، ويعرف عن طريقه الاجتهاد الصحيح من الاجتهاد الباطل.**

وقد سبق فقهاء الإسلام بهذا العلم فقهاء القانون فى العالم كله، فلم تعرف المكتبة القانونية أصولا للقانون إلا فى العصر الحديث على حين عرفت المكتبة الإسلامية تراثا منهجيا فريدا للبحث الفقهى نما وتكامل على مدى ثلاثة عشر قرنا، وتبلور فى إطار «علم أصول الفقه».

والذى لا مراء فيه أن هذا العلم كما يدرس اليوم بالمنهج التقليدى فى عرض القضايا والمسائل لا يحقق الغرض من دراسته، فقد أصبحت هذه الدراسة وسيلة للإلمام بالآراء وحفظ التعريفات والأدلة دون الخروج منها بتصور منهجى ينير طريق الاجتهاد المعاصر، أو يعين على سلوكه.

وقد كتب فى موضوع تجديد المنهج الأصولى عدد من المقالات والبحوث كما عقدت مؤتمرات وندوات عدة، حول علوم الشريعة وتطوير مناهجها، ودعت كل الدراسات والبحوث إلى التجديد المنهجى لعلم الأصول.

ويكاد كل ما صدر عن المهتمين بالفكر الأصولى والداعين إلى تطوير منهجه يتفق على نقد التراث الأصولى فيما يلى:

أولا: عدم الحديث بتفصيل عن مقاصد الشريعة والاكتفاء بالإشارة إلى هذا فى باب القياس عند تقسيم العلة بحسب مقاصد الشرع، وهذه المقاصد تعد الركن الثانى لاستنباط الأحكام الشرعية، والركن الأول هو الحذق والتمهر فى اللغة العربية.

ثانيا: الحديث عن مسائل كثيرة تعد من نوافل القول فى علم الأصول، **أولا:** مدخل لها فى الغرض الذى من أجله وضع هذا العلم كمسائل اللغات، أهى اصطلاح أو توقيف، وحكم الأشياء قبل الشرع والإباحة هل تكليف أم لا، وهل كان النبى ﷺ متعبدا بشرع قبل بعثته أو لا، وعربية جميع القرآن والعناية الزائدة بالحدود والتعاريف والانشغال بمناقشتها، مما جعل علم الأصول وبخاصة فى العصور المتأخرة ميدانا للجدل والمناظرة فيما هو لفظى، وجعل العلماء يتعدون عن غايته والأغراض المقصودة منه، حيث مالوا بمباحثه إلى الفكر النظرى دون الفكر التطبيقى.

ثالثا: عدم تحرير القول فى النزاع الطويل فى خبر الواحد حتى يعول عليه فى أخذ الأحكام دون خلاف فى الشروط التى وضعها بعض الأئمة، وهى شروط كانت ولاتزال موضع جدل ومصدر خصام بين المسلمين، وشغلا شاغلا للدارسين.

وجملة القول إن علم الأصول كما يقول الدكتور حسن الترابى فى رسالته: «تجديد أصول الفقه الإسلامى لم يعد بصورته الموروثة مناسبا للوفاء بحاجاتنا المعاصرة حق الوفاء، لأنه مطبوع بأثر الظروف التاريخية التى نشأ فيها، وبطبيعة القضايا التى كان يتوجه إليها البحث الفقهى، فهذا العلم قد آل به الحال - بعد نهضة حميدة - إلى الجمود العقيم بحيث أصبح معلومات لا تهدى إلى فقه ولا تولد فكرة، وإنما غدا الأمر نظرا مجردا موغلا فى التشعيب بغير طائل.

وأما المبادئ الكلية التى يؤسس عليها منهج تطوير أو تجديد علم الأصول فهى ما يلى:

أولا: لا يعنى التجديد تنكرا لفضل علماء الأصول ولا هدما لجهودهم، وإنما يعنى التجديد محاولة تطوير لمنهج الاستنباط على نحو لا يخرج على القطعيات بحال من الأحوال، وإنما يرى فى الظنيات أو بعضها رأيا يكفل للاجتهاد قيادة الأمة فى شتى المجالات، ونبذ السلبية، أو النزعة التراثية فى معالجة المشكلات فى عصر تختلف وقائعه وصراعاته الاجتماعية والفكرية كل الاختلاف عما كان من قبل.

ثانيا: إن العمل الجماعى فى تطوير علم الأصول والكتابة فيه هو الطريق الأمثل للتطوير، على أن تكون الكتابة مقارنة بين مختلف المذاهب، وبأسلوب ملائم لمستوى الطلاب فى المرحلة الجامعية والدراسات العليا، والبعد عن التمسك؛ بطريقة الشرح على المتون.

ثالثا: توضيح الغاية من تدريس علم الأصول، وهو تكوين أجيال قادرة على الاستنباط والتعامل مع الأدلة الشرعية، وكذلك تخريج أجيال من القضاة ومعاونيهم تمتلك رصيدا أصوليا يعينها على فهم النصوص وإنزال الأحكام على الوقائع بما تقتضيه من العناية بقواعد التفسير الأصولى، وضبط أصول الاستنباط.

رابعا: العناية بضبط قواعد الفهم اللغوى لنصوص الكتاب والسنة فهذه القواعد تعد الأساس لضبط كثير من العلوم بجانب العلوم الشرعية التقليدية، فضبط اللغة من أهم وسائل ضبط أى علم أيا كان موقعه.

خامسا: الرد على الدعاوى التى تحاول النيل من السنة من حيث ثبوتها وحجيتها، أو تطلب عرضها على المعقول، أو وجوب عدم الأخذ بها مع ما يظن أنه المصلحة، وكل ذلك يقتضى تحديد نطاق حجيتها ومداه، والآثار المترتبة على عدم قطعية ثبوتها فى بعض الحالات، وإبراز ما قام به علماء الحديث من جهد رائد غير مسبوق.

سادسا: دراسة النص الشرعى دراسة أصولية وليس دراسة تاريخية فما يكتب عن القرآن فى كتب الأصول التقليدية يدخل فى باب علوم القرآن، وليس فى باب علم الأصول، ولذا يجب فى دراسة النص القرآنى التركيز على توضيح منهج القرآن فى تقرير الأحكام، وأن تكون دراسة السنة بالنسبة للقرآن كالمذكرة التفسيرية بالنسبة للقانون، تفصل مجمله، وتفسر ما يحتاج إلى تفسير، مع بيان مدى استقلالها فى تشريع الأحكام.

سابعا: إذا كان الفكر الأصولى فى جوهره يتعامل مع الواقع فإن دراسة هذا الفكر على نحو يجمع بين النظر والتطبيق هى الدراسة التى تؤتى أكلها فى ترسيخ المفاهيم. وتوجيه العقل لاجتهاد صحيح عملى، ولهذا كان من وسائل تجديد المنهج الأصولى الربط بين القواعد والفروع الفقهية مع مراعاة أن تكون هذه الفروع من الواقع المعاصر.

ثامنا: تطوير مفاهيم الإجماع والقياس.

إن للإجماع دورا فاعلا فى الاجتهاد وبخاصة فى العصر الحاضر الذى تنوعت فيه المشكلات، بحيث تحتاج دراستها إلى عدد من التخصصات، وما جاء فى كتب الأصول التقليدية عن الإجماع ليس إلا فكرا نظريا مثاليا لا يعرف التطبيق بحال من الأحوال فى حياتنا المعاصرة.

أما القياس فإن منطلق تطويره يقوم على أن ما يثبت من الأحكام التى وردت بها النصوص المبنية على علل وأسباب شرعت لأجلها، وأن هذه العلل كما يدل الاستقراء مرجعها جميعها إلى تحقيق المصلحة، فكل ما يحقق مصلحة للناس فى معاملاتهم فى أى زمان ومكان يكون مشروعا قياسا على ما نص عليه والعلة هنا هى المصلحة، وليس كما قرر الأصوليون الأمر الجامع المنضبط بين المقيس والمقيس عليه كالسكر مثلا بين الخمر وسائر المخدرات.

تاسعا: ضرورة الاهتمام بالمقاصد الشرعية وفقه

الواقع ومآلات الأفعال وفقه الأولويات، وأن يكون لعلم الأصول مدخل يعرف بتاريخ هذا العلم وأهم مصادره، وتدريس مادة قاعة بحث، فى المرحلة الجامعية تجمع بين الدراسة النظرية والتطبيقية.

والخلاصة: أن المنهج الأصولى الجديد لا يهتم بما لا يبنى عليه حكم شرعى، ويراعى العناية بالمقاصد بصورة شاملة مع تطوير مفاهيم بعض الأدلة، وربط القواعد بالفروع التطبيقية ما أمكن، ودراسة الواقع دراسة وافية.

وفيما يلى تصور عام لجزئيات المنهج الجديد:

أولا: كتابة مدخل للتعريف بعلم أصول الفقه ومصادره ومصطلحاته مع العناية بتوضيح الغاية من دراسة علم الأصول على أن يدرس هذا المنهج لطلاب السنة الأولى بالجامعات.

ثانيا: دراسة القضايا الأصولية دراسة نظرية وتطبيقية وذلك بتقرير مادة «قاعة بحث».

ثالثا: دراسة تلك القضايا الأصولية دراسة مقارنة بين مختلف المذاهب وأن تجمع هذه الدراسة فى مرحلة الدراسات العليا بين التراث والمعاصرة.

رابعا: يتركب منهج الجزئيات الأصولية من أربعة أبواب على النحو التالى:

الباب الأول: الحكم الشرعى.

تمهيد: مفهوم الحكم الشرعى وأنواعه.

الفصل الأول: الحكم التكليفى وأقسامه.

الفصل الثانى: الحكم الوضعى وأقسامه.

الفصل الثالث: الرخصة والعزيمة.

الباب الثانى: مقاصد الأحكام وخصائص التشريع.

الفصل الأول: مقاصد الأحكام (دراسة مفصلة عن المقاصد وأنواعها تشمل الحديث عن المصلحة المرسلة، كما تتناول كل ماله علاقة بالمقاصد مثل مآلات الأفعال والمستثنيات.. إلخ).

الفصل الثانى: خصائص التشريع (دراسة تتناول أهم خصائص التشريع من ملائمة الفطرة ومراعاة الطاقة البشرية وتحقيق العدل للناس كافة والصلاحية الدائمة للتطبيق.. إلخ).

الباب الثالث: مصادر الأحكام:

تمهيد: يتناول التأكيد على أن النص الشرعى هو مصدر كل الأحكام، وأن كل وسائل الاجتهاد تدور فى فلك هذا النص.

الفصل الأول: النص الشرعى (الكتاب والسنة) ويشتمل هذا النص على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف عام بالكتاب والسنة وبيان العلاقة بينهما.

المبحث الثانى: منهج تقرير الأحكام بين الكتاب والسنة.

الفصل الثانى: النسخ والتعارض بين النصوص.

الفصل الثالث: الاجتهاد، ويشتمل هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: مفهوم الاجتهاد وأنواعه: (فردى، جماعى، انتقائى، استنباطى).

المبحث الثانى: شروط الاجتهاد.

الباب الرابع: وسائل الاجتهاد.

الفصل الأول: وسائل فهم النص لغويا (القواعد اللغوية).

الفصل الثانى: وسائل تطبيق النص (القياس، الاستحسان، العرف، سد الذرائع.. إلخ).

الفصل الثالث: فقه الواقع (دراسة شاملة للواقع فكريا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.. إلخ).

وهذا المنهج الذى أومأت آنفا إلى جزئياته أو قضاياه هو محاولة يؤخذ منها ويرد عليها، ولعل الذين يهتمون بالفكر الأصولى يدلون بدلوهم فى هذا الموضوع، حتى يمكن الاتفاق على رأى فى المنهج الجديد لهذا الفكر، وليس المهم هو وضع جزئياته للمنهج، ولكن الأهم هو أن تصبح هذه الجزئيات صورة عملية مطبقة من حيث التأليف الذى يتوخى التأكيد على الغاية من دراسة علم الأصول وأن يكون عرض القضايا فى أسلوب ميسر بعيدا عن الحشو والفضول ومالا ينبنى عليه حكم شرعى، على أن يجمع بين الماضى والحاضر على هدى وبصيرة.

الصحة وعلاقتها بالبيئة من منظور إسلامى

أ. د: عبدالمعبود عمارة

الصحة أمانة، وعلم البيئة يدرس العلاقة بين صحة الإنسان وبيئته، والصحة عموما هى حالة توازن أو توافق ديناميكى بين الإنسان والبيئة المحيطة به، وينتج المرض عندما يختل هذا التوازن.

العوامل التى تؤثر فى صحة الإنسان:

١ ـ **العوامل البيولوجية والتركيبة الوراثية والجينية** للإنسان مثل بعض الأمراض التى تنتشر فى عائلات معينة كمرض السكر والصرع والصلع.

٢ ـ **العوامل البيئية** مثل الماء والهواء والمسكن، وقد أساء الإنسان إليها بتلوث الهواء وتلوث الماء والضوضاء ومخاطر الإشعاع.

٣ ـ **أساليب المعيشة**: مثل مستوى النظافة والثقافة الصحية. ومستوى الصحة يرتفع مع ارتفاع أساليب المعيشة والسلوك الصحى، فمثلا التدخين يؤدى إلى مشاكل لا حدود لها.

٤ ـ **الحالة الاقتصادية**: وهى تعتبر معيارا مهما لصحة الفرد والمجتمع، والفقر يؤدى إلى المرض.

٥ ـ **الخدمات الصحية**: وهى خدمات وقائية وخدمات علاجية، وبزيادة الخدمات الصحية ترتفع مستوى صحة الفرد والمجتمع.

دور العلماء فى تحسين العلاقة بين الصحة والبيئة:

إن على العلماء مسئولية تجاه صحة الفرد والمجتمع سواء فى ذلك علماء البيئة والطب وعلماء الدين وذلك بنشر الدعوة التى تدعو إلى الصحة وسلامة الإنسان، قال تعالى: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ المجادلة: آية ١١.

وقال سبحانه وتعالى أيضا: ﴿**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾ الزمر: آية ٩، وقال جل شأنه: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ فاطر: آية ٢٨، وقال فى سورة طه: ﴿**وقل رب زدنى علما**﴾ آية ١١٤.

على الدعاة والعلماء أن ينموا التوعية بالوقاية من الأمراض ونظافة البيئة ومنع العادات السيئة التى تسىء إلى صحة الإنسان

وعلى كل عالم فى مجال تخصصه أن يقوم بدوره لخدمة دينه ووطنه ونفسه وأهله وبهذا يرفعه الله فى الدنيا والآخرة.

والعلماء ورثة الأنبياء وعليهم تقوم نهضة الأمم وتقدمها ورقيها، وذلك بأن نقدم كل ما نملك من وسائل علمية لرفعة الوطن وتقدمه، وأن يقوم الدعاة وبالتوعية بالوقاية من الأمراض ونظافة البيئة ومنع العادات السيئة التى تسىء إلى الإنسان.

ومن الأمراض التى أود أن أعطى فكرة مبسطة عنها للقارئ الكريم هو مرض الحمى الروماتيزمية وقد اخترتها لأنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالعوامل التى تؤثر فى صحة الإنسان من بيولوجية وبيئية ومعيشية واقتصادية وخدمات صحية لأن العلوم النافعة يجب أن تسخر لخدمة الإنسان خليفة الله فى أرضه، وعلى أكتاف العلماء ترتفع هامة الأمم وتنهض وتعلو راياتها.

الحمى الروماتيزمية:

هى مرض يصيب القلب والجلد والمفاصل وأحيانا يصيب الجهاز العصبى. وهى عادة تصيب الأطفال فى السن ما بين الخامسة والخامسة عشرة وهى فى هذه السن تؤثر على القلب. ويحدث هذا المرض نتيجة لإصابة الجهاز التنفسى العلوى بالميكروب السبحى والذى يهمل علاجه أو لا يعطى الطفل المضاد الحيوى المناسب لفترة مناسبة حتى يقضى على الميكروب تماما.

وعادة ما يصيب هذا المرض أبناء الأسر الفقيرة حيث الزحام وانتشار العدوى، وعدم توافر العلاج والأغذية المناسبة والجهل وعدم الوعى الصحى.

وأهم مضاعفات هذا المرض هو مرض روماتيزم القلب ويحدث بعد الاصابة بالميكروب السبحى المهمل علاجه بحوالى أسبوعين، حيث تخرج هذه البكتريا سموما، يتكون على أثرها أجسام مضادة لهذه السموم، تهاجم القلب وصماماته محدثة ما يسمى بروماتيزم القلب.

أثر روماتيزم القلب على أعضاء الجسم:

أولا: عضلة القلب: يصيب هذه المرض الطبقات الثلاثة لعضلة القلب. فهو يصيب الطبقة الخارجية (الغشاء التامورى) ويحدث به ارتشاحا والتهابا يؤثر على الأداء الوظيفى لعضلة القلب، ثم

تصيب عضلة القلب، وكذلك الغشاء المبطن لعضلة القلب ويحدث تلفا بصمامات القلب وخاصة الصمام الميترالى وصمام الأورطى ويحدث بها ضيقا أو اتساعا وارتجاعا للدم فى اتجاه معاكس مما يؤدى إلى فشل عضلة القلب.

ثانيا: يصيب هذا المرض مفاصل الجسم (وخاصة مفصل الركبة) فى صورة متنقلة ويصبح المفصل متورما ساخنا ومؤلما عند الحركة.

ثالثا: الجلد:

وتوجد به بقع حمراء نزقية وتجمع عقدى تحت سطح الجلد وخاصة حول المفاصل الكبرى.

رابعا: الجهاز العصبى: وتظهر به بؤر مرضية تفاعلية مما يؤدى إلى حركات لا إرادية فى العضلات ورعشة فى الأطراف، وتسقط الأشياء من يد المريض وتسمى الكوريا.

خامسا: الرئتان: قد تظهر التهابات بالرئة فى صورة التهاب رئوى وبللورى بالغشاء المبطن للرئة، وقد يعانى المريض من مرض الأنيميا وزيادة سرعة الترسيب وسرعة النبض، وزيادة العرق، وفقد الشهية.

وعندما يتأثر القلب بالحمى الروماتيزمية: فإن هناك دلالات قوية تشير إلى إصابته وهى:

التهاب الغشاء التامورى المغلف للقلب وتضخم عضلة القلب، وظهور لغط بالقلب وخاصة فى الصمام الميترالى والأورطى وتغير فى رسم عضلة القلب، وفى هذه الحالة يؤكد هذا التأثير بعمل رسم القلب الكهربائى المسمى (بالإيكو).

الأسر الفقيرة عرضة للإصابة بمرض الحمى الروماتيزمية حيث الزحام وانتشار العدوى وعدم توافر الوعى الصحى وعدم توافر العلاج السريع

الوقاية من الحمى الروماتيزمية وروماتيزم القلب:

نظرا لخطورة هذا المرض، وما يسببه من عجز وإعاقة فى مقتبل العمر، بجانب ما يسببه من وفيات، فإن الوقاية منه خير من العلاج. وذلك بالثقافة الصحية والتوعية بأسلوب العدوى، ونظافة البيئة من الملوثات عموما. ومنع تكدس الأفراد فى المنازل، والتهوية الجيدة وعدم البصق العشوائى، وعدم الكحة فى وجه الآخرين والإقبال على الرعاية الصحية الأولية، وعرض المريض على الطبيب فورا، واستكمال العلاج لمنع إزمان المرض ومنع مضاعفاته، كما يجب متابعة الأطفال المصابين بالتهاب الزور والجهاز التنفسى لاكتشاف المرض مبكرا. ويجب أن تكون هناك رعاية خاصة لمرض روماتيزم القلب والحفاظ على حالتهم، ومنع تدهورها مع توفير مؤسسات خاصة للتعليم أو لممارسة بعض الأعمال والمهارات التى تناسب إمكانات هؤلاء المرضى تحت رعاية طبية اجتماعية خاصة.

وتعالج الحمى الروماتيزمية بالراحة التامة فى الفراش وشرب السوائل بكثرة أثناء ارتفاع الحرارة، والمضاد الحيوى المناسب والأسبرين والفيتامين مع الغذاء الجيد، ثم علاج المضاعفات إن وجدت بمعرفة الأطباء المتخصصين، وللآباء والأمهات دور مهم فى المتابعة، وعرض الطفل على الطبيب عند ظهور أى أعراض مرضية.

رسولَ الله قد حَقّ العزاءُ

شعر الدكتور/ عبد الحميد إبراهيم بركات أبو سعدة

رسول الله قد حق العزاء ... فثوب الستر مزقه العراء
وقطعت الصلات بكل غدر ... وساد الحقد وانعدم الصفاء
يقول الله فى القرآن توبوا ... فهل تبنا وهل سمع النداء
رسول الله جئت بخير دين ... يطهر قلب من تابوا وفاءوا
رسول الله أنت لنا ضياء ... ينير القلب إن عز الضياء
فأنت النور ذو خلق عظيم ... وأنت مشفع ولنا رجاء
وإن الدين عند الله ربى ... هو الإسلام عز وارتقاء
رسول الله دينك قد هدانا ... عظيم القدر صار له البقاء
رسول الله أنت لنا إمام ... وأنت الرشد هدى واهتداء
وأنت الصادق المصدوق حقا ... ودينك لا يهان ولا يساء
دعوت إلى صراط مستقيم ... صراط الله للتقوى غذاء
وأديت الرسالة فى بناء ... بعون الله قد ثبت البناء
وظل الدين فى عز ونصر ... بنصر الله ينصر من يشاء
ويقبل دعوة الداعى مجيبا ... إذا سأل العباد وما أساءوا
بمولدك استضاء الكون دوما ... وفاض البشر بل عم الهناء
فأنقذت الخلائق من ضلال ... أحاط بهم وغشاهم رخاء
ومازال اليهود لنقض عهد ... بكل الحقد واشتد العداء
أشد الناس للإسلام كرها ... ومازالوا يسوءهم البناء
فوحد ربنا رأيا وصفا ... لجند الحق إذ وصل النداء
وثبت فى طريق الحق سعيا ... إلى الأمجاد تفديها الدماء

الفن الإسلامى

عبر ١٤٠٠ عام

٢

الزجاج المعشّق

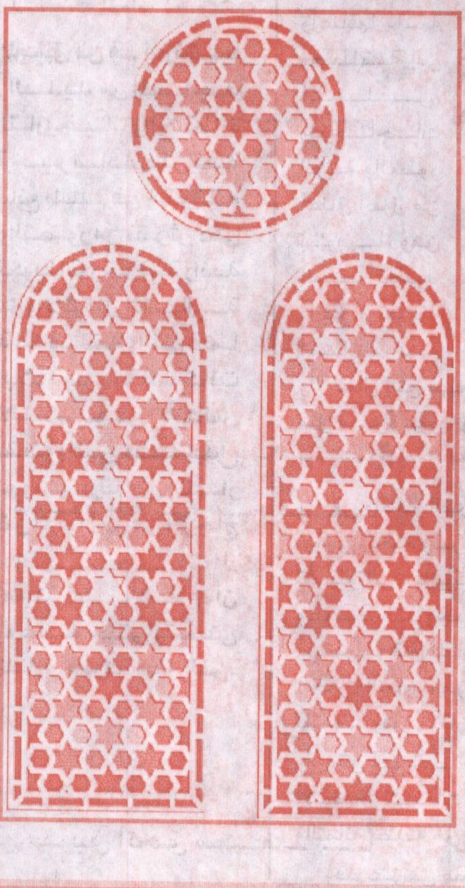

تحقيق:
محمد كامل شاهين

الزجاج المعشق فن قديم نشهد روائعه فى العديد من المساجد والقصور التاريخية، والحضارة الإسلامية خير شاهد على دقة وبراعة الصانع المسلم فى زخرفته للمساجد والقصور من نقوش على الزجاج فى تكوينات زخرفية رائعة من العناصر والأشكال النباتية والهندسية الدقيقة والتى قلما نجدها فى بلاد أخرى، فقد كانت الحضارة الإسلامية فى الأندلس ومصر والأستانة والمغرب قمة إبداع الفنان المسلم ومهارته فى إظهار جماليات الفن الإسلامى من الزجاج المعشق.

وقد رأت مجلة «منبر الإسلام» أن تلقى الضوء عليه حتى يتسنى للقارئ معرفة هذا الفن.

عرف الزجاج منذ بداية التاريخ، فقد وجدت أدوات كثيرة من الزجاج الطبيعى فى أماكن متفرقة من العالم، وكان لاكتشاف النار أثر كبير فى قيام الصناعات التى تعتمد على الحرارة مثل الفخار والخزف والزجاج.

يقول أ. د. محمد زينهم ـ الأستاذ بكلية الفنون التطبيقية جامعة حلوان ـ إن صناعة الزجاج ليست مجرد صناعة ذات طابع يقوم على المنفعة وحدها، وإنما هى ابتكار فطرى وتلقائى انبثق من روح الإنسان وتحقق بفضل براعته الفنية فهو إذن فن من الفنون الصناعية، وإذا كانت طرق صناعته بسيطة نسبيا فى بادئ الأمر فلا يجب أن تغيب عن أبصارنا العوامل ذات الطابع الجمالى والتى استمر بعضها حتى العصر الحديث، فالآنية الزجاجية على سبيل المثال رقيقة وجميلة وأعناقها واسعة ومنطلقة إلى أعلى، ولزجاجات الزينة والعطور أعناق أطول من بطونها، ومن العسير تحديد تاريخ أو تعريف أصل الأوانى والأعمال التى صنعت خلال فترة ما قبل الميلاد إلا فى بعض المناطق مثل مصر وسوريا وأرمينيا والعراق.

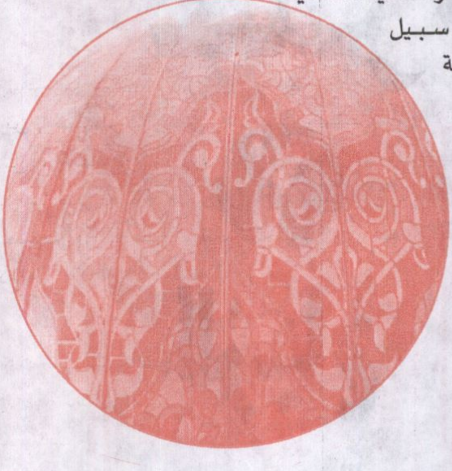

الزجاج عند الفراعنة:

فى مصر الفرعونية انصرف الكهنة إلى البحث والعلم فى كل نواحى الحياة وسر الكون وما فيه، وهناك من الدلائل والبراهين التى تشير إلى ما يؤكد أن المصريين القدماء أول من صنع الزجاج وعرفوه، فقد وجدت فى مقابرهم أقدم آثار لهذه المادة حيث كانوا يصنعونها قبل الميلاد بحوالى ٤ آلاف عام، وهناك بعض الأعمال من الخرز والتعاويذ مؤرخة بهذه الفترة، ومازال الكثير منها محفوظا فى المتاحف ودور الآثار بجميع أنحاء العالم.

ومن أهم استخدامات المصريين القدماء لمادة الزجاج طلاء الأسطح والطبقات الخارجية للأدوات الاستخدامية ودهان التماثيل والتمائم بطبقة من الزجاج.

وقد عثر فى مصر على قضيب من الزجاج عليه نقوش يرجع إلى

عهد الملك «امنحتب الثالث»، ومازال هذا القضيب الزجاجى محفوظا فى متحف برلين، وفى متحف المتروبوليتان للفن بنيويورك كأس خاص بالملك تحتمس الثالث وهى من الآثار التى تدل على براعة القدماء المصريين فى صناعة هذا الفن.

الزجاج عند الفينيقيين

كانت العلاقة التى ربطت مصر الفرعونية والفينيقيين لها أثر كبير فى معرفتهم بصناعة الزجاج واستخدامه كسلعة تجارية وحمله إلى باقى الأقطار التى تاجروا معها، ولو أنهم لم يبلغوا فيها الدرجة التى بلغها الصناع المصريون من حرفة ومهارة.

الزجاج عند الإغريق

جاء فى كتاب الإغريق أن الغرف والحمامات كانت تزين بوضع الزجاج على جدرانها، وهناك بعض الآثار التى تم الكشف عنها ومنها لوحة من الفسيفساء تعود إلى ما قبل الميلاد تمثل لواء أور استخدمت فيها فصوص من الأحجار الكريمة كالأزورد وغيرها من الأحجار الملونة إلى جانب الزجاج.

الزجاج عند الرومان

قامت الامبراطورية الرومانية على حضارات عريقة راسخة مستمدة من الحضارة الإغريقية والفرعونية، ولما كانت الحضارة المصرية فى ذلك الوقت تتميز عن غيرها بالثراء الفنى فى صناعة الزجاج، رأى الامبراطور نيرون أن يستحوذ على الصناع المصريين وعمل على نقلهم إلى روما، وأنشأ أول مصنع لصناعة الزجاج فى الغرب، ويعد هذا المصنع البداية الأولى لانتشار هذه الصناعة فى سائر أنحاء الدولة الرومانية.

زجاج القسطنطينية

بسقوط الامبراطورية الرومانية الغربية، وظهور الامبراطورية الشرقية، نقل قسطنطين الأول عاصمة ملكه إلى القسطنطينية فى القرن الرابع الميلادى فازدهرت صناعة الزجاج وخاصة الزجاج الملون، وقد استدعى الامبراطور قسطنطين صناع الزجاج من الرومان والمصريين وخصهم بالمنح والعطايا حتى نالت صناعة الزجاج فى عهده شهرة واسعة بما أولاها من رعاية فائقة وفى عهد الامبراطور «جستنيان» استقدم عددا كبيرا من

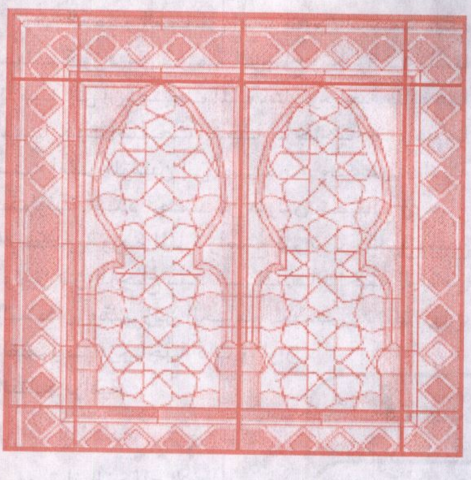

صناع الزجاج من شتى بقاع الأرض ليساهموا فى عمل الزجاج الخاص بتزيين كنيسته التاريخية التى تعرف باسم «أيا صوفيا» فى مدينة اسطنبول، وجميع جدرانها مغطاة بصور القديسين المصنوعة من الزجاج الملون الملتصق بالملاط والمسمى بالفسيفساء، ولاتزال أعظم قطع الفسيفساء الذهبية الموجودة بهذه الكنيسة من أحسن ما أنتجه الإنسان حتى الآن.

الزجاج فى العصر الإسلامى

عندما اختلط العرب بالحضارات الإغريقية والرومانية تأثروا بهذه الحضارات، وكانت الاسكندرية مركزا مهما لصناعة الزجاج فى ذلك الوقت حينما دخلت مصر فى حوزة الإسلام بقيادة عمرو بن العاص، فقد تأثر العرب بهذا الفن وحاولوا تطويره ونقل مراكز صناعته إلى المدن الرئيسية فى العصر الإسلامى مثل الفسطاط، حلب، دمشق، الأندلس.

وقد كانت المنتجات الزجاجية الإسلامية فى هذه الفترة تمتاز بالنقوش والآيات القرآنية، وكانت المشكاوات والقناديل والأوانى والقوارير تزخرف بالمينا وتحلى بالذهب، وكانت هذه الأعمال تصدر إلى كثير من بلاد الشرق حتى أنها قد وصلت إلى الصين، ومن أهم وأدق الأعمال الزجاجية التى تركتها لنا هذه الفترة من التاريخ الإسلامى المشكاة الموجودة بمتحف الزجاج بكورنج بالولايات المتحدة الأمريكية.

وفى العصر العباسى اهتم هارون الرشيد بهذه الصناعة وزاد من قيمة الزجاج وزخرفته بالمينا وتذهيبه إلى أن أصبحت المنتجات الزجاجية طابع هذا العهد، حيث أصبحت التحف الزجاجية هى أهم ما يهديه أمير المؤمنين إلى أصدقائه، وفى عهد الدولة الطولونية جدد أحمد بن طولون مصانع الزجاج بالإسكندرية ورمم المنارة وأصلح المرآة الزجاجية وصنع الموازين من الزجاج بعد اعتمادها بالختم الخاص بالسلطان، وقد زين الجامع الخاص به بالثريات والقمريات الزجاجية ذات الألوان والكتابة الراقية.

الزجاج الأندلسى

يمتاز الزجاج الأندلسى عن غيره بأنه يحمل الطابع العربى الإسلامى فى الشكل العام والطابع الفينيسى فى طريقة صناعته فقد كانت الأشكال رقيقة تزين برسم لأغصان الأشجار والطيور وأشكال الوحوش والثيران، وأزهى عصور إنتاج الزجاج الأندلسى هى فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر، لقد كانت الأندلس مركزا لصناعة الزجاج، وبرشلونة أهم موانئ تصدير الزجاج فى العالم.

ولقد أقام العرب فى اسبانيا حضارة عريقة لاتزال آثارها باقية إلى الآن، ففى آثار غرناطة قصر الحمراء المزين بالثريات والقمريات الزجاجية، كذلك مسجد قرطبة الذى أقيم فى عهد الخليفة عبدالرحمن بن معاوية الذى زين بأكثر من ثلاثمائة وخمس وستين ثريا ومشكاة وقناديل للزيوت والعطور مما يدل على عظمة تأثير الفن الإسلامى على الأندلس.

الزجاج الجصى «الشمسيات القمريات»

الزجاج المعشق بالجص

يشير أ. د. محمد زينهم إلى أن القمريات والشمسيات هى احدى العناصر البارزة فى المبانى العربية والإسلامية والتى وظفها الفنان المسلم لإيجاد علاقة تجمع بين القيمة الجمالية والنفعية فإحدى وظائفها منع الحشرات التى تتسلل من خارج المبنى إلى داخله وهى بهذا تحقق مبدءا أمنيا يتعلق بحياة الإنسان، كما أنها ترشد كم الضوء الداخل إلى المكان وتمنع الأتربة والرياح على مدار العام، وتخفف الأحمال على الأعمدة الحاملة للعقود ومن هذا يتضح أن لها قيمة وظيفية أساسية نفعية إلى جانب القيمة الجمالية التى تتصل بالأشياء من جانب، وتتصل بالتصميم الداخلى للمكان من جانب آخر غير مغفلة للجوانب الروحية بما تعطيه من سكينة وروحانية للمكان.

د. محمد زينهم

المصريون القدماء.. أول من صنع الزجاج وبرعوا فيه ونقلوه إلى مختلف دول العالم القديم

التوافق بين الخامة والمناخ

ويعلق أ. د. محمد زينهم على نشأة هذه التقنية قائلا: استخدم المسلمون الجص للشمسيات والقمريات كخامة أساسية عند التشكيل وهذه الخامة لم تتوافق مع أوروبا لتأثرها بالمناخ ذى الرطوبة العالية أغلب فصول العام، أما فى الشرق فلا توجد عوائق تحول دون انتشارها لجفاف الجو من ناحية، واستقراره معظم فصول السنة، كما أن الدفء الذى تحدثه الشمس المشرقة التى تأتلف مع الجص «الجبس» كخامة أساسية إنشائية ليس لها تأثير جانبى، غير أن التغير فى المناخ الأوروبى طرح على الفنان الأوروبى فكرة استبدال الجص بمعدن طيع سهل هو الرصاص أو بلاط الأسمنت بعد جفافه، هاتان الخامتان مع الزجاج الملون جعلت لأوروبا تقنيتين معروفتين تعكسان التوافق بين الخامة والمناخ هما فن الزجاج المؤلف بالرصاص وبلاطات الزجاج مع الأسمنت، وقد استعمل الجص منذ عهد الدولة الأموية بالمسجد الأموى بدمشق، وفى قصر الخير الغربى الذى نقلت واجهته من مكانها فى الصحراء وأعيد تشييدها فى المتحف الوطنى بتلك المدينة، وكذلك الشبابيك التى توجد بمسجدى عمرو بن العاص، وأحمد بن طولون بالقاهرة.

وتكشف لنا الأمثلة السابق ذكرها عن حذق الصانع العربى فى تلك العصور فى رسم المشبكات الجصية، وإذا كان الصانع قد ورث المشبكات الجصية عمن

سبق من الأمم فإنه كما كان دأبه دائما لم يقف جامدا عند حد النقل عن غيره، بل نراه يبتكر نوعا جديدا من الشبابيك الجصية يجمع فيها الجص والزجاج الملون، وإذا كانت هذه الطريقة قد ظهرت فى مصر لأول مرة فى قبة الصالح نجم الدين أيوب إلا أن البحث الأثرى أثبت أن العرب قد عرفوا هذه الطريقة من العصر الأموى، إذ وجدت بقايا الزجاج الملون فى قطع من الشبابيك الجصية عثر عليها فى قصر الخير الغربى الذى أشرنا إليه، كما وجدت فى قصور العباسيين التى كشفت عنها الحفائر الأثرية فى الرقة والرصافة بالشام.

ولقد كان ابتكار هذه الشمسيات والقمريات بدافع من الرغبة فى تخفيف حدة الضوء فى القصور التى شيدها الخلفاء بالشام، وانتشر هذا النوع من الشبابيك الجصية فى المساجد، وتعرف هذه الشبابيك عادة باسم القمرية إذ كانت مستديرة الشكل، وباسم الشمسية إذا كانت غير مستديرة، وأقدم شباك محفوظ الآن فى المتحف الإسلامى بالقاهرة ويرجع إلى جامع الأمير «قجماس» أمير أخور السلطان «قايتباى» إذ يرجع تاريخه إلى أواخر القرن التاسع عشر الهجرى ـ الخامس عشر الميلادى.

الزجاج المعشق بالرصاص

وعن تاريخ نشأة الزجاج المعشق بالرصاص يقول أ. د. محمد زينهم عرف الزجاج منذ عدة قرون قبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام، ولكن الزجاج المسطح المستخدم فى تجميل البنايات كالزجاج المعشق بالرصاص لم يتطور حقا إلا فى العصور الوسطى، عندما امتلأت أوروبا بالكنائس.

ولقد شهدت مناطق متعددة من الغرب المسيحى ظهور الفن الدقيق للوحات الزجاجية التى تبرزها الألوان الزاهية المتلألئة التى كانت تزين الكنائس والتى ساعدت بدون شك على انتشار الدين المسيحى عن طريق اثارة الشعور الدينى بعرض مشاهد من حياة القديسين.

وعن الاستخدامات الحديثة للزجاج الملون بأساليب جديدة فى الأعمال الانشائية يضيف أ. د. محمد زينهم قائلا: طبقت هذه التجربة بأحدث مساجد القاهرة وهو مسجد النور بالعباسية فى عمل أربع قباب بمساحة ٤٨٠ متر من الزجاج الملون المعشق بالرصاص، وهى الأكبر مساحة بالنسبة للقباب المقوسة فى الشرق الأوسط، ولم يستخدم قبل ذلك الزجاج المعشق بالرصاص فى الأسطح المقوسة، فبعد تقطيع الزجاج قامت بعملية ثنى وإعادة تشكيله بمعالجات حرارية أعطاه قوة تعادل ما لزجاج التربليكس، وتعد هذه القباب تحفة فنية رائعة تعبر عن جمال الفن الإسلامى.

ويقول د. إبراهيم بدوى ـ الأستاذ بكلية الفنون التطبيقية ـ استخدم الزجاج المعشق بالرصاص فى العديد من المساجد الكبرى الموجودة بمصر مثل الشبابيك والشخاشيخ بمسجد السيدة زينب، وكذلك قبة مدفن الأمير عبدالواحد أقبغا ونوافذ المدرسة الطيبرسية بالجامع الأزهر.

أما الزجاج المعشق بالجص فهو موجود منذ عام ٧٧هـ، وهو يعد سمة مميزة للفن الإسلامى عبر عصوره الممتدة من عهد الدولة الأموية وحتى الآن.

ومن أشهر الأماكن التى استخدم فيها الجص مسجد الإمام الشافعى، قصر الأمير محمد على بالمنيل.

هذا هو الزجاج المعشق بشقيه الجص والرصاص الذى يعد تحفة من التحف الجميلة التى تركها الفنان المسلم عبر السنين وإن دل ذلك على شىء إنما يدل على براعته فى تطويع الأشياء ليخرج لنا أعمالا غاية فى الإبداع.

من أبطال التاريخ الإسلامى

يزيد بن مزيد الشيبانى

د. محمد رجب البيومى

رجعت ليلى بنت طريف الشيبانية بعد مصرع أخيها الوليد بن طريف الشارى إلى منزلها صامتة تريق دمعها دون أن تنطق، إذ كان أخوها الوليد بن طريف الشيبانى زعيم الخوارج فى عهد هارون الرشيد، وكانت له صولة جبارة أفزعت الرشيد وأزعجته، فتوالت جيوشه لمنازلته فلم ترجع بشىء، وقد بلغ من جراءته أنه حين تغلب على نصيبن وأرمينية زحف إلى الجزيرة ما بين الفراتين، وأصبح قريبا من بغداد، وقد اجتمع الرشيد بجعفر البرمكى، والفضل بن يحيى لينظروا فى هذا الخطر الداهم، جزعا أن يكون الوليد فى معشار معشار جيوش الخلافة ثم يهددها بهذا الزحف الداهم، وجعل يستشير فيمن يصلح لمنازلته بعد أن صرع أقوى قادة الخلافة إبراهيم بن خازم وبدد جيشه، فوقع الاختيار على يزيد بن مزيد الشيبانى، وكان جعفر يبغض يزيد ويراه مثالا للأنفة المترفعة، وكأنه يحسده على بطولته ومروءته ويعده منافسا كبيرا له، وهو بعد عربى من شيبان، فأشار على الرشيد بتوليته القيادة، وقال فى نفسه: إن انتصر على الوليد فقد دفع الله الشر به، وله قدره الذى لا يتعداه فى قصر الخلافة، وإن كانت الأخرى فقد أراح الله من منافس عربى تلتف حوله القلوب!

تقدم يزيد بن مزيد الشيبانى إلى منازلة الخوارج فرأى من ثباتهم وهجومهم ما روعه على شجاعته الخارقة ودارت المعركة فى رمضان، فكان الخوارج جميعهم يصومون ويهجمون، وكان جيش الخلافة يميل إلى الرخصة فينظر، وأراد يزيد أن يصوم ليستعين بالله على خطر الوليد، فغلبه الحر الشديد إذ كان بين نارين، نار الحرب ونار القيظ، حتى بلغ به العطش أن عمد إلى خاتمه فنزعه من إصبعه وجعل يلوكه فى فمه، ويقول: اللهم هذا يوم شديد النار، فاستر علىّ ونادى أصحابه: إنهم الخوارج يا قوم. فلا تفضحونا، فلم يحصل معهم على شىء، إذ ثبت أعداؤه ثباتا أزعجه، ثم اهتدى للحيلة، فوقف فى الميدان، ونادى الوليد بن طريف قائلا: يابن العم، أنا شيبانى وأنت شيبانى، وفى شيبان مروءة لا تنكر، فإن رأيت أن تحفظ هذه الدماء، ويقتصر الأمر علىّ وعليك، فنتلاقى للبراز، وأيّنا صرع الآخر رجحت كفته! إن رأيت ذلك كنت فتى شيبان، وحفظت دماء المسلمين، ومالنا أربٌ فى الحياة أنا وأنت، إن هو إلا الموقف العصيب، فرض علينا العداء، ونستعين بالله!

وكان فى الوليد فتوة، فصاح بيزيد: لقد أنصفت فيها، وتقابل البطلان فى ساعة رهيبة، وتحلق الفريقان يرمقون على من تدور الدائرة، وعظم الكر والفر، وبرق السيف، واهتز الرمح، ثم صادف يزيد مقتلا من صاحبه فأرداه، وتشجع الخوارج ثائرين لقائدهم، فهجموا، وهجم يزيد وقومه أشد تحمسا بعد مصرع الوليد، حتى تم النصر لجيش الخلافة.

وكانت ليلى بنت طريف شقيقة الوليد ترقب النزال الهائل، فلما رأت مصرع أخيها لبست درعها وحملت سيفها وركبت جوادها، وتقدمت لمنازلة يزيد، هاتفة به أن يبرز لها، وحار البطل ماذا يصنع، ولكنها كانت مصممة على نزاله، تغلى فى نفسها روح الانتقام، وهى بطلة ذات موقف، ولكنها مع من؟ مع غير يزيد بن مزيد الشيبانى، ومرت ساعة رأى يزيد بعدها أن ينتهى إلى حد،

فهجم بسيفه على الفرس فقده نصفين، وصاح بليلى: اغربى ياأختاه، فليس لى أن أصرعك، وهرول بعيدا.. رجعت ليلى إلى منزلها، وعواطفها تعتلج فى صدرها، وأخذت ترسل دمعها دون أن تنطق، ثم جاش صدرها بالشعر، وكانت شاعرة من طراز نادر فى ملئها، ومما قالته فى الأبيات:

أيا شجر الخابور مالك مُورقا

كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى

ولا المال إلا من قنا وسيوف

فإن يك أرداه يزيد بن مزيد

فيار ب خيل قضّها بسيوف

وانتشرت قصائدها الدامعة بين العرب، وفى الناس من لا يرحم المصابين، بل تنكأ الجراح بما يزعم إذ دخل على ليلى أحد الخوارج كالساخر، وهو يقول: رثيت أخاك وذكرت اسم قاتله دون أن تذميه، وهو عدو قاتل! كأنك تريدين مصافاته بعد أن عفا عنك فى الميدان!

قالت ليلى: علىَّ أبى محمد اليزيدى، وهو أديب ناقد، ليحكم بينى وبينك فقال الخارجى: سأحضره الآن لتعلمى صحة ما أدعيه! وكأن القوم قد نسوا مصرع الوليد وفرغوا لنقد الشعر، فأسرعوا إلى أبى محمد يدعونه ورأى الشيخ إلحاح القوم، فخفّ إلى منزل ليلى، واستمع إلى ما قيل فبان الغضب فى وجهه وصاح بالناس ياقوم، لم ترحموا الأخت المفجوعة فى شقيقها، ولستم بأكثر منها لوعة، ولا أجزع على فقد الوليد، وقد عبّرت عن شعورها بأقوى مما قالت الخنساء فى صخر، ولم ترد مباهاة بالشعر، بل نفست عن صدر مكلوم، وقلب ذى شجون، فمن هذا الذى يعترض حيث لا اعتراض؟

قال الخارجى: لم تهج يزيد بن مزيد، وهو عدوها وعدو أخيها، أتراها قدرت موقفه حين تركها، ووهب لها الحياة!

فصاح اليزيدى: عجبا أى عجب، وماذا فى هذا الشعور النبيل، كأنك تريد أن ينقلب الرثاء هجاء، إن السائل من لون الإناء، والشريفات من الشواعر لا ينحدرن إلى حمأة الإسفاف، ولها فى هذا المضمار شبيهات أتسمعون ياقوم قال الجميع: هيا نستمع فقل:

فعجل أبو محمد اليزيدى يقول: كانت قتيلة بنت الحارث، أخت النضر بن الحارث تعزّه وتصطفيه وقد قتله رسول الله ﷺ بعد المعركة فى بدر لما لقى من أذاه فى مكة، إذ كان من أفحش الخصوم قولا، وأشدهم نقيصة، فحزنت قتيلة على شقيقها حزنا أسال الدمع، وأرق العين، ورثته رثاء كريما لم تهج فيه رسول الله ﷺ، ولم تسكت عنه، بل مدحته وهو قاتل أخيها، فقالت:

أمحمد ولأنت ضِنُء كريمة

فى قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرّك لو مَننت وربما

من الفتى، وهو المغيظ المحنق

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه

لله أرحام هناك تشقق

فماذا تقول أيها الخارجى! والله إن ليلى لوهجت يزيد لما كانت بنت طريف الشيبانى! أتهجو من عفّ عن مصرعها وقد تعمدت قتله بكل ما تملك من قوة وسلاح! أتلك أخلاق شيبان!

قالت ليلى: شفيت صدرى ياعم، فاجلس نتحدث عن شيبان.

فأنس أبو محمد فى وجوه القوم استبشارا، فأراد أن يسلى عنهم ما يجدون من وجد بعد هزيمتهم!

فقال: هما بطلان من أعظم قادة الإسلام. الوليد ابن طريف ويزيد بن مزيد الشيبانيان! أما الوليد فأنتم جنده ورجاله، وتعرفون من بسالته النادرة وشجاعته الخارقة أكثر مما أعرف، إنه هو الذى أفزع الرشيد، وكاد يزلزل عرشه فى بغداد، وما كاد يبلغه نبأ مصرعه، حتى سجد لله شاكرا، وصمم على أن يؤكد شكره، فرحل إلى مكة معتمرا فى البيت العتيق، ثم رحل إلى المدينة زائرا قبر رسول الله ﷺ، ليؤكد حمده لربه، فأى بطل كان الوليد، لقد عبرت ليلى عن مشاعرنا جميعا حين بكته فقالت:

فقدناك فقدان الربيع وليتنا

فديناك من فتياننا بألوف

عليك سلام الله وقفاً فإننى

أرى الموت نزالا بكل شريف

هذا هو الشيبانى الأول الوليد بن طريف، فهل أتحدث عن يزيد، فيقول قائل أنت تمدح العدو، أو أن الحق حق!

قال الجميع: أنت تروى تاريخا فتحدثْ.

فبادر اليزيدى يقول: وهبنى كنت عدوا، فالفضل ما شهدت به الأعداء، أعرف من أمر يزيد بن مزيد أنه كان يحتذى عمه معن بن زائدة فى الشجاعة، والكرم معا، وقد بلغهما معا، وكان معن بن زائدة يعرف له قدره، ويرفعه عن أبنائه من صلبه منزلة واعتدادا، قيل لى: إن امرأة معن بن زائدة، رأت زوجها يقدم يزيد فى مواقف الرجولة، ويصدره فى محافل الحشود، على حين يترك أبناءه جساسا وزائدة وعبدالله وكأنهم هملٌ لا شأن له بهم، فاغتاظت الأم غيظا شديدا، وقالت: كأنك لم تنجب غير يزيد ابن أخيك، وكأنك تزعم أن الله لم يخلق مثله، فقال معن: مهلا مهلا، فو الله لو وجدت لدى واحد من أبنائى معشار ما أرى من يزيد لباهَيت به واحتفلت، ولكن مواقف الشدة تدعونى إلى دقة الاختيار بعد بلاء الاختبار، ووالله لو لم يكن يزيد ابن أخى، وشجاعته شجاعته، وكان غريبا فى ملإ آخر لحاولت أن أقربه من نفسى، وسأريك الآن دليلا يسكتك فلا تعودين إلى لغوك.

ثم نادى غلامه فى منتصف الليل وقال له: اذهب إلى أبنائى جساس وزائدة وعبدالله وغيرهم فادعهم على عجل، فطال انتظاره حتى أتوا مبطئين فى ثياب الحرير، وفاخر النّعال، وجعلوا يتثاءبون متناومين، ثم أسبل سترا، وجعل امرأته خلفه، وصاح بالغلام: ادع يزيد ابن أخى، فما مضت لحظة حتى دخل عجلا ومعه سلاحه، وقد ربط فرسه، ولبس درعه، فقال له معن: ما هذه الهيئة يا يزيد، ولماذا السلاح والدرع، فقال: جاءنى رسول الأمير فى هذه الساعة من الليل، فقلت: ما دعانى إلا لأمر خطير فى هذا الوقت الحرج، فأخذت عدتى لأنهض للأمر من فورى دون انتظار. وإذا لم يكن ما يدعو للسلاح فما أيسر ما ينزع! فقال له: انصرف مشكورا، فقد حل ما جعلنى أتمهل.

ثم التفت إلى امرأته، وأزاح الستر قائلا: أرأيت ما صنع يزيد؟ قالت: تبين عذرك، فصرف معن أولاده، وقال: عسى أن يأخذوا درسا فيفيقوا من ترفهم الكاذب، وكم قدمتهم فتأخروا، ليس الأمر يأم جساس أمر ترفيه وتنعم وملذة، ولكنه أمر جلاد وأعباء وهموم وتضحية! ولن يكون لذلك غير شجاع موهوب! أتلومينني فى يزيد وهو سيفى أمام الأعداء!

قالت ليلى: صدق معن فى قوله: ليس الأمر أمر ترفيه وملذة، لأن المجد لا ينال بالراحة واللذة، فقد عهدت الوليد أخى رحمه الله، دائم التنفّل نهارا والسهر ليلا، وكأنه موكل بإصلاح الكون أجمعه، وما أظن معنا ويزيد الشيبانيين إلا من طراز الوليد!

قال أحد الجلوس، وقد تبرم بمديح آل شيبان: إن أولاد معن جساسا وزائدة وعبدالله من شيبان ولم يصنعوا شيئا، حتى أخرهم أبوهم واصطفى ابن أخيه فتحدثوا عن الأشخاص لا عن الأنساب.

قال اليزيدى: هو ما تقول، ولكن البطولة تكثر فى قوم دون قوم، وما نعنى أنها تعمّ القبيلة جميعها، فقد يكون فى القبيلة الخاملة بطل لا نظير له ينشأ كما تنشأ الزهرة منفردة فى أعلى الجبل، وقد يكون فى القبيلة النابهة أناسٌ خاملون يسقطون ولا يرتفعون.

قالت ليلى: لنترك حديث القبائل لأسأل: هل كان يزيد بن مزيد كريما مثل ما شاع عن معن، لقد عرفناه شجاعا باسلا، فهل اشتهر فى ملئه بالسخاء والأريحية!؟

قال اليزيدى: كان يزيد يشبه معنا فى كل شىء، وقد حاذاه فى كرمه ومروءته، فاندفع السائلون إلى بابه من كل صوب، فكان يفرح بتفريج كربهم حتى يرى السرور باديا على قسماتهم، ولم يكن يجود فى حال اليسر وحده، بل كان يصمم على أن تظهر

مروءته فى معسرته، وفد عليه أبو منصور النمرى وهو فى أحرج ساعات ضيقه، فأنشده:

لو لم يكن لبنى شيبان من حسب

سوى يزيد تفاقوا الناس فى الحسب

فاكتأب يزيد وكأنه يعانى غصّة، ثم قال للنمرى: ما أصبح لدىّ ما يفى بحقك، ولكن سأعطيك كلّ مافى خزانتى، ونادى غلامه كى يحضر كل ما يملك، فكان مائة دينار، فقدمها يزيد فى استحياء، وقال: لك بقية حين نستطيع.

وقد وشى بعض الحاقدين بيزيد إلى الرشيد، فـقـال له: إن ابن مـزيد يعطى أبا بكر النطاح، ويسرف فى عطائه، مع أنه مدح ربيعة مفضلا إياها على مضر، ومضر أرومة أمير المؤمنين، فغضب الرشيد على يزيد وكتب يقول له: إن عيونى عليك فى خلواتك ومشاهدك، وقد جاءك جلفٌ من أجلاف ربيعة عدا طوره فأتنى به! فتأثر يزيد، وعز عليه أن يسىء لشاعر يحتبى بفنائه فبعث إليه قائلا: يا بكر، استَتَر عن الناس وخُذْ منى اليوم ما يرضيك ويكفيك حتى تزول الغمة، وسأكتب للرشيد معلنا أننى أبحث عنك فى كل مكان، فاتق الله فى نفسك وفىّ، وكتب للرشيد أنه يبحث عن الشاعر وسيأتى به!

قال بعض الحاضرين: أو لم يأمن يزيد بن مزيد أن يبلغ هارون ما صنع، وهو محاط بعيون أمير المؤمنين فى المحضر والمغيب.

فقال اليزيدى: إن أريحية يزيد تدفعه إلى أن يسىء إلى نفسه، كيلا يسىء إلى اللائذين به، وهو نمط من الرجال يندر أن تراه.

ولم يقنع الرشيد بما كتب يزيد، فأرسل يستدعيه، ولكن يزيد الذى حمى هارون من القتل من قبل، حين غزا الصائفة ببلاد الروم وهو أمير فى عهد والده المهدى، إذ هجم عليه من حاول أن يفلق رأسه بالسيف، لولا أن بادره يزيد بطعنة من الخلف أسقطت السيف من يده، ونجا هارون! إن يزيد الذى فعل ذلك قد قدم هاشا باشا على الرشيد، فتذكر الخليفة لساعته ما كان من نجاته على يده، وقال له: كنت غاضبا يايزيد، ولكن رؤيتك الباسمة ذكرتنى أمسك البعيد إذ دافعت عنى يوم الصائفة، فاجلس راضيا مرضيا عنه.

فقال يزيد من فوره: الحمد لله الذى سهّل لنا سبيل الكرامة بوجه لقائك ياأمير المؤمنين، كما كشفت عنا صبابة الكرب بفضلك، فجزاك الله فى حال سخطك رضا المنيبين، وفى حال رضاك جزاء المنعمين فأنت تعفو عن المسىء متفضلا، وتتطول على المحسن ممتنا.

فسر الرشيد: وسأله: من القائل يايزيد؟

تراه فى الأمن فى درع مضاعفة

لا يأمن الدهر أن يأتى على عجل

فقال: لا أعرفه ياأمير المؤمنين، فصاح الرشيد سوءة لك من سيّد قوم يمدح بمثل هذا الشعر، ولا يعرف قائله، وقد بلغ أمير المؤمنين فحفظه ورواه، إنه مُسلم بن الوليد، فلا تبخسه حقه يايزيد وكان بالباب مسلم الخاسر الشاعر المادح، يطلب الإذن، فأذن له الرشيد، ويزيد لايزال جالسا فى موضعه القريب من أمير المؤمنين، فتقدم مُسلم ووالى إنشاد مدحته حتى وصل إلى قوله:

إن المنايا فى السيوف كوامن

حتى يهيجها فتى هياج

ومدجج يغشى المضيق بسيفه

حتى يكون بسيفه الإفراج

فقال الرشيد: ذلك يزيد بن مزيد يا مسلم.

وسكت اليزيدى مفكرا.

فصاح به أحد الجالسين: كفى ما قلت ياأبا محمد، فنحن لم نجتمع للثناء على قاتل الوليد.

فقالت ليلى: لقد عرفنا أن أشجع الفرسان قتل أشجع الفرسان، والموت حتم مفروض، فلا تثريب على قاتل أو مقتول من طراز الوليد ويزيد.

وشعر القوم أنهم قاموا لدى ليلى بواجب المواساة، فأخذوا ينصرفون متتابعين.

محمد الثانى.. السلطان الفاتح!

كمال عبدالوهاب

منذ عام أو يزيد، دهمت أمتنا العربية والإسلامية أقدامٌ همجية.. دخيلة وعدوانية، احتلت الأرض، وهتكت العرض.. أحدثت فوضى ودمارا، وأشاعت خوفا واضطرابا، وأقدمت - فى استعلاء واستقواء - على نشر الحرية وممارسة الديمقراطية.. حرية الادعاء والتزييف، وديمقراطية القهر والتعذيب!

وهى - بلاشك - محنة!.. إلا أن الأمم العظيمة فى أوقات المحن الكبرى لا تهتز فتنفرط، ولا تضعف فتفرط! بل تتحمل - فى صبر - قدرها، وتحمل جراحها وتمضى باحثة فى تراثها العريق عن عظمائها من الفرسان أو القادة الذين أخذوا بيدها فى ساعة العسرة، حيث تحولت بطولاتهم التاريخية إلى ما يشبه روايات الأساطير!

تمضى الأمة الجريحة وفى وعيها التفتيش عن أولئك الزعماء لسبب أو أكثر:

- لعلها تترسم خطاهم وتنهج نهجهم اهتداء أو اقتداء!

- و لعلها تستمد من سيرهم رجاءً يُغالب يأسا، أو أملا يُخفف ألما!

- أو لعلها تستعين بتجربة نضالية غنية بدروس قد تستفيد منها أجيالٌ محبطة تعيش واقعا متدنيا تجرى أحداثه أو حوادثه سريعا على مستوى شديد الانحدار!

فجائع الدهر أنواعٌ منوّعةٌ
وللزمان مسرّاتٌ وأحزانُ
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة
حتى المنابر ترثى وهى عيدانُ
تلك المصيبة أنستْ ما تقدمها
ومالها من طوال الدهر نسيانُ(١)

كانت النبوءة من القائد الأعلى للمسلمين، إذ تحققت البشارة النبوية التى جاءت على لسان المصطفى ﷺ: «لتَفْتَحنّ القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش»(٢).

● من هو هذا الأمير الذى نرجح أن تكون الإشارة إليه أو البشارة(٣)؟

هو سابع السلاطين العثمانيين السلطان محمد الثانى بن مراد الثانى، والمعروف فى التاريخ بالسلطان محمدالفاتح، ولد فى ٢٦ رجب سنة ٨٣٣هـ/ ٢٠ أبريل سنة ١٤٢٩م. وهو من أقوى الشخصيات التى تولت السلطنة العثمانية، وأعظم معاصريه على وجه الإطلاق، ومن أكبر شخصيات العالم. تولى الإشراف على أمور الدولة العثمانية وهو أعز ما يكون نضارة فى الشباب وقوة فى الجسم، فقد تولى الملك وهو فى الحادية والعشرين من

عمره، ولا ريب أن هذه سن مبكرة لمن يتقلد مهام الحكم الجسيمة لدولة عظيمة ناشئة كالدولة العثمانية، ولكن والده كان قد اهتم بتربيته وتعليمه اهتماما خاصا. فعرف كيف يستمع لنصيحة والده، ويقدر من حوله، وكيف يدرس الأمور بنفسه، ويحسن سياستها، وينحنى أمام العاصفة إلى أن تنتهى.

وجد محمد الثانى أبًا له من أعظم سلاطين آل عثمان، وكانت أمه مسيحية (كما تقص رواية حياته) فامتزجت فيه أحسن صفات الشرق والغرب فى ذلك الوقت.. وإذا كان للوراثة والبيئة أثر مهم فى حياة الإنسان وصفاته وأخلاقه، فلقد ورث عن أبيه الجلد والشجاعة وشدة المراس والصبر على المكاره وعدم اليأس، كما أخذ عنه المعرفة بأمور الحرب والإتقان فى وضع الخطط الحربية وحصار المدن وقيادة العمليات الحربية.

لُقب محمد الثانى بـ«الفاتح» لفتحه مدينة القسطنطينية وجعلها عاصمة جديدة للإسلام فى أعظم مدن المسيحية.. كما لُقب بـ«القانونى» لتنظيمه القوانين العثمانية.

• الظروف السياسية التى أحاطت بنشأة محمد الفاتح

نشأ السلطان محمد الثانى «الفاتح» فى دولة نهضت بسرعة، دولة قامت على أشلاء الدولة السلجوقية، وتفوقت لاختلاف الإمارات السلجوقية وتنازعها فيما بينها، دولة ساعدها موقعها الجغرافى وقربها من الحدود البيزنطية على القيام بالحرب المقدسة، فهوى إليها الأتراك من كل جانب. قامت الدولة فى عهد عثمان، وجعل الإسلام من أهلها ومن بقية الترك أمة موحدة، بل إن الإسلام هو الذى جعل من الترك والإغريق والمجريين والبلغار والألبانيين والصقالبة أمة واحدة، وجعل من كل هذه العناصر المختلفة قوة أصبح اسم آل عثمان لها رمزا وعقيدة.

ولقد قام الأتراك العثمانيون بالفتح فى آسيا الصغرى والبلقان معا، وكما أصبحوا أكبر قوة فى آسيا الصغرى، صاروا أعظم دولة فى البلقان. وبينما كانت الحالة مضطربة فى دول البلقان المسيحية كانت توجد بين الأتراك روابط متينة: دين واحد، ونظام واحد، وغاية واحدة.

ومن حسن حظ العثمانيين أن زاد عدد الأتراك الهاربين أمام جحافل المغول فامتلأت بهم آسيا الصغرى وأملاك الدولة العثمانية فى أوروبا، وانضم إليهم عدد كبير من أبناء المسيحيين البلقانيين، فازدادت قوة الدولة من الناحية الحربية بهذه العناصر الجديدة.

وفى عهد السلطان مراد الثانى (وهو أبو الفاتح)، سيطر العثمانيون على آسيا الصغرى والبلقان، وانتصروا على البنادقة، واكتسحوا شبه جزيرة اليونان، وهزموا المجريين والألبانيين، وأصبح للعثمانيين التفوق فى البلقان، وذهب نهائيا الخطر الأوروبى بعد موقعتى «ورنه» و«قوصوه». ولم يبق من ممتلكات الدولة البيزنطية إلا القسطنطينية وضواحيها. فكان الاستيلاء على هذه المدينة مهمة أعظم سلاطين هذه الدولة، وهو السلطان محمد الثانى.

• محمد الفاتح يتهيأ لدوره البطولى

اهتم بدراسة التاريخ، فقد كان مغرما بقراءة سير العظماء والأبطال، فقرأ بإمعان حياة القياصرة أوغسطس وقسطنطين الأكبر وتيودوسيوس الأكبر، وأعجب بشخصية الإسكندر الأكبر المقدونى، فقد لمح فيها صورة من نفسه،

رأى فيها قوة النفس وصحة العزم وسرعة التنفيذ بعد إحكام الخطة وعدم التردد.

كانت حياته هى حب الحرب فاضطلع بفنونها، وما كان يعلم بأى اختراع حربى إلا ويكون السبّاق إلى معرفته واستكماله والاستفادة منه، ومن ذلك اهتمامه الكبير بالمدفعية والبحرية.

كانت حياته بسيطة لا تعدو القراءة والتدرب على الحرب ثم الصيد. كان عدوا للترف منصرفا عن حياة إرضاء الشهوات.. لم يكن له ندماء ولا محظيات، فعاش وحيدا بعيدا عن الاختلاط المبتذل فى جو كله هدوء.. كله ثقافة وعلم أو جو صاخب هو جو الهيجاء والنزال والنضال!

حبا الله ذلك السلطان المواهب الممتازة، فهو سياسى بعيد النظر يحسن انتهاز الفرص، وكرجل من رجال الحرب هو من الطراز الأول لا يدانيه أحدٌ فى عصره.

كذلك كان يهتم باختيار من يعاونونه فى الإدارة والحكم، وهو لا ينظر فى ذلك إلى الهوى الشخصى، وإنما ينظر إلى المصلحة العامة، وكان يرى بنفسه أن أوامره تُنفذ بكل دقة.

ولم يكن ممتازا فى الناحيتين الثقافية والعسكرية فحسب، بل كانت كفايته الإدارية والقانونية فائقة، مما انعكس ذلك على إنشائه دولة عظيمة وبنائه ملكا كبيرا، وتوطيد دعائم الملك العثمانى داخل امبراطوريته الكبيرة، فاكتسب للعثمانيين النصر الخارجى، وقنّن لهم القوانين، وعمل على استقرار الحالة الداخلية.

• قصة حصار القسطنطينية (الممهدات - الحصار)

لم تكن العلاقات العثمانية البيزنطية حينما تولى محمد الثانى علاقات إخلاص وصداقة. فكثيرا ما اتفقت بيزنطة مع أعداء العثمانيين إن لم يكن علانية فسرا، وأباطرة بيزنطة يعضدون الأمراء الثائرين المطالبين بالعرش العثمانى. كما أن محمد الثانى يذكر جيدا موقف بيزنطة حين أغار التتار. فضلا عن أن قسطنطين لم يعمل على كسب ثقة السلطان الجديد، بل ظن فيه الضعف مما دفع قسطنطين إلى طلب زيادة المرتب الذى يدفعه السلطان للدولة البيزنطية نظير تكفلها بأحد الأمراء (أرخان) من الذين يطمعون فى العرش العثمانى، وإذا لم يستجب لطلبه، فإنه (أى قسطنطين) سيطلق سراح ذلك الأمير لتهديد السلطان الجديد وإثارة المشاكل ضده.

إذن، فالمسألة مسألة حياة أو موت فى نظر السلطان محمد الثانى، وصار فتح القسطنطينية والقضاء على هذه الدولة - وهى آخر دولة مسيحية فى الشرق الأدنى - أمرٌ لابد منه، إذا أراد العثمانيون إثبات ملكهم وحرصوا على مستقبلهم.

تيقن محمد الثانى من أن مهمته هى - بحق - خطيرة، ولكنها واجبة النفاذ! فعمل على تمهيد الطريق لتنفيذ مهمة حياته على النحو التالى:

- عمل محمد الثانى أولا على استقرار الأمور فى أراضى الدولة العثمانية، فأقر من عاونوا أباه فى الحكم، وتخلص ممن ظن أنهم سيجلبون له المشاكل فى المستقبل.

- عمل أيضا على الأخذ بالوسائل السياسية، فالأمور الدولية تحل بوسائل السلم كما تحل بوسائل الحرب، وكلٌ منهما له وقته المناسب وظروفه الخاصة، ولابد من تأمين حدوده، وإسكات أعدائه، ولذا أخضع الثورات فى ولاية قرمان، وعمل على استصلاح النفوس فى آسيا

الصغرى، كما عقد صلحا لمدة ٣ سنوات مع أخطر عدو للعثمانيين فى البلقان، كذلك هدّأ من روع صقالبة البلقان الذين ذاقوا من قبل سيوف العثمانيين، والأهم من ذلك كله أنه لم يُظهر الغدر بالإمبراطور البيزنطى.

- عمل كذلك على تحويل مدينة «أدرنه» عاصمة العثمانيين فى أوروبا إلى مصنع هائل للأسلحة، وجعلها مركزا لجيوشه، وبنى دارا لسبك المدافع الضخمة وصنع الأسلحة الثقيلة، واهتم بجعل عاصمته مركزا لتموين جنوده.

- شيد حصنا منيعا حتى يستطيع الإشراف على البوسفور من ناحية الشاطئ الأوروبى، وبذلك تتم السيطرة التامة على الطرق الشمالية إلى القسطنطينية، فضلا عن الإشراف على الطرق البحرية المؤدية إلى المدينة شمالا وجنوبا وعزلها فلا تستطيع استقبال أى مدد من أى ناحية.

- أنشأ أسطولا ضخما، وشحن حصونه بالأسلحة والذخيرة.

- جمع جيشا جرّارا بلغ أكثر من ربع مليون.

فى أوائل أبريل ظهر الجيش العثمانى أمام أسوار مدينة القسطنطينية بين دعاء العلماء والأشراف من آل بيت الرسول ﷺ، ونصب السلطان سرادقه محاطا بالخنادق على الشاطئ الأيسر لوادى ليكوس أمام الباب المشهور بباب القديس رومانوس، وسلطت على ذلك الباب المدافع القوية البعيدة المدى.. ثم اتجه السلطان نحو القبلة، وصلى ركعتين، وصلى الجيش كله، وبدأ الحصار الفعلى.

احتل العثمانيون الخط الممتد من بحر مرمرة إلى القرن الذهبى محيطين بأسوار المدينة، كما اهتم السلطان بالتنسيق بين عمل القوات، ووضع الخطط المنظمة التى يتعاون فيها الفرسان مع المشاة مع المدفعية. كذلك وضع الفرق الأناضولية وهى أكثر الفرق عددا بحيث تعسكر عن يمينه إلى بحر مرمرة وإلى شمال هذه الفرق وعن يساره عسكرت الفرق الأوروبية إلى القرن الذهبى.. والتف الحرس السلطانى المكون من نخبة الجنود وهم من الانكشارية (١٥ ألفا) حول السلطان فى الوسط.

كانت أسوار القسطنطينية منيعة، فهذا السور العظيم الممتد من القرن الذهبى إلى بحر مرمرة من عجائب الدنيا، ولايزال إلى الآن مظهرا من مظاهر عظمة هذه المدينة الخالدة بأبراجه ومرتفعاته ومنخفضاته، ففى كل زاوية من ذلك السور العظيم كان يوجد فيه حصن قوى، وقد جرت محاولات عدة لدك هذا السور بقنابل زنتها مائتا رطل، مع محاولات لتسلقه، أو نقبه. ولكن باءت كلها أول الأمر بالفشل.

وقد لجأ السلطان إلى بناء حصن متحرك سريع أمام الأسوار مما أدخل الرعب فى قلوب المحاصرين، وأنشأه بطريقة لا يمسك به اللهب، ويصيب كل آلات الرمى والضرب فى المدينة مما جعل الدفاع فى خطر شديد، وهكذا استمر الحصار الذى أخذ يضيّق الخناق حول المدينة يوما بعد آخر.

• فتح القسطنطينية

«إننا لا نلقى بأنفسنا إلى المخاطر من أجل مدينة، وإنما فى سبيل الله - عز وجل - حتى إذا لقيناه يوم الحساب قدمنا إليه فخورين لا خجلين وبأيدينا سيوفنا التى حاربنا بها فى سبيله»(٤).

هذه العبارة الحاسمة قالها السلطان محمد الثانى عندما يئس تماما من تسليم المدينة صلحا.. إذن لابد من دخولها عنوة!

فى ٢٧ مايو ١٥٤٣م أعد السلطان الهجوم العام على المدينة فصاح الجيش كله، وعلت الدعوات

بإنجاز الفتح، وأمر مدفعيته بالإمعان فى تحطيم الأسوار عند وادى ليكوس، ونظم الفرق التى ستقوم بالهجوم العام، وزار السلطان كل أقسام جيشه المحاصر للمدينة وشجع الجنود وأثار فيهم روح التضحية وقوى فيهم الثقة بالنفس والنصر.

عند بزوغ الفجر، هاجمت جنود الأناضول عند باب القديس رومانوس، وكان هذا بدء الهجوم الحقيقى. فأحدثوا بالدفاع عطبا جسيما، واخترقوا الخنادق، وهاجموا السور الخارجى، واشتبكوا برجال الدفاع، وكانوا فى هجومهم الكاسح كتلا بشرية منظمة ومدربة وهبوا حياتهم للنصر أو الموت!

لاحظ السلطان أن ما خطط له من إحداث الفوضى بين صفوف المدافعين قد تحقق.. عندها دفع بجنوده الانكشارية وكانوا لم يشتركوا فى القتال، فتقدموا فى وادى ليكوس فى اندفاعة قوية، ليشتبكوا مع رجال قد أنهكهم التعب والجوع، وأثخنتهم الجراح.. تقدموا بصياحهم الهادر وتكبيراتهم المزلزلة حتى اقتربوا من الأسوار الداخلية وقتلوا من وجدوهم من المدافعين، وارتقوا الأسوار وأزالوا علم الامبراطور البيزنطى، ورفع علم الأتراك.

وفى الظهر دخل السلطان محمد الثانى المدينة من باب القديس رومانوس يمتطى صهوة جواده فى موكب حافل يتبعه وزراؤه وقواده وجنوده، وسار فى الشارع المؤدى إلى كنيسة سانت صوفيا، وترجل أمام الباب وانحنى ووضع حفنة من التراب على رأسه خضوعا لله وشكرا.. ودخل الكنيسة فبهره بهاؤها وجمالها، ودخل إلى المذبح **حيث قابله رجال الكنيسة وكانوا مختبئين فأحسن استقبالهم وأكد حمايته لهم، وطلب من المسيحيين الفزعين الموجودين فى الكنيسة الذهاب إلى مساكنهم آمنين.**

ثم طلب من أحد المؤذنين أن يؤذن للصلاة، فصعد المنبر وأذن للصلاة لأول مرة فى هذه الكنيسة العظيمة التى أصبحت مسجدا جامعا من أعظم مساجد الإسلام.

وبعد، فقد كنا مع أسد من أُسُود العروبة والإسلام، مازالت وثبته الجريئة ماثلة فى الأذهان وصدى زئيره المدوى يتردد فى الأسماع!.. نعم، كان أسلافنا ـ فى الحق ـ وحوشا ضارية، تُرى ماذا صرنا من بعدهم؟!.. أرى ذئابا كثيرة تحوم من حولنا، فهل صرنا ـ دون أن ندرى ـ حُملانًا وادعة؟!.. يتردد فى ذهنى الآن أبيات تعبر ـ فى أسى ـ عن الحياة التى نعيشها.. تقول:

وصليل أمجادٍ وركض فوارس
تأبى إذا حمَّ الردى أن ترجعا
عوت الذئابُ بها وجُن عواؤهم
ليهز قلب الآمنين ليفزعا
حتى الذى ساق المخاوف بطشُهُ
يخشى ويرتقب المصير المُفجِعا(٥)

الهوامش:

١ ـ الشاعر أبو البقاء صالح بن شريف الرندى.

٢ ـ رواه الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده، وأخرجه البخارى فى التاريخ الصغير جـ١ ص٣٠٦، والتاريخ الكبير جـ٢ ص٨١، وأخرجه الحاكم فى المستدرك جـ٤ ص٤٢٢، والحافظ الطبرانى فى المعجم الكبير جـ٢ ص٢٤، والحافظ السيوطى فى الدر المنثور.

٣ ـ السلطان محمد الفاتح للدكتور محمد مصطفى صفوت، دار الفكر العربى، ١٩٤٨م.

٤ ـ زياد أبو غنيمة: جوانب مضيئة فى تاريخ العثمانيين الأتراك، ص٣٨، ٣٩، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، دار الفرقان، عمان ـ الأردن.

٥ ـ الشاعر الإسلامى محمد التهامى.

الأسرة فى التشريع الإسلامى

- مراحل تكوين الأسرة فى الإسلام
- وليس الذكر كالأنثى

مراحل تكوين الأسرة فى الإسلام

د/ سالم محمود عبد الجليل

تمر الأسرة فى تكوينها بثلاث مراحل أساسية لكل مرحلة منها تفصيلاتها:

المرحلة الأولى: الخطبة:

والخطبة بكسر الخاء، هى طلب الرجل يد امرأة معينة للتزوج بها.

حكمة مشروعيتها:

شرعها الله تعالى لتكون فرصة لكل من الزوجين أن يتعرف على أخلاق الآخر وعاداته وأفكاره حتى إذا أقبل على الزواج أقبل عن اقتناع، وبذلك نضمن أن تتأسس الأسرة على الحب والرضا.

ويتم هذا التعارف بالنظر إلى المخطوبة، والجلوس معها فى وجود محرم من محارمها، والأحاديث فى ذلك كثيرة.

فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال لرجل تزوج امرأة: **«أنظرت إليها؟»** قال: لا، قال: **«اذهب فانظر إليها»** رواه مسلم.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل»**.

قال جابر فخطبت جارية فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعانى إلى نكاحها فتزوجتها، رواه أحمد وأبو داود ورجاله ثقات.

وعند الترمذى والنسائى عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قال له وقد خطب امرأة: **«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»**.

وينبغى أن يكون نظره إليها قبل الخطبة حتى إن كرهها تركها من غير إيذاء، وإذا لم يمكنه النظر إليها استحب له أن يبعث امرأة يثق بها تنظر إليها وتخبره بصفتها، فقد روى أنس: أنه ﷺ بعث أم سليم إلى امرأة فقال: «انظرى إلى عرقوبها وشمى معاطفها» أخرجه أحمد، وفى رواية: «شمى عوارضها» وهى الأسنان التى فى عرض الفم وهى ما بين الثنايا والأضراس واحدها عارض، والمراد اختبار رائحة النكهة.

وأما المعاطف فهى ناحيتا العنق، والمقصود من ذلك كله أن يطمئن الرجل إلى مخطوبته حتى تدوم العشرة بعد الزواج.

وللمرأة مثل ما للرجل، فإنها تنظر إلى خاطبها، لأنه يعجبها منه ما يعجبه منها.

وله تكرار النظر إن احتاج إليه ليتبين هيئتها فلا يندم بعد النكاح، إذ لا يحصل الغرض غالبا بأول نظرة.

وينظر إلى الوجه والكفين، لأنها مواضع ما يظهر من الزينة المشار إليها فى قوله تعالى: **﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾**.

والحكمة فى الاقتصار على ذلك أن فى الوجه ما يستدل به على الجمال، وفى اليدين ما يستدل به على خصب البدن.

لا يجوز خطبة المخطوبة

فعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له»** متفق عليه واللفظ للبخارى.

(وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له»** متفق عليه واللفظ للبخارى).

والنهى أصله التحريم، وقيل بل النهى للتأديب وليس للتحريم.

ولا يحرم إلا بعد الإجابة والموافقة، والإجماع قائم على تحريمه بعد الإجابة.

لا يجوز خطبة المعتدة من طلاق رجعى لأنها لا تزال زوجة ولزوجها أن يراجعها وقتما شاء

لا يجوز خطبة المعتدة

فالمعتدة من طلاق رجعى لاتزال زوجة ولزوجها أن يراجعها قبل انتهاء العدة وقتما شاء دون إذنها، وخطبتها أثناء العدة اعتداء صريح على حقه.

والمعتدة من طلاق بائن من وفاة الزوج لا يحل كذلك خطبتها حتى لا تتعجل فى إنهاء العدة قبل أوانها، وإن كان يجوز التعريض بالخطبة فقط من غير تصريح، لقول الله تعالى: **﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا﴾** البقرة: آية ٢٣٥.

الذى يترتب على الخطبة

الخطبة كما سبق وعد بالزواج، فلا يترتب عليها أية أحكام شرعية غير أن المخطوبة لا يصح أن يتقدم أحد لخطبتها، فلا يحل له الخلوة بها، أو رؤية ما سوى الوجه والكفين.

وننبه هنا إلى ما قد يقع فيه الناس من أخطاء، أهمها:

١ ـ إقامة حفلات صاخبة لإعلان الخطوبة تكشف فيها العورات ويكثر فيها الاختلاط، وهذا قطعا تأباه الفطر السليمة.

٢ ـ السماح للخاطب بالخروج بمخطوبته وأحيانا الاختلاء بها، وهذا أيضا من الأمور المجمع على حرمتها فلا يزال الخاطب أجنبيا عن مخطوبته لا يحل له منها إلا النظر فقط إلى الوجه والكفين كما سبق ولا يجلس معها إلا فى وجود محرم من محارمها.

أثر العدول عن الخطبة:

مرحلة الخطبة هى بمثابة فترة تعارف بين المخطوبين، ومن حق أحدهما أن يعلن فسخه للخطبة إذا لم يجد فيه ما يدعوه للزواج به أو إذا اكتشف فيه ما ينفره منه.

ويجب على المخطوبة أن ترد لخطيبها كل ما أخذته من المهر بعينه كما قبضته أو ما يعادله إن كانت اشترت به أثاثا.

أما ما أخذته من هدايا، فإن كانت مستهلكة كالطعام والشراب فلا ترده.

وأما ما كان منها باقيا فيجب عليه رده لأنه هدية لسبب ـ خاصة الشبكة ـ التى يقدمها الخاطب كجزء من المهر.

المرحلة الثانية: العقد:

وهو عقد يقتضى إباحة استمتاع الرجل بالمرأة والعكس.

وتأتى هذه المرحلة بعد المرحلة الأولى عندما يطمئن كل من الطرفين إلى صاحبه ويتأكد من صدق مشاعره ويلمس فيه ما يعجبه.

ويستحب إعلانه والضرب فيه بالدف، حتى يشتهر ويعرف.

ويقوم عقد الزواج على أمور، أهمها:

١ - **الزوجان:** رجل وامرأة.

٢ - **الولى:** يتولى تزويج الفتاة و المرأة.

٣ - **الشاهدان:** وهما ضرورة لإثبات الزواج وتسجيله ضمانا لما يترتب عليه.

٤ - **الصيغة:** وهى الألفاظ التى تفيد ارتباط الرجل بالمرأة ورضا كل منهما بهذا الارتباط، من غير إكراه وقد سبق الحديث أن النبى ﷺ رد نكاح امرأة زوجها أبوها من غير أن يأخذ رأيها.

٥ - **الصداق:** وهو حق المرأة مقابل استمتاع الرجل بها، تتملكه لنفسها، لقوله تعالى: ﴿**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة**﴾ النساء: آية ٤، ويستحب فيه التيسير.

٦ - **الإشهار:** بحيث يشهر فى الناس ولا يكون سرا، خلافا لما يفعله البعض الآن فيتزوج الزميل زميلته والصديق صديقته من غير أن يعرف أحد بهذا الزواج ولا شك أنه باطل، لأنه يفتقر إلى كثير من أركان العقد.

زواج الهبة باطل والزواج العرفى زنا

الهبة، بمعنى أن تهب امرأة نفسها لرجل كأن تقول وهبتك نفسى، ولا تجوز لأحد من الأمة غير رسول الله ﷺ لقوله تعالى: ﴿**وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين**﴾ ومع ذلك لم يتزوج النبى ﷺ بهذه الطريقة، وبالتالى نقول لا يصح لامرأة أن تهب نفسها لرجل، وإن فعلت ذلك فهى آثمة والعلاقة بينهما حرام بإجماع الأمة.

أما الزواج العرفى، كأن تتزوج المرأة من غير ولى ولا إشهار فى الناس ولا يسجل العقد فى الأوراق الرسمية فلا شك أنه زواج باطل وزنا مقنن، وعلى الشباب والفتيات أن يستمعوا إلى توجيه النبى ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» متفق عليه.

لا يجوز للمرأة أن تهب نفسها لرجل وإن فعلت ذلك فهى آثمة

كما أنه يجب علينا أن نبتعد عن الاختلاط الفاحش والأمور المثيرة للغرائز حتى ننعم بالاستقرار.

ولاشك أن الزواج العرفى لا يحقق الاستقرار الذى ننشده من الزواج الصحيح.

الخُطبة عند العقد

وتسن الخطبة عند عقد النكاح، كأن يقول: الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة، من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر الله شيئا، ﷺ وعلى آله وأصحابه ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق

تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ آل عمران: آية ١٠٢، ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ النساء: آية ١، ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا* يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ الأحزاب: الآيتان ٧٠، ٧١.

أما بعد: فإن الأمور كلها بيد الله، يقضى فيها ما يشاء ويحكم ما يريد، لا مؤخر لما قدم، ولا مقدم لما أخر، ولا يجتمع اثنان ولا يفترقان إلا بقضاء وقدر وكتاب قد سبق، وإن مما قضى الله تعالى وقدر: أنه قد خطب فلان بن فلان فلانة بنت فلان على صداق كذا، أقول قولى هذا، وأستغفر الله لى ولكم أجمعين.

ويسن الدعاء للزوج ممن حضر سواء الولى، أوغيره عقب العقد بقوله: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما فى خير»، وينبغى لمن لم يحضر العقد بل يندب له الدعاء للزوج إذا لقيه.

ما يترتب على العقد

تصبح المرأة بعد العقد زوجة على كتاب الله وسنة رسوله، يحل للزوج أن يرى منها مفاتنها وأن يتكلم معها بحرية مطلقة غير أنه لا يختلى بها إلا بعد البناء.

فإن حصل طلاق - لا قدر الله - فى هذه المرحلة يلزم الزوج أن يدفع لزوجته نصف ما اتفقوا عليه من المهر مقدمه ومؤخره، ولا تجب عليها فى هذه المرحلة عدة، وذلك لقول الله تعالى: **﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم﴾** البقرة: آية ٢٣٧. ولقوله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾** الأحزاب: آية ٤٩.

المرحلة الثالثة: البناء

ويحدد موعده باتفاق الزوج وولى الزوجة.

ويستحب إعلانه والضرب فيه بالدف، حتى يشتهر ويعرف، ولا بأس بالغزل فى العرس لما ورد أن النبى ﷺ **أمر الأنصار أن يقولوا: «أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم لولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم. ولولا الحنطة السوداء ما سرت عذاريكم»** أخرجه أحمد.

ويستحب للزوج الأخذ بناصية زوجته أول لقياها، ويقول: بارك الله لكل منا فى صاحبه، اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها ومن شر ما جبلت عليه.

كما يستحب أن يصلى بزوجه ركعتين ليبدآ حياتهما بطاعة الله تعالى، فقد تزوج رجل فحضره عبدالله بن مسعود وأبو ذر وحذيفة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ، فحضرت الصلاة، فقدموه وهو مملوك، فصلى بهم، ثم قالوا له: إذا دخلت على أهلك فصلِّ ركعتين ثم خذ برأس أهلك فقل اللهم بارك لى فى أهلى وبارك لأهلى فىَّ وارزقهم منى وارزقنى منهم ثم شأنك وشأن أهلك».

ويستحب قول كل منهما: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإن له أثرا بينا فى صلاح الولد وغيره.

وفى اللقاء القادم إن شاء الله تعالى نتكلم عن الحقوق والواجبات بين الزوجين.. والله تعالى المستعان.

﴿وليس الذكر كالأنثى﴾

أ. د: حسنى حمدان

يُخطئ فى حق الدين خطأ جسيما من يقول أن المرأة أقل شأنا من الرجل، ويخطئ أيضا من يقول أنه لا فروق بين الرجل والمرأة على الإطلاق، ويخطئ أيضا من يرى فى الفروق بين الذكر والأنثى حقوقا لأحدهما على الآخر.

وشريعة الإسلام لا تفرق بين ذكر وأنثى فى الحقوق والواجبات.

والإسلام أنصف المرأة إنصافا لم تستطع جميع دساتير العالم أن تعطيه للمرأة، فالكل أمام الله رهين بما كسب، فالنفس مأخوذة بعملها سواء كانت نفس ذكر أو نفس أنثى **﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾** المدثر: آية ٣٨.

والقاعدة العامة أن الله لا يضيع عمل عامل من الناس، بل يوفى كل عامل بقسط عمله إن كان ذكرا أو كان أنثى، يقول ربنا سبحانه وتعالى: **﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم**

شريعة الإسلام لا تفرق بين الذكر والأنثى فى الحقوق والواجبات

من بعض﴾ آل عمران: آية ١٩٥. ودخول الجنة مرتبط بصالح الأعمال دون النظر إلى الجنس **﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾** النساء: آية ١٢٤. والحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة طريقها العمل الصالح للذكر والأنثى، ورزق الجنة بغير حساب لكليهما، ومعياره العمل الصالح والإيمان بالله.

وفحولة الرجل وأنوثة المرأة لا تعطى حقا لأحدهما على الآخر **﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾** البقرة: آية ٢٢٨. والدرجة هنا كما يقول العلماء مقيدة فى هذا الموقع. وقد جعل هذا الحق (الرجعة) فى يد الرجل لأنه هو الذى طلق.

الإنجاب هبة من الله سواء أكان المولود أنثى أم ذكرا حيث أكد القرآن على وحدة النفس بين الرجل والمرأة

وقوامة الرجل على المرأة مشروطة بنص القرآن بشرطين، بإنفاق الرجل على المرأة، وبما فضل الله بعضهم على بعض، والملاحظ أن الآية لم تقل بما فضل الله الرجل على المرأة. ففى مقياس الإسلام لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى كما يقول رسول الله ﷺ.

والإسلام وضع المرأة فى موضع الرقة والجمال حتى وهى فى المهد فقال تعالى: **﴿أو من ينشؤا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين﴾** الزخرف: آية ١٨. بل إن القرآن صور من يستقبل المولود الأنثى استقبالا سيئا تصويرا بشعا منكرا: **﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون* وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم* يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون﴾** النحل: الآيات ٥٧ ـ ٥٩.

والأنثى هبة من الله، والذكر كذلك؛ وفى تلك الهبة قدم القرآن الأنثى على الذكر: **﴿يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور* أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير﴾** الشورى: الآيتان: ٤٩، ٥٠.

وفى الإحسان إلى الوالدين تفصيل لدور المرأة بذكر الحمل وذكر الرضاع **﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها..﴾** الأحقاف: آية ١٥.

والمرأة من نفس الرجل، والرجل من نفس المرأة، ولا يمكن لنفس منهما أن تعيش بدون الآخر. آية تستحق التفكر **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيت لقوم يتفكرون﴾** الروم: آية ٢١. فياأهل الفكر لا ترفعوا نفسا فوق نفس بسبب الجنس. وإن أراد الرجل أن يرى نفسه فسيجدها ماثلة فى زوجه، وإن أرادت الزوجة أن ترى نفسها فستجدها ماثلة فى زوجها، وكما تحب نفسك أحب لنفسك.. أى لزوجتك. إنها أنا، وأنا هى **﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾** البقرة: آية ١٨٧.

وقد أكد القرآن على وحدة النفس بين الرجل

والمرأة فى أكثر من موضع: فى مطلع سورة النساء: **﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً﴾** النساء: آية ١. وقوله تعالى: **﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾** الأعراف: آية ١٨٩. وقوله تعالى: **﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها..﴾** الزمر: آية ٦.

ويشير القرآن إلى أمثلة رائعة من النساء، من مريم ابنة عمران وامرأة فرعون مثلا للذين آمنوا إلى ابنتى شعيب اللتين تذودان حتى يُصدر الرعاء لكبر أبيهما إلى أمهات المسلمين الصالحات القانتات اللائى نقلن سنة النبى إلى نساء العالمين، فتصف الدين قد أخذ عن عائشة - رضى الله عنها - إلى نساء شهدن الغزوات وشاركن فى الحروب لنصرة دين الله.

فى مقاييس الإسلام لا فرق بين الرجل والمرأة بل لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح

ووجود فوارق بين الذكر والأنثى يعنى تميز كل منهما عن الآخر، ولا يعنى إطلاقا تدنى أحدهما عن الآخر، كلاهما بنو آدم، وقد كرم الله بنى آدم رجلا كان أم امرأة. وهنا نشير إلى الإعجاز العلمى فى قوله تعالى: **﴿وليس الذكر كالأنثى﴾**، التى وردت فى قوله تعالى: **﴿إذ قالت امرأت عمران رب إنى نذرت لك مافى بطنى محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى* وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾** آل عمران: الآيتان ٣٥، ٣٦.

فمن الواضح أن خليقة الذكر عقلا وبدنا متفاوتة أو مختلفة عن خليقة الأنثى. والحقيقة أن الذكر والأنثى غير متساويين. والحقيقة التى أشرت إليها من قبل أن الإسلام لم يفرق بين الجنسين من حيث ما لهما من حقوق وما عليهما من واجبات.

ويلخص الدكتور عبدالوهاب الراوى الفوارق بين الذكر والأنثى فى نقاط سبع اكتشفها العلم:

١ - تعيين الهرمون الذكرى التستوستورون لجنس الدماغ.

٢ - التطور بين تطور دماغ الذكر والأنثى.

٣ - دماغ الذكر والأنثى مختلفان بنيويا.

٤ - تباين تعامل دماغ الجنسين مع المعارف المستلمة.

٥ - اختلاف مقدرة الجسمين لتأدية الأعمال.

٦ - دماغ الإناث مبنى لأعمال متعددة فى آن واحد.

٧ - تقلب نشاط ومزاج المرأة خلال دورة الطمث.

وفيما يتعلق بالهرمون الذكرى التستوسترون (Testosrone)، فقد برهن العلم على أنه المفتاح فى تطور جنس الدماغ إلى ذكرى وأنثوى.

فالنطفة الأنثى المعرضة لكمية غير قليلة من

الهرمون الذكرى تصبح أنثى من حيث المظهر والدماغ.

أما النطفة الأنثى (XX) المتعرضة لكمية قليلة من الهرمون تصبح بدن أنثوى بدماغ ذكرى. ويؤدى تعرض نطفة الأنثى إلى فيض من ذلك الهرمون إلى أن يكون بدن الجنين ذكرا ودماغه ذكرا أيضا. ومن ثم تميز الهرمونات دماغ المرأة عن دماغ الرجل.

وعن التفاوت بين تطور دماغ الذكر والأنثى؛ فقد ثبت بالتجربة أن البنين أبطأ من البنات فى فهم اللغة واستعمالها، وأن دماغ البنين أعلى فى التخصص وفى القدرة على إنجاز الأعمال. وجزء الدماغ المعنى بمهارات التفاعل الاجتماعى هو أكثر تطورا فى البنات من البنين.

وتشير بعض الأبحاث لأمريكيين وكنديين أن دماغ الرجل يعطيه قابلية متميزة على المرأة فى التركيز على الشىء المراد إنجازه، بينما دماغ المرأة لا يساعدها كثيرا على التركيز. وبينما ينشغل الجانب الأيسر من دماغ الرجل بالسيطرة على قدرات الفعل، والجانب الأيمن بالسيطرة على قدرات الإبصار، نجد أن كلا من الجانبين عند المرأة ينشغلان فى التعامل مع كافة المسائل، ولذا فإن النساء يتميزن على الرجال فى ميدان إتقان اللغة وقواعدها. ومن الاختلافات التشريحية بين دماغ الرجل ودماغ المرأة الجسم الجاسئ (Corpus Callosum) وهو كتلة ألياف عصبية موصلة تربط شطرى الدماغ نصف الكرويين. وفى الإناث يكون ذلك الجسم أسمك وأكثر انتفاخا ووزنا. وهذا الفارق يجعل المرأة أكثر طلاقة ووضوحا من الرجل فى التعبير الملفوظ ويساعدها فى أعمال تتطلب التقريب بين يديها والتنسيق بينهما كما فى الحياكة والتطريز والأعمال المنزلية.

أما فى علاقة الدماغ مع المعارف والحواس فنجد أن سمع النساء يفوق سمع الرجال، وإبصار الرجال يفوق إبصار النساء نهارا، بينما يفوق إبصار النساء إبصار الرجال ليلا. واللمس اليدوى عند الإناث أقوى من نظيره عند الرجال، وكذلك الشم والذوق.

والآن ننتقل إلى المهارات لنجد أن الإناث يتفوقن على الذكور فى المجالات المتعلقة بالأعمال الدقيقة والتنسيق الحركى، والتجميع، والخياطة، والصيدلة. أما الرجال فيتفوقون فى المهارات البدنية التى تتطلب التركيز، والرياضيات وغيرها من النشاطات المحفوفة بالخطر.

وتبقى نقطتان يتميز فيهما دماغ الأنثى عن دماغ الرجل، أولاهما أن دماغ الأنثى مخلوق لأداء أعمال متعددة فى آن واحد، وثانيتهما تقلب نشاط المرأة ومزاجها خلال دورة الطمث، ويكفى نظرة على ما تقوم به المرأة من أعمال الطهى والنظافة ومتابعة الأولاد فى وقت واحد بينما يركز الرجل فى قراءة الجريدة مثلا. كما أنه فى النصف الأول من الدورة يزداد إفراز هرمون إستروجين (Estrogen) المنشط لخلايا الدماغ الأمر الذى يثير فى المرأة الابتهاج والإثارة الجنسية والحماس والغرور والإيجابية. بينما فى النصف الثانى من دورة الطمث يزداد إفراز هرمون البروجسترون (progesterone) الذى يعزى إليه تأرجح مزاج المرأة من الحماس إلى الانسحاب، ومن التعاون إلى العدوانية، ومن الابتهاج إلى الكآبة، ومن الغرور إلى الاستسلام.

ومما سبق تبين وجه الإعجاز العلمى فى قوله تعالى: ﴿**وليس الذكر كالأنثى**﴾.

المرجع:

- المعجزة العلمية: ﴿**وليس الذكر كالأنثى**﴾ د. عبدالوهاب الراوى - المؤتمر العالمى السابع للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة.

موقف سعيد النورسى من الحضارة الغربية

د/ جمال رجب سيدبى

يقف سعيد النورسى على قمة المفكرين الذين وقفوا من الحضارة الغربية موقفا نقديا، وحاول أن يقدم علاجا لأمراض هذه الحضارة، خاصة أن البعض قد انبهر بها وغرق فيها إلى الأذقان ومن هنا كان موقف سعيد النورسى فى غاية الخطورة والأهمية معا (ولد ١٨٧٣م ـ توفى عام ١٩٦٠م) أضف إلى هذا، أن المرحلة التاريخية التى عاشها مفكرنا من المراحل الصعبة فى تاريخ تركيا وخاصة إثر سقوط الخلافة العثمانية (١٩٢٤م)، وما تلا ذلك من تغيرات مذهبية وأيدلوجية فى طريقة التفكير الأمر الذى دفع سعيد النورسى لكى يدلى بدلوه فى تصحيح المفاهيم وإماطة اللثام عن حقيقة الحضارة الغربية.

ولم يكن سعيد النورسى مفكرا عاديا، وإنما كانت آراؤه تعبر عن فكر رجل حمل هموم الإسلام، وهو يحاول أن ينشأ الرجل القرآنى الفاهم لتصورات القرآن الجلية.

لذلك نجد عالمنا لم يعمد إلى النقد وحسب وإنما كانت انتقاداته للحضارة الغربية من النوع الإيجابى، انتقادات على أساس سليم من المنهجية الإسلامية التى تنظر إلى الأمور والقضايا نظرة شمولية متوازنة، هذا فضلا عن أن عالمنا النورسى عاش الإسلام بروحه وعقله ومشاعره كلها، عاش مجاهدا مكافحا عن صحيح الدين، ولهذا لم يكن فيلسوفا أكاديميا، وإنما كان عالما عاش بالإسلام وللإسلام، وبين ثنايا وتضاعيف رسائل النور تتضوع المعانى المشرقة، والأفكار الحية التى تشغل بال المسلمين فى حياتهم المعاصرة.

لقد وقف سعيد النورسى من الحضارة الغربية ـ كما قلنا ـ موقفا موضوعيا، ومن ثم فهو يقارن بين المدنية الغربية والمدنية الإسلامية، فيرى: أن الشريعة الإسلامية ترفض المدنية الغربية لأنها تأسست على خمس أسس سلبية، فنقطة استنادها هى القوة، وهذه شأنها الاعتداء وهدفها وقصدها المنفعة، وهذه شأنها التزاحم. ودستورها فى الحياة: الجدال والصراع وهذا شأنه التنازع والرابطة التى تربط المجموعة البشرية هى/ العنصرية والقومية والسلبية التى تنمو على حساب الآخرين. وهذه شأنها التصادم كما نراه.. ولأجل هذا، فقد دفعت هذه المدنية الحاضرة ثمانين بالمائة من البشرية إلى أحضان الشقاء، وأخرجت عشرة بالمائة منها إلى سعادة مموهة زائفة. وظلت العشرة الباقية بين هؤلاء وأولئك علما بأن السعادة تكون عندما تصبح عامة للكل أو للأكثرية، بيد أن سعادة هذه المدنية هى لأقل القليل من الناس(١).

هكذا يصور لنا النورسى بأسلوبه وفكره البديع أمراض هذه الحضارة وهذه المدنية الغربية، وأنها لم تحقق سعادة المجموع بل هى حضارة الأثرة والأنانية.

ويشير مفكرنا إلى المدنية الحقيقية أو المدنية الجديدة بمكانة الإنسان التى تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، فهى التى ستكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة، وتضع أسسا إيجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة. نعم إن نقطة استنادها هى

الحق بدلا من المنفعة، والفضيلة من شأنها العدالة والتوازن. وهدفها الفضيلة بدلا من المنفعة، والفضيلة من شأنها المحبة والتجاذب. وجهة الوحدة فيها والرابطة التى تربط بها المجموعة البشرية: الرابطة الدينية، والوطنية، والمهنية بدلا من العنصرية(٢).

والمقارن بين الأسس الإيجابية فى المدنية الإسلامية، والأسس السلبية فى المدنية الغربية يرى البون شاسعا بين مدنية الحق والعدل ومدنية الصراع والجدل، وبين مدنية الهدى الإلهى ومدنية الهوى، ومدنية تنشد الفضيلة ومدنية تنشد المنفعة وتحد من طلاقة الروح!

يقول فى (اللمعات) فى شكل حوار بينه وبين أوروبا وهى طريقة تربوية للتشويق وإثارة انتباه المتلقى: إن أوروبا اثنتان إحداهما: هى أوروبا النافعة للبشرية بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدت خدمات لحياة الإنسان الاجتماعية بما توصلت إليه من صناعات، وعلوم تخدم العدل والإنصاف، فلا أخاطب فى هذه المحاور هذا القسم من أوروبا، وإنما أخاطب أوروبا الثانية تلك التى تعفنت بظلمات الفلسفة الطبيعية وفسدت بالمادية الجاثية وحسبت سيئات الحضارة حسنات لها، وتوهمت مساوئها فضائل فساقت البشرية إلى السفاهة وأردتها الضلالة والتعاسة(٣).

يرى النورسى أن شقوة ومعاناة الإنسان المعاصر، يعود إلى أن مدنية أوروبا كفرت بأنعم الله عليها، ومن ثم كانت النتيجة واضحة للعيان. وفى هذا الصدد يذهب أحد الدارسين المعاصرين: أنه باعتراف مفكرى الغرب همشت المسيحية بدليل إن الذى يؤمن بوجود إله من أوروبا ١٤٪، ومن يذهب إلى الكنيسة ١٠٪، بل إن القساوسة يجذبون الناس إلى الكنائس ولو بإباحة الشذوذ وموسيقى الجاز(٤).

جدير بالذكر أن عالمنا النورسى لم يرفض المدنية الغربية المعاصرة رفضا باتا ولم يقبلها قبولا تاما، إنما نظر إليها فى توازن واعتدال دليل هذا قوله: إن ما أنجزته هذه المدنية (الغربية) الحاضرة من الخوارق نعم تستدعى شكرا خالصا من الإنسان على ما أنعم عليه، وتقتضى منه كذلك استخداما ملائما لهذه الفائدة البشرية.. ويستمر فى السياق نفسه مبينا ما ذهب إليه بمثال حى تتجلى فيه فكرة وجوب إخضاع منتجات العصر إلى أصالة الأمة، الراديو نعمة إلهية عظيمة على البشرية فبينما تقتضى شكرا معنويا عليها وذلك باستخدامها لصالح البشرية كافة، نرى أربعة أخماس استعمالاتها تصرف فى اثارة الأهواء النفسانية، وإلى أمور تافهة لا تعنى الإنسان فى شىء(٥).

هكذا يضع عالمنا النورسى يده على هذه القاعدة الذهبية التى يعتقد أنها الأصوب فى التعامل مع المدنية الغربية وهى: «خذ ما صفا دع ما كدر»، وفى ضوئها سنأخذ من الأجانب ـ مشكورين ـ كل ما يعين الرقى من علوم وصناعات. أما العادات والأخلاق السيئة فهى ذنوب المدنية ومساوئها التى لا تبين قبحها كثيرا لكونها محاطة بمحاسن المدنية الكثيرة. فنحن لو أخذنا منهم المدنية بسوء حظنا وسوء اختيارنا ـ بما يوافق الهوى والشهوات ـ كالأطفال تاركين محاسنها التى تحتاج إلى بذل الجهد للحصول عليها نكون موضع سخرية كالمخانيث أو كالمترجلات، إذ كيف إذا لبست المرأة ثياب الرجل، ولبس الرجل ثياب المرأة، يكون كل منهما موضع سخرية واستهزاء(٦).

وينتهى مفكرنا بضرب المثال، وأنه: ينبغى لنا الاقتداء باليابانيين فى المدنية، لأنهم حافظوا على تقاليدهم القومية التى هى قوام بقائهم وأخذوا بمحاسن المدنية فى أوروبا، وحيث إن عاداتنا القومية ناشئة من الإسلام، وتزدهر به فالضرورة تقتضى الاعتصام بالإسلام(٧).

الهوامش:

١ ـ النورسى: صيقل الإسلام (مجلد ٨) ص٣٥٧.

٢ ـ النورسى: المرجع نفسه ص٣٥٩.

٣ ـ النورسى: اللمعات (مجلد ٣) ص١٧٧.

٤ ـ د. محمد عمارة: جريدة عقيدتى حوار بتاريخ ١ يناير ٢٠٠٠م ص٩.

٥ ـ النورسى: سيرة ذاتية ص٣٣٩.

٦ ـ نفس المرجع: ص٨٦.

٧ ـ نفس المرجع: نفس الصفحة.

نافذة على المعلومات

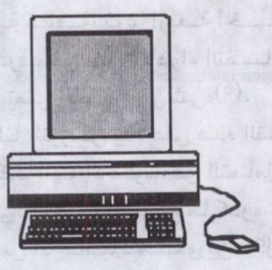

إعداد: منى القاضى

ارتفاع عدد المسلمين فى رواندا

ذكرت وكالات الأنباء الفرنسية أن نسبة السكان المسلمين فى رواندا، قد ارتفعت من ١.٢.١٪ قبل ١٠ سنوات إلى ١٦٪، من إجمالى عدد السكان البالغ نحو ٢.٨ مليون نسمة.

جدير بالذكر أن الندوة العالمية للشباب الإسلامى فى جدة، أقامت مؤخرا عدة ندوات صاحبتها قوافل طبية، فى بعض المناطق النائية بوسط جمهورية رواندا. وقال د. عبدالوهاب نور مساعد الأمين العام للندوة أن القافلة قد أقامت ندوة بمنطقة نتينيو التى تبعد عشرات الكيلو مترات عن العاصمة كيجالى، للتعريف بالإسلام ودعوة غير المسلمين إلى اعتناقه، مما لقى ترحيبا من الأهالى.

وقد أعلن أحد القساوسة إسلامه، وفى لحظة نطقه بالشهادتين، أسلم معه ١٠٠ شخص من سكان المنطقة.

بسبب الفقر قارة أفريقيا أقل استخداما للإنترنت من لوكسمبورج

«كلما ازداد الناس فقرا، كلما تراجعت فرص استخدامهم للتكنولوجيا المعلوماتية والاتصالات». جاء ذلك حرفيا فى آخر تقرير أعده الاتحاد الدولى للاتصالات، حول تطور الاتصالات فى العالم. وقد ترجم التقرير تلك العبارة بحقيقة صاعقة، تؤكد أن سكان لوكسمبورج البالغ عددهم نحو ٤٠٠ ألف نسمة، هم أكثر استخداما للإنترنت، عبر خطوط عالية السرعة والدفق المعلوماتى، من مجمل سكان القارة الإفريقية البالغ عددهم ٧٦٠ مليون نسمة!

وذكر التقرير أن الفارق قد تقلص كثيرا فى مجال استخدام الهاتف المحمول بين الدول الفقيرة والغنية، بينما ازداد اتساعا بصورة كبيرة، بشأن استخدام الإنترنت، كوسيلة مثلى للاتصال ونقل المعلومات، وبالتالى التنمية.

وأشار نفس التقرير إلى النمو السريع فى استخدام شبكة الإنترنت فى دول ذات نمو سريع مثل كوريا الجنوبية وسنغافورة وفى معظم الدول الإفريقية، حيث يزداد الفقر، ويتقلص ـ بالتالى ـ عدد مستخدمى التكنولوجيا المعلوماتية والاتصالات.

معلومة غير معلومة

الأسماء التى عرفت بها القدس عبر التاريخ

- سميت «يبوس» نسبة إلى اليبوسيين وهم من العرب البائدة.
- ثم سميت «مدينة داود» عام ١٠٤٩ ق.م زمن النبى داود عليه السلام.
- ثم سميت «أورسالم» وذلك زمن البابليين عام ٥٥٩ ق.م.
- ثم سميت «يورشاليم» وذلك عندما فتحها الأسكندر الأكبر عام ٣٣٢ق.م.
- ثم سميت «هيروسليما» بعد احتلال الرومان لها عام ٦٣ ق.م.
- ثم سميت «سوليما» زمن تيطس عام ٧٠م.
- ثم سميت «إليا كابتولينا» زمن الرومانى ادرينانوس عام ١٣٨م.
- وبقيت بهذا الاسم إلى عهد هرقل عام ٦٢٧م، ثم فتحها المسلمون وسميت بيت المقدس والقدس.

لا تصدق مواقع الرعب المخيفة التى تعلن قرب نهاية العالم

﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله﴾.

الأحزاب: آية ٦٣

لكن هناك من يحاول إثارة الرعب والخوف فى قلوب الناس، باستعمال شبكة الإنترنت.

فقد انتشرت على الشبكة مواقع كثيرة، تخصصت فى التكهنات المخيفة، ومن بينها مواقع تتحدث عن قرب نهاية العالم، وكأنها عالمة بالغيب!

ومن أشهر هذه المواقع موقع «دوجلاس هجمان» الذى يديره مخبر سرى، فيما يسمى بشبكة المخابرات فى الشمال الشرقى، ومن أسخف ما تروجه هذه الشبكة من تخاريف وادعاءات، أن المنظمات الإسلامية تخطط لهدم المسجد الأقصى المبارك، بهدف إلصاق التهمة فيما بعد بالإسرائيليين وبالحكومة الأمريكية.

وهذا يؤكد أن القائمين على هذه الشبكة صهاينة، أو عملاء لإسرائيل والصهيونية العالمية.

بعد حملة إعلامية للمسلمين الأمريكيين

الجمهوريون يعتذرون عن إساءتهم للإسلام

أعلن الحزب الجمهورى بمقاطعة جليفرد بولاية نورث كالورينا الأمريكية أنه أزال مواد من موقعه على الإنترنت كانت تسىء للإسلام والمسلمين. وقال المسئولون عن الموقع بعد اعتذارهم: «ليست هناك أية مساحة للكراهية فى مجتمعنا».

وكان مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (Cair Net) قد أصدر بيانا طالب فيه إحدى جماعات الحزب بالمقاطعة بإزالة «الوصلة» الموجودة على موقع يسمى «إكسبوز إسلام» أى فضح الإسلام.

وكان هذا الموقع الألكترونى يصف الإسلام بأنه «ليس أكثر من شعوذة بربرية، اخترعها متوحشون من أجل متوحشين»!!

وقال مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية فى بيانه، أن اعتذار مسئولى الموقع الألكترونى، جاء نتيجة لمئات الرسائل التى وصلت إليه من المسلمين وغيرهم من مؤيدى المجلس، وبعد أن زاد اهتمام وسائل الإعلام المحلية بالقضية.

١١٠ ملايين دولار قيمة عمليات الاحتيال

بلغت التقديرات المبدئية لعمليات الاحتيال، التى استخدمت فيها كروت الائتمان عبر الإنترنت ١١٠ ملايين دولار.

وحذر الخبراء من أن المحتالين يستخدمون تفاصيل كروت الائتمان التى يهمل أصحابها إخفاءها، فى شراء بضائع غالية السعر، عبر الإنترنت والهاتف.

وأشاروا إلى ارتفاع ظاهرة البيع، دون ضرورة تقديم كارت الائتمان، ارتفعت خلال العامين الماضيين بنسبة تزيد على ٣٠٪، حيث يستخدم اللصوص تفاصيل الكروت الموجودة فى إيصالات الزبائن الذين لا يقومون بتمزيقها بعد الشراء.

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Address: http:// WWW.islamic. Council. org
E-mail Addresses : Coun 11@ hotmail. com
Council @ Al azhr. org
Webmaster @ islamic- council. com
Postal Address: 9. El-Nabatat St. Garden City- Cairo A.R.E.
Tel. Nos.: (202) 7951438- 7951494
Fax No.: (202) 7954005

اعتمدها مؤتمر القمة الإسلامية العاشر:

صدور استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية

أصدرت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية» فى كتاب باللغة العربية ضمن مطبوعات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وكان مؤتمر القمة الإسلامى العاشر الذى عقد فى ماليزيا فى أكتوبر الماضى قد اعتمد هذه الاستراتيجية كما اعتمدها قبل ذلك المؤتمر الإسلامى الثلاثون لوزراء الخارجية الذى عقد فى طهران فى يونيو الماضى.

وتشتمل استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية على ستة فصول هى: فقه الاختلاف وجهود التقريب بين المذاهب ومفاهيم التقريب ومصادره وتطور المذاهب الإسلامية وميادين التقريب وأهداف التقريب وسبل تنفيذ استراتيجية التقريب.

ويقول الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجرى - المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - فى تقديمه للاستراتيجية إن الإيسيسكو قد اهتمت بهذه القضية اهتماما بالغا فعهدت إلى فريق من العلماء والمفكرين بوضع مشروع «استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية» وهو مشروع مستمد من روح الشريعة الإسلامية ومستوحى من مقاصدها الشريفة وقائم على أسس علمية تمثل خلاصة ما انتهى إليه الفكر الإسلامى فى هذا العصر من التأكيد على ضرورة تجاوز الاختلافات المذهبية والارتقاء إلى مستوى المعالجة العلمية للآثار المترتبة على الاختلاف فى الاجتهاد وطرق استنباط الأحكام من مصادر التشريع الإسلامى وجعل مناط الأمر فى الاجتهاد يتجه إلى تحقيق المصلحة المؤكدة للأمة الإسلامية وتغليب هذه المصلحة التى هى موضع إجماع الأمة الإسلامية على كل مصلحة سواها تحقيقا لوحدة الأمة الإسلامية الثقافية والفكرية والوجدانية. وأوضح أن هذه الاستراتيجية لا تهدف أساسا إلى توحيد الموقف المذهبى الفقهى فى العالم الإسلامى لأنه فكرة غير عملية وليست واقعية.

وراء الأخبار

رسالة ماجستير تكشف عن شخصية تراثية من القرن السادس الهجرى

حصل الباحث حسن أحمد خليل الباحث بمركز السيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية على درجة الماجستير فى الفلسفة الإسلامية من كلية دار العلوم جامعة القاهرة بتقدير امتياز.

وكان موضوع الرسالة «إصلاح الأخلاق ومفتاح الإغلاق على معارج الطالبين ومدارج السالكين» لمحمد بن عبد الملك الديلمى ت ٥٨٩هـ تحقيق ودراسة.

حيث كشف الباحث فى رسالته عن شخصية تراثية من القرن السادس الهجرى كادت تضيع فى زوايا النسيان رغم أنه صوفى متكلم له ما يقرب من أربعين مؤلفا كلها مخطوطة وموزعة على مكتبات العالم (تركيا، أيرلندا، الكويت، إيران، مصر).

والكتاب المحقق (تعود أهميته إلى أنه حوى نصوصا لأصول ضاعت ضمن ما ضاع من تراثنا الإسلامى، واستطاع الباحث أن يثبت للمؤلف خمسة عشر مؤلفا لم يذكرها له أحد من قبل.

تقع الرسالة فى مجلدين بلغت ٨٩٠ صفحة، وقد تكونت لجنة المناقشة والحكم من السادة الأساتذة: الأستاذ/ أحمد محمد الطيب رئيس جامعة الأزهر مناقشا.

الأستاذ الدكتور/ محمد السيد الجليند رئيس قسم الفلسفة الإسلامية بدار العلوم مناقشا.

الأستاذ الدكتور/ عبدالحميد مدكور أستاذ الفلسفة الإسلامية بدار العلوم وعضو مجمع اللغة العربية مشرفا.

قطوف

قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطى ما مثله آمن عليه البشر ـ وإنما كان الذى أوتيته ـ القرآن ـ وحيا أوحاه الله عز وجل إلى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا» رواه الشيخان وأخرجه مسلم.

(كتاب الإيمان جـ٢/ ١٨٠ بشرح النووى).

معجزات ودعاء

محمد سيد أحمد

قال الحافظ: إن كل نبى لابد له من معجزة تقتضى إيمان من شاهدها. ولا يضره من أصرَّ على المعاندة.

والمعنى أنه ليس من نبى من الأنبياء إلا قد أعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوته الشىء الذى من صفته أنه إذا شوهد اضطر المشاهد إلى الإيمان به. وأن كل نبى اختص بما يثبت دعواه من خوارق العادات بحسب زمانه، فخص كل نبى بما ثبت له من خوارق العادات المناسبة لحال قومه، كقلب العصا حية فى زمن موسى عليه السلام وكونها «تلقف ما صنعوا» معجزة.

وإخراج اليد بيضاء كان كذلك لأن الغالب فى زمانه السحر فأتاهم موسى عليه السلام بما هو فوقه فاضطرهم إلى الإيمان به ولم يقع ذلك لغيره.

وفى زمن عيسى عليه السلام برع الناس فى الطب فجاءهم بما هو أعلى منه: إبراء الأكمه، والأبرص، بما ليس فى قدرة البشر وهو إحياء الموتى بإذن الله.

أما رسولنا ﷺ فأرسله الله تبارك وتعالى إلى العرب أهل الفصاحة والبلاغة وتأليف الكلام على أعلى طبقاته، ومحاسن بدائعه، فأتاهم ﷺ بما هو أعلى قدرا ومقاما ـ أتاهم بالقرآن ـ فأعجزهم عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾** الإسراء: آية ٨٨.

القرآن الكريم معجزة باقية:

قال تعالى: **﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾** التوبة: آية ٦، وقال تعالى: **﴿وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين* أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾** العنكبوت: الآيتان ٥٠، ٥١.

فلولا أن سماعه حجة عليه ـ على كل من سمعه ـ لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجة فهو آية من آيات الحق تبارك وتعالى كافٍ فى الدلالة، قائم مقام معجزات غيره وآيات من سواه ﷺ من الأنبياء.

على أن معجزات الأنبياء كانت معجزات حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح عليه السلام وعصا موسى.. وقد انقرضت بانقراض أعصارهم فلا يشاهدها إلا من حضرها.. أما معجزة

القرآن الكريم فمستمرة إلى يوم القيامة وذلك لخرق العادة فى أسلوبه وبلاغته وأخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار ويظهر فيه شىء مما أخبر به أنه سيكون مما يدل على صحة دعواه، ولهذا قال ﷺ: **«فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»**.

كما أن معجزة القرآن الكريم تشاهد بالبصيرة والتأمل والتفكر فيكون من يتبع الرسول بها أكثر.

حكى أبو عبيد: أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ: **﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾** الحجر: آية ٩٤، فسجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام. وسمع آخر رجلا يقول: **﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا﴾** يوسف: آية ٨٠، فقال: أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام.

(سبل الهدى والرشاد جـ٩ ص٥٧٨).

وجه إعجاز القرآن البلاغى:

قال الخطابى: فى إعجاز القرآن الكريم وجها ذهب عنه الناس وهو صنيعه فى القلوب، وتأثيره فى النفوس. فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع به السمع خلص به إلى القلب من اللذة والحلاوة فى حال من الروعة والمهابة ومثال ذلك قوله تعالى: **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾** الحشر:

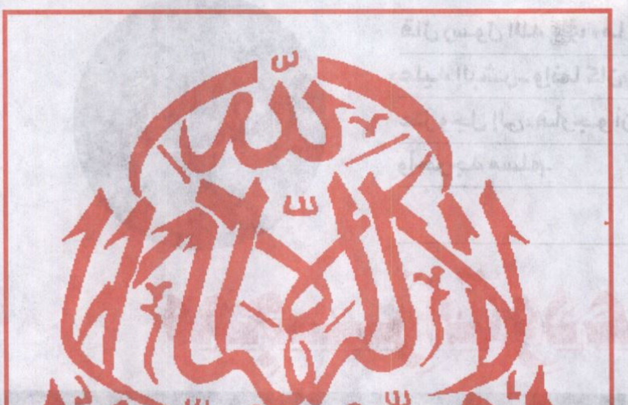

آية ٢١، ومنه قوله تعالى: **﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾** الزمر: آية ٢١.

وكون قارئه لا يكل، وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه تلاوته، وما فيه من الأخبار عن الأمم والأمور الماضية وبما شمل من علم الغيب، والحكم على الأمور بالقطع وكونه جامعا لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها وأنه لم يزل ولا يزال غضا طريا فى أسماع السامعين وعلى ألسنة القارئين والإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وغيره من الكلام يعادى إذا أعيد، ويمل مع الترديد، ولهذا وصفه رسول الله ﷺ بأنه لا يخلق على كثرة الرد، إضافة إلى أن الحق تبارك وتعالى قد تكفل بحفظه وجعله آخر الكتب غنيا عن غيره والكل يحتاج إليه كما قال تعالى: **﴿إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر**

الذى هم فيه يختلفون﴾ النمل: آية ٧٥، ورحم الله القائل* فى وصف القرآن الكريم:

بلاغ بليغ للبلاغة معجز
له معجزات لا يحد لها حد
تجلت بروح الوحى حلة نسجه
عقود اعتقاد لا يحل لها عقد
وغاية أرباب البلاغة عجزهم
لديه - وإن كانوا هم الأُنُفُ اللُّدُّ

من دعاء الرسول ﷺ:

قال أنس: جاء أعرابى فقال: يارسول الله أتيناك ومالنا من بعير يئط، ولا صبى يغطُّ وأنشد:

أتيناك والعذراء يدمى لبانها
وقد شغلت أم الصبى عن الطفل
ولا شىء مما يأكل الناس عندنا
سوى الحنظل العامىِّ والعَلْهز* الغُسل

فقام رسول الله ﷺ حتى صعد المنبر، ثم رفع يديه فقال: **«اللهم اسقنا غيثا مريعا غدقا طبقا عاجلا غير رائث. نافعا غير ضار. تملأ به الضرع وتنبت به الزرع، وتحيى به الأرض بعد موتها. وكذلك تخرجون»** فو الله ما ردَّ يده إلى نحره حتى ألقت السماء أردافها وجاء أهل البطانة يصيحون: يارسول الله: الغرق، فرفع يديه إلى السماء فقال: **«اللهم حوالينا ولا علينا»** فانجاب السحاب عن المدينة، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: لله درّ أبى طالب، لو كان حاضرا قرَّت عيناه. فقال علىٌّ، كأنك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقام رجل من كنانة فقال:

لك الحمدُ والحمدُ ممَّن شكر
سُقينا بوجه النبى المطر

ومن دعائه ﷺ:

قال أبو أمامة - رضى الله تعالى عنه -: قام رسول الله ﷺ يوما ضُحى فى المسجد فكبر ثلاث تكبيرات، فقال: **«اللهم ارزقنا سمنا ولبنا وشحما ولحما»**، وما نرى فى السماء من سحاب فثار ريح وغبرة، ثم اجتمع السحاب فصبت السماء فصاح أهل الأسواق ورسول الله قائم، فسالت الطرق، فما رأيت عاما كان أكثر لبنا وسمنا وشحما ولحما منه. إن هو إلا فى الطريق ما يشتريه أحد.

(رواه أبو نعيم والبيهقى «دلائل النبوة جـ٦/١٤٥)».

وقالت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها -:

شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحط المطر، فخرج إلى المصلى، وقعد على المنبر، ورفع يديه إلى السماء حتى رؤى بياض أبطيه فأنشأ الله عز وجل سحابة فرعدت وبرقت حتى أمطرت فلم يأت المسجد أحد حتى سالت السيول، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن الله على كل شىء قدير، وأنى عبد الله ورسوله.

(أخرجه أبو داود فى سننه مطولا فى كتاب الصلاة - باب رفع اليدين فى الاستسقاء عن عائشة جـ١/٣٠٤ حديث ١١٧٣).

وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**.

الهوامش:

* قائل هذا الشعر: محمد وفا الشاذلى المصرى المتوفى سنة ٧٦٠هـ وله مدائح أخرى فى المجموعة النهائية «سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد جـ٩ ص٥٩٠».

* العلهز: طعام كانوا يتخذونه من وبر البعير فى سنى المجاعة.

* والغسل: هو الرذل.

أنت تسأل والفقيه يجيب

فضيلة الشيخ
عطية صقر

الصلاة خلف الصبى

السؤال من القارئة، عفاف عثمان، من ديرب نجم بمحافظة الشرقية، تقول: نوى ولدى الصلاة جماعة مع أخوه الأصغر فهل يمكن أن أنوى الصلاة خلفهما؟

الجواب: لا بأس بصلاة الجماعة خلف الصبى المميز حيث لا يوجد نص يمنعها، بل وجد النص بجوازها، فقد روى البخارى وغيره أن عمرو بن سلمة نقل عن النبى ﷺ أنه قال: «**فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا**»، فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا منى، فقدمونى بين أيديهم وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وجاء فى رواية النسائى أنه ابن ثمان سنين، وجاء فى رواية أحمد وأبى داود أنه قال: فما وجدت مجمعا من جَرْم - وهم قومه - إلا كنت إمامهم إلى يومى هذا.

بناء على ما تقدم يجوز للصبى أن يكون إماما لمن هو أكبر منه سنا، وبخاصة إذا تميز عنهم بالتفقه فى الدين، وهذا ما قال به الإمام الشافعى رضي الله عنه، أما الإمام مالك فقد كره أو منع ذلك فى الفرائض، وأما أبو حنيفة وأحمد فقد اختلفت الرواية عنهما، كما قال ابن حجر فى كتابه «فتح البارى» أنهما يجوِّزان أن يكون الصبى إماما فى النوافل كالتراويح والعيدين دون الفرائض، لكن هذه التفرقة لا معنى لها، لأن حديث عمرو فيه أذان للصلاة ثم الإمامة، والأذان لا يكون إلا للفريضة دون النافلة.

والذين منعوا إمامة الصبى أو كرهوها فى الفرائض استندوا إلى أثر عن ابن مسعود بأنه لا يؤمُّ الغلام حتى تجب عليه الحدود، أى حتى يكلف بالبلوغ، وكذلك أثر مثله عن ابن عباس رواهما الأثرم فى سننه، وليسا مرفوعين إلى النبى ﷺ، بل هما رأيان لهما، وفى مثل هذا المقام يقدم الحديث المرفوع على الكلام الموقوف على الصحابى، كما يقدم ما رواه البخارى ومسلم على ما رواه الأثرم.

والموضوع طويل فى «نيل الأوطار للشوكانى» وخلاصته أن إمامة الصبى فى الفرائض جائزة وصحيحة عند الشافعى، ويمكن الأخذ به فى الصبى يصلى بوالدته وإخوته وأخواته، والتلميذ يصلى بزملائه، لكنها غير جائزة عند الأئمة الآخرين، والبالغ إن وجد أولى من الصبى.

أموال السيدة الطاعنة فى السن

السؤال من قارئ، من محافظة الجيز، يقول: والدتى طاعنة فى العمر وأصبحت لا تعى شيئا ولى منها توكيل فهل من حقى إخراج زكاة المال عنها من مالها؟ وهل نعلمها بذلك، ومنذ متى نخرج هذا المال؟ أى منذ أن امتنعت عن إخراج الزكاة؟

الجواب: مادمت وكيلا عاما عن والدتك وجب عليك إخراج الزكاة عنها من مالها، رضيت أم لم ترض، ولا داعى لإخبارها بذلك.

تـــارك الصــــلاة

السؤال من جمال مصطفى أحمد، من محافظة سوهاج، يقول:

ما حكم من ترك الصلاة من غير عذر ثم تاب، فهل يجب عليه القضاء؟ وعلى أى وجه يكون؟

الجواب: يقول جمهور العلماء: إن الصلاة إذا خرج وقتها دون أن يؤديها المسلم المكلف وجب قضاؤها لحديث البخارى ومسلم «من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك»، وفى رواية: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فالله يقول **﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾**.

وكذلك يجب القضاء لأنها صارت دينا عليه لله تعالى، وقد روى الشيخان أن رجلا سأل النبى ﷺ عن أمه التى ماتت وعليها صوم شهر هل يقضيه عنها، فقال له **«نعم، فدين الله أحق أن يقضى»**، وفى رواية أن امرأة سألت النبى ﷺ عن أمها التى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، هل تحج عنها؟ فقال: **«حجى عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا فالله أحق بالقضاء»**، فالحديث الأول يوجب القضاء على الناسى بالنص، والحديثان الآخران يدلان على وجوبه بعموم قضاء دين الله، ويؤكد وجوب القضاء التعبير بالكفارة، كأن النسيان ذنب فيه كفارة مع أن القلم رفع عن الناسى.

أما خروج الصلاة عن الوقت بغير عمد فهو يوجب القضاء أيضا كما قال جمهور العلماء: لأن القضاء إذا كان واجبا على المعذور كالناسى والنائم فهو على المتعمد أولى، وقول الحديث **«فليصلها إذا ذكرها»**، يدل على ذلك، لأنه - وإن كان قد تعمد تركها - فقد تذكر ذلك بعد، لأن المراد بالذكر العلم.

أما رأى غير الجمهور ومنهم أهل الظاهر فهو عدم وجوب قضائها إذا تركت عمدا، لأن القضاء هو على الناسى كما فى الحديث ولا يقاس عليه المتعمد، وعليه التوبة النصوح فقط والإقبال على الصلاة بعدها، قال تعالى: **﴿وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾** طه: آية ٨٢، وهناك قول عند الحنابلة بعدم وجوب القضاء على من ترك الصلاة عمدا، وذلك إذا طلبها منه الحاكم ودعاه إلى فعلها، لأنه فى هذه الحالة يكون مرتدا عندهم، لكن هذا القول - مع أنه أحق القولين وليس بأرجحهما - مقيد بحالة مخصوصة وهى طلب الحكم. والخلاصة أن تارك الصلاة سهوا يجب عليه القضاء باتفاق العلماء، وتاركها عمدا يجب عليه القضاء عند الجمهور وهو الصحيح.

والإنسان حرٌّ فى كيفية القضاء من حيث الترتيب وعدمه على ما رآه بعض الفقهاء فيما زاد على صلاة يوم واحد، ونختار هذا الرأى للتيسير، كما أنه يقضى ما علم أو غلب على ظنه تركه بعد الاجتهاد فى حصر المتروك، ولا معنى لانشغاله بالنوافل التى لا يحاسب عليها مع الإهمال فى القضاء، وعلى تارك الصلاة عمدا - مع وجوب القضاء - أن يتوب إلى الله، ويواظب عليها ويندم على تقصيره ويعزم عزما صادقا على عدم التهاون فيها، كما يُسَنُّ له أن يبادر بالقضاء قبل مباغتة الأجل أو تغير الظروف التى يعجز معها عن القضاء، ومن مات وهو يقضى ولم يتم الوفاء فأمره مفوض إلى ربه، وبحسب نيته تكون آخرته، والرجاء فى رحمة الله كبير، والقضاء ليس مقيدا بأن يكون كل فرض مع فرض وفى وقته، فليس هناك وقت ممنوع أبدا فى القضاء، والمبادرة به أولى. جاء فى حديث عمران بن حصين الذى رواه أحمد أن النبى ﷺ وبعض أصحابه ناموا عن صلاة الصبح فاستيقظوا بعد طلوع الشمس فصلوا - بعد أن أذن بلال - ركعتى الفجر، ثم أمر بالإقامة لصلاة الصبح فأشاروا على الرسول أن يكون القضاء فى وقت الصبح من الغد، فقال: **«أينهاكم ربكم عن الربا ويقبله منكم»** وأطال الشوكانى فى الكلام على ذلك «نيل الأوطار ج٢ ص٢٩»، والأدلة مبسوطة فى «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام» المجلد الثانى.

آدم عليه السلام

السؤال من قارئ، يقول:
إذا كان الله سبحانه وتعالى خلق آدم ليكون خليفة له فى الأرض فلماذا أسكنه الجنة ولم ينزله إلى الأرض مباشرة؟

الجواب: يقول الله تعالى: **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون﴾** البقرة: آية ٣٠.

ظن الملائكة أن المخلوق الجديد سيفسد فى الأرض كما أفسد من كانوا قبله، فأراد الله سبحانه أن يبين لهم أن المخلوق الجديد سيكون من طينة الأرض المركبة من عدة عناصر، وليس من عنصر واحد هو الخير الدائم، أو الشر الدائم ولهذا سيطيع هذا المخلوق ويعصى وسيتكيَّف بالأرض التى خلق منها، فأجرى عليه هذه التجربة وهى إدخاله الجنة وأطلق له حرية التمتع بخيراتها ما عدا شجرة واحدة، وأمره ألا يطيع إبليس فى إغوائه الذى أقسم برب العزة على القيام به انتقاما ممن كان سببا فى طرده من الجنة، فحصل ما حصل، وسمع آدم تزيين الشيطان له بالأكل من هذه الشجرة، فأطاع آدم، فأهبطه الله إلى الأرض، لأنه هو الذى يصلح لها، بمعنى أنه ليس معصوما من الخطأ، ومن هذا ما تقوم به بعض الشركات فى اختراع جديد يريدون التأكد من صلاحيته قبل النزول إلى الأسواق - أن يضعوا اللمسات الأخيرة عليه ليتأكدوا من صلاحيته ثم بعد ذلك ينزل إلى الأسواق.

والله سبحانه وتعالى يعلم مالا تعلم الملائكة والعالم كله، وليس هذا الامتحان ليزداد علم الله به، ولكن ليعلم الملائكة مالم يكونوا يعلمون، وتوضيح ذلك موجود فى كتاب «المصطفون الأخيار».

تعليق الطلاق قبل النكاح

السؤال من القارئ، ياسر عبد الحميد سليمان، من كفر الزيات، يقول:
لفظ شاب يمين الطلاق ثلاثا على زوجته المستقبلية (أى أنه غير مرتبط حين التلفظ) إن خرجت من باب الدار. فهل إذا تزوج يكون هذا الطلاق واقعا؟

الجواب: يقول جمهور العلماء: إن الطلاق قبل النكاح لا يقع، كما إذا قال الرجل: إن تزوجت فلانة فهى طالق، وكما جاء فى السؤال عن الطلاق المعلق، وذلك لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ **«لا نذر لابن آدم فيما لا يملك ولا عتق له فيما لا يملك، ولا طلاق له فيما لا يملك»** رواه أصحاب السنن وقال الترمذى: حديث حسن.

وقال بهذا الحكم الشافعى وأحمد وإسحاق وأصحابهم وداود وأصحابه، وهو مذهب جمهور أهل الحديث، وجمهور الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وحكى عن أبى حنيفة وأصحابه أنه يصح التعليق مطلقا، وذهب مالك فى المشهور عنه وربيعة والثورى والليث والأوزاعى وابن أبى يعلى إلى التفصيل وهو: إن جاء بحاصر نحو أن يقول: كل امرأة أتزوجها من بنى فلان أو بلد كذا فهى طالق صح الطلاق ووقع، وإن عمم لم يقع، وهذا التفصيل لا وجه له إلا مجرد الاستحسان، كما أنه لا وجه للقول بإطلاق الصحة، والحق أنه لا يصح الطلاق قبل عقد النكاح مطلقا، للأحاديث المذكورة فى الباب كما قال الشوكانى فى «نيل الأوطار».

هذا، ولا يصح قياسه على العتق إذا قال: لو ملكت فلانا فهو حر، فقد أجازه العلماء لأمرين، **الأول** أن العتق له سراية وقوة، وقد ينفذ فى ملك الغير، كعتق إنسان نصيبه من عبد مملوك بينه وبين غيره، **والثانى** أنه قربة يسارع إلى إيقاعها، والطلاق ليس كذلك فهو بغيض إلى الله.

إبليس

السؤال من القارئ، أحمد كامل الشاطر على، من محافظة الأقصر، يقول:
هل إبليس من الملائكة؟

الجواب: معرفة جنس إبليس متوقفة على الخلاف فى كونه من الملائكة أولا، وهو قبل معصيته لأمر الله لا يعرف حاله بطريق ثابت، وكل ما قيل فى ذلك منسوب إلى بعض الصحابة، أما بعد الإخبار عن معصيته ففى معرفة جنسه رأيان:

الرأى الأول: أنه من الملائكة، واستدل أصحاب هذا الرأى بأدلة، منها:

أ ـ ظاهر الاستثناء فى قوله تعالى: **﴿فسجدوا إلا إبليس﴾** وهو استثناء متصل يدل على أنه من الملائكة.

ب ـ أنه لو لم يكن من الملائكة ما كان أمر الله له بالسجود متناولا له، ولو لم يكن متناولا له استحال أن يكون تركه للسجود إباء معصية، ولما استحق العذاب، وحيث حصل ذلك علمنا أن الخطاب بالسجود يتناوله، فهو من الملائكة.

والرأى الثانى: أنه ليس من الملائكة، واستدل أصحاب هذا الرأى بأدلة، منها:

أ ـ قوله تعالى: **﴿فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾** الكهف: آية ٥٠.

ب ـ أن الملائكة معصومون من العصيان لقوله تعالى: **﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾** التحريم: آية ٦، وإبليس عصى واستكبر عن السجود فهو ليس من الملائكة.

وأدلة الطرفين محتملة ومناقشة، وبيان ذلك باختصار:

١ ـ أن الاستثناء قد يكون منقطعا، فالمستثنى إبليس وليس من جنس المستثنى منه،وهم الملائكة.

٢ ـ أن الأمر بالسجود أصلا هو للملائكة، وإبليس ملصق بهم لكثرة عبادته، فلا يوجه إليه أمر خاص لأن الأمر العام يكون للكثرة الغالبة.

٣ ـ كون إبليس من الجن قد يراد به أنه من العالم المستتر، والملائكة من العالم المستتر أيضا، قال تعالى: **﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾** الصافات: آية ١٥٨، حيث قال: الملائكة بنات الله.

والدليل الذى جىء به الإثبات أنه ليس من الملائكة بأنهم معصومون، وإبليس أخطأ، دليل قوى، فإن الثابت أن الجن منهم مؤمنون ومنهم كافرون، والآيات فى ذلك كثيرة، وليس فى الملائكة كافرون.

ومن أجل أن أغلب أدلة الطرفين مناقشة لا يمكن القطع برأى فى الموضوع، ولهذا قيل إن إبليس ليس من الملائكة ولا من الجن، بل هو خلق مفرد من نار، وإبليس يطلق عليه شيطان، لأن الشياطين هم شرار الجن، فإن منهم أخيارا، كما يطلق لفظ الشيطان على من تمرد من الإنس والجن والدواب.

ومن أراد تفصيلا فليرجع إلى كتاب «آكام المرجان» للمحدث الشبلى، وإلى مجلة الأزهر ـ المجلد الثامن ص٥٦٦ وما بعدها، وإلى بحث الجن فى كتاب «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام».

صلاة الجنازة على المرأة

السؤال من القارئة، م. أ. هـ. تقول:
ما حكم صلاة الجنازة على الحائض أو النفساء قبل التطهر هل الصلاة تتم عليها داخل المسجد؟

الجواب: إذا ماتت المرأة وهى حائض أو نفساء قبل أن تتطهر من الجنابة، كان غسلها بعد الموت كافيا ومطهرا لها، فتصح صلاة الجنازة عليها، كما تصح أن تكون هذه الصلاة فى المسجد ولا حرمة على من يصلون عليها فيه.

جاء فى الشرح الكبير على متن المقنع لابن قدامة المقدسى «ج٢ ص٣٢٢»، ما نصه: والحائض والجنب إذا ماتا كغيرهما فى الغسل، قال ابن المنذر: هذا قول من نحفظ عنه من علماء الأمصار، وقد قال الحسن وسعيد بن المسيب: ما مات ميت إلا جنب. وقيل عن الحسن: إنه يغسل الجنب للجنابة والحائض للحيض ثم يغسلان للموت. والأول أولى لأنهما خرجا من أحكام التكليف ولم يبق عليهما عبادة واجبة، وإنما الغسل للميت تعبُّد، وليكون فى حال خروجه من الدنيا على أكمل حال من النظافة. وهذا يحصل بغسلة واحدة، ولأن الغسل الواحد يجزئ من وجد فى حقه شيئان كالحيض والجنابة كذا هذا. انتهى.

يؤخذ من هذا أن الحائض إذا ماتت يكفى غسل واحد وصارت بعد الموت غير مكلفة فلا حرمة فى الصلاة عليها فى المسجد، ولا يقال أنها كالحية يحرم عليها دخول المسجد.

الهدية والرشوة

السؤال من القارئ/ ماهر أحمد محمد، من مصر القديمة بمحافظة القاهرة، يقول: ما رأى الدين فى هدية تقدم لشخص ما بقصد انجاز بعض الأعمال الضرورية التى لا تخالف شرعا؟

الجواب: فى الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى وقال عنه: حديث حسن صحيح، أن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - قال: **«لعن رسول الله ﷺ الراشى والمرتشى»**، وفى الحديث الذى رواه أحمد عن ثوبان رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ **الراشى والمرتشى والرائش، يعنى الذى يمشى بينهما.**

الرشوة كما حددها العلماء هى ما يستعان به على أخذ شىء غير مستحق أو منع حق عمن يستحقه، كما قال تعالى: **﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾** البقرة: آية ١٨٨.

لكن إذا قدم الإنسان شيئا لشخص آخر ليعطيه حقه أو ليدفع عنه ظلما، وليس فى ذلك أخذ شىء لا يستحقه أو منع حق عمن يستحقه فجمهور العلماء يقولون: ليس ذلك من قبيل الرشوة، وجعلوها من باب الجعالة التى من صورها أن يقول شخص: من رد لى ضالتى فله كذا، وقالوا: إنه يجوز للإنسان أن يعطى شيئا ليدفع عنه ظلما سيقع عليه لو لم يعطه، أو ليخلصه من حبس لا ذنب له فيه، وضربوا لذلك أمثلة من التاريخ الإسلامى.

يقول ابن الأثير فى كتابه «النهاية» يروى أن ابن مسعود قبض عليه بأرض الحبشة فى شىء، فأعطى دينارين حتى خُلِّى سبيله، وروى عن جماعة من أئمة التابعين قالوا: لا بأس أن يصانع الرجل عن نفسه وماله إذا خاف الظلم، وقد رأى جماعة أن هذه الصور أيضا حرام، لعموم الأخبار الناهية عن الرشوة، والقول المعقول الذى رددته كتب كثيرة لعلماء أجلاء أن إعطاء شىء مقدما فى مقابل شىء حلال لا بأس به، وأن إعطاء شىء بعد قضاء المصلحة الحلال يعتبر شكرا يؤيده الحديث **«من اصطنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فأثنوا عليه بخير»** رواه أبو داود والنسائى، وله عدة روايات.

والذى يأخذ ذلك إن كان شخصا لا يملك قضاء هذه المصلحة بحكم وظيفته لا حرج عليه فى قبول هذا الجُعْل أو الهدية، أما إذا كان موظفا وبحكم وظيفته يمكن أن ينجز العمل المستحق لطالبه، فما يطلبه أو يأخذه فى مقابل ذلك من صاحب الحاجة حرام وسحت، وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به كما جاء فى الحديث الذى رواه ابن جرير عن ابن عمر.

ومن هنا قال بعض العلماء: إن إعطاء هذا الموظف شيئا لقضاء مصلحة مشروعة يعتبر حراما، لأنه يساعد هذا الموظف على الحرام، وما يؤدى إلى الحرام حرام، وقد أحسنت القوانين صنعا بتجريم هذا العمل، ومن أراد الاستزادة فى هذا الموضوع فليرجع إلى كتاب «أحسن الكلام فى الفتاوى والأحكام» المجلد الأول والمجلد السادس.

عدم الوفاء بالنذر

السؤال من القارئ/ أشرف محمد أحمد، من العاشر من رمضان، يقول: نذرت أن أصلى ركعتين يوميا طوال الحياة إن أعطانى الله ولدا وداومت على ذلك فترة ثم قطعت صلاة الركعتين. فما رأى الدين فى ذلك؟

الجواب: إذا نذر الإنسان طاعة وجب عليه الوفاء بالنذر كما قال تعالى: **﴿وليوفوا نذورهم﴾** الحج: آية ٢٩، وكما قال النبى ﷺ **«من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه»** رواه البخارى ومسلم.

وإذا وجد عذر لا يستطيع الإنسان أن يوفى بالنذر مع وجوده، كالذى نذر أن يقرأ القرآن كله كل أسبوع مرة، وكما جاء فى السؤال، فله أن يتحلل من النذر، أى من الإلتزام بالوفاء به، وذلك يسمى بالحنث كالحنث فى اليمين، والكفارة هى كفارة يمين: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام كما نص عليه القرآن فى سورة المائدة: آية ٨٩، وكما جاء فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال: **«كفارة النذر كفارة يمين»**.

وأرى أن عدم الوفاء بالنذر إن كان بغير عذر يجوز له التحلل منه على الوجه المذكور، وعليه أن يتوب إلى الله من معصية عدم الوفاء، ويعزم ألا يعود إلى التورط فيما لا يقدر عليه.

تربية الكلاب والمتاجرة فيها

السؤال من القارئ، مصطفى حنفى، من محافظة القاهرة، يقول:

ما حكم المتاجرة فى الكلاب بيعا أو شراء وكذلك حكم وجود الكلب فى المنزل وصحة قول: لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تماثيل؟

الجواب: معروف أن الكلاب نجسة عند جمهور الفقهاء، لا فرق بن المأذون فى اقتنائها وغيرها، وذلك لعموم الأدلة، أما فى مذهب مالك فهناك أربعة أقوال هى: طهارتها كلها، نجاستها كلها، طهارة سؤر المأذون فى اتخاذه دون غيره، طهارة سؤر البدوى، ونجاسة سؤر الحضرى.

أما اقتناؤها فقد روى البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال: **«لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تماثيل»** وروى مسلم قوله **«من اقتنى كلبا إلا كلب ماشية أو ضار نقص من عمله كل يوم قيراطان»** وفى رواية **«إلا كلب صيد أو ماشية»** وفى رواية **«إلا كلب زرع أو غنم أو صيد»**.

يؤخذ من هذا حرمة اقتناء الكلاب التى لا فائدة فيها، أما التى لها فائدة فلا يحرم اقتناؤها وهى كلاب الصيد وكلاب حراسة الزرع، وكلاب حراسة الماشية، وقد يقاس عليها الكلاب البوليسية لأن لها منفعة. والكلب الضارى هو المعلم الصيد المعتاد له.

وأما الاتجار فيها فقد روى مسلم أن الرسول ﷺ **نهى عن ثمن الكلب ومهر البَغىِّ وحلوان الكاهن**»، وفى رواية **«شر الكسب مهر البغى** - أى الزانية - **وثمن الكلب وكسب الحجام»**.

يقول الدميرى فى كتابه «حياة الحيوان الكبرى» لا يصح بيع الكلاب عندنا - أى الشافعية - خلافا لمالك فإنه أباح بيعها حتى قال سُحْنون: ويحج بثمنها، وقال أبو حنيفة: يجوز بيع غير العقور.

وذكر حكم ذلك النووى فى شرح صحيح مسلم «ج١٠ ص٢٣٢» فقال: وأما النهى عن ثمن الكلب وكونه خبيثا فيدل على تحريم بيعه، وأنه لا يصح بيعه ولا يحل ثمنه ولا قيمة على متلفه، سواء كان مما يجوز اقتناؤه أم لا، وبهذا قال جماهير العلماء، ومنهم الشافعى وأحمد، وقال أبو حنيفة: صح بيع الكلاب التى فيها منفعة وتجب القيمة على متلفها، وحكى ابن المنذر عن جابر وعطاء والنخعى جواز بيع كلب الصيد دون غيره، عن مالك روايات إحداها لا يجوز بيعه ولكن تجب القيمة على متلفه.

يؤخذ من كل ذلك أن الاتجار فى الكلاب جائز عند الإمام مالك فى رواية، وكذلك عند أبى حنيفة فيما لايضر، وغير جائز عند الشافعى مطلقا. واختلافهم رحمة فيجوز الأخذ بأحد هذه الآراء عند المصلحة.

تفسير آية

السؤال من قارئة، من محافظة الجيزة، تقول: ما معنى ﴿وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾، ما المقصود بالسجود هنا؟ وإلى من توجه الآية؟

الجواب: هذه الآية تنعى على الكفار الذين لا يؤمنون بالله وبرسالة النبى ﷺ بعد أن عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن الذى يثبت صدق الرسول فى رسالته، فإذا قرئ القرآن على هؤلاء الكفار لا يسجدون يعنى لا يصلون لأنهم لم يؤمنوا بالقرآن الذى يأمر بالصلاة.

وقال بعض المفسرين: إن المراد سجود التلاوة، لأن الحديث الصحيح يقول: إن أبا هريرة رضي الله عنه قرأ السورة التى فيها هذه الآية وسجد فيها، وبعد الانتهاء من الصلاة أخبرهم أن الرسول ﷺ سجد فيها، فهى من المواضع التى يسن فيها سجود التلاوة.

وجاء فى تفسير القرطبى أن الإمام مالك قال بعدم السجود فيها لأن المعنى: لا يذعنون ولايطيعون فى العمل بواجباته. وابن العربى قال إنها منه أى يكون السجود عند تلاوتها، وعليه فالأمر خلافى.

مأثورات

السؤال من القارئ، د. محمود أبو النصر جاد الله، يقول:

كثيرا ما نسمع جملا مثل «اتق شر الحليم إذا غضب»، «اتق شر من أحسنت إليه»؟ هل هذه المأثورات لها علاقة بالسنة النبوية أو الأحاديث؟

الجواب: لم أجد هذين القولين فى الجامع الكبير للسيوطى، وهما وإن لم يكونا من الأحاديث الصحيحة المنسوبة إلى النبى ﷺ فإن معناهما صحيح فى نظر علماء الأخلاق، وقد قال العجلونى فى كتابه «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» عن القول **«اتق شر من أحسنت إليه»**: قال السخاوى لا أعرفه، ويشبه أن يكون من كلام بعض السلف، قال: وليس على إطلاقه، بل هو محمول على اللئام دون الكرام، ويشهد له مافى «المجالسة للدينورى» عن على ـ كرم الله وجهه ـ: الكريم يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا أُلطف ـ يعنى إذا أعطى تحفة ـ وعن عمر رضي الله عنه: ما وجدت لئيما قط إلا قليل المروءة، وفى التنزيل **﴿وما نقموا منهم إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾** التوبة: آية ٧٤.

وسبب نزولها ـ كما ذكره الطبرى ـ أن كبير المنافقين عبدالله بن أُبى بن سلول كان له دية فأعطاها له الرسول ﷺ، فلما اغتنى بطر النعمة ولم يؤمن إيمانا خالصا بالرسول ﷺ، وقال عقب ذلك فى حادثة الرجلين اللذين اقتتلا وأحدهما من حلفاء الأنصار: انصروا أخاكم، فو الله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سَمِّن كلبك يأكلك.. وقال أيضا **﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾** المنافقون: آية ٨، يريد بالأعز قومه، وبالأذل المسلمين. وفى الإسرائيليات يقول الله عز وجل «من أساء إلى من أحسن إليه فقد بدَّل نعمتى كفرا، ومن أحسن إلى من أساء إليه فقد أخلص لى شكرا»، وعند البيهقى فى شعب الإيمان عن محمد بن حاتم المظفرى قال: اتق شر من يصحبك لنائلة «مجلة الإسلام ـ المجلد الرابع ـ العدد ١٣».

أما قول «اتق شر الحليم إذا غضب» ففيه كلام كثير لا يتسع له المقام، ويمكن الرجوع إليه فى «إحياء علوم الدين للإمام الغزالى»، فى الجزء الثالث مع تعليق العراقى على أحاديثه (ص ١٤٢ ـ ١٦٠).

العمل بسنة رسول الله ﷺ

السؤال من القارئ، السيد عبدالعال خليفة، من أبو دشيشة بمحافظة الدقهلية، يقول:

هل العمل بسنة رسول الله ﷺ واجب؟ وما حكم من ينكرها؟

الجواب: السنة النبوية هى المصدر الثانى من مصادر التشريع، والأخذ بها واجب للنصوص الكثيرة الواردة فى ذلك، مثل قوله تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم﴾** النساء: آية ٥٩، وقوله: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** الحشر: آية ٧، وقوله ﷺ: **«فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى»**، رواه الترمذى وغيره وقال حسن صحيح، وقد أجمعت الأمة على ذلك ولم يشذ إلا بعض الخوارج والروافض، يقول الشوكانى فى «إرشاد الفحول» ص٢٩: إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف فى ذلك إلا من لاحظَّ له فى الإسلام.

وقد حذر الله سبحانه من عدم قبول الأخذ بالسنة النبوية فقال **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾** النساء: آية ٦٥. كما حذر الرسول ﷺ من ذلك بقوله: **«ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا، لا يحل لكم الحمار الأهلى ولا كل ذى ناب من السباع.. »** رواه أبو داود. وقوله: **«فمن رغب عن سنتى فليس منى»** رواه البخارى ومسلم.

أ. حسين السكرى

احــــــذر هذا المرض الخطيــــر

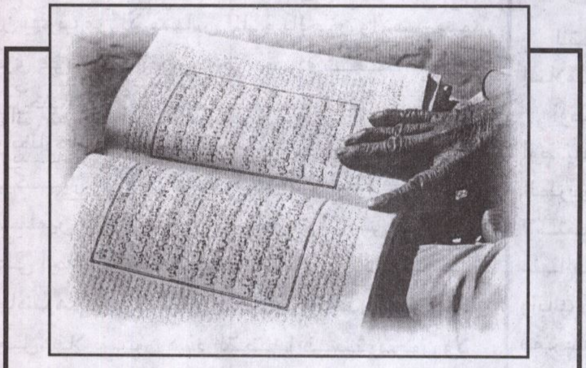

للقارئ/ السعيد إبراهيم نصر الدين - مدرس أول بناصر الزراعية بطنطا - وخطيب بمسجد العراقى.

إن الأمراض التى تصيب الإنسان تنقسم إلى قسمين؛ مرض يصيب الجسد وهو مرض وقد برع فى علاجه أطباء متخصصون ووضعوا لافتات فى كل مكان للعلاج، ومنهم أطباء فى المخ والأعصاب وكذلك فى العيون والعظام وهكذا. وأما النوع الآخر من الأمراض الذى يصيب الإنسان فهو المرض الذى قال الله - سبحانه وتعالى - عنه فى سورة الحج آية ٤٦: **﴿أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾**، ولم تجد أطباء متخصصون فى علاج هذه الأمراض على ظهر البسيطة الخضراء، ولم تجد لافتة فى علاج الكبر أو فى علاج الحسد أو الغرور أو فى علاج الكذب أو البعد عن الله - عز وجل - وهكذا.. والأخير هو أخطر هذه الأمراض؛ وهو كالسرطان فى جسم الإنسان وحتى لا تقع فيه وتصاب به إليك أهم الأعراض التى تظهر على المريض؟ ارتفاع درجة حرارة حب النساء والتلذذ بالحديث عن أسرارهن والنظر بشهوة دون تقيد والتفكر فى الوصول إلى المعصية وكثرة الآمال والطموحات لتعمير الدار الفانية وتخريب الدار الباقية وعدم الانتفاع بالوقت والصحة فى طاعة الله وغير ذلك كثير.. وإليك هذه الوصية وصرفها من الصيدلية المحمدية لعلاج هذا المرض الجسيم، عليك بورق الصبر وعصير التواضع وضع هذا فى إناء التقوى وصب عليه ماء الخشية وأوقد عليه نار الحب وصفه بمصفاة المراقبة وتناوله فى كأس الاستغفار واشربه بفم الصدق ودع الحرص والطمع يشفيك الله - عز وجل - من المرض اللعين.

***

ما أسهل أن يخلط الإنسان هذه الوصفة ويصفّها بالمصفاة ويوقد عليها النيران ويستخلص منها كل ما أراد، فكل هذا عمل هين وسهل ولين، ولكن المهم أن يعمل بما جاء فيها من الخشية والمراقبة والحب والطاعة، فهذا هو بيت القصيد، أما أن يجد نفسه دون جدوى فهو كما يقول العرب: عليك واحذر احذر الأسد، وأعنى بذلك المرض كما ذكرت، فهو الأسد الهصور والغضنفر الفتاك كفانا الله شره ونجانا من هبشه ونبشه وأوصلنا إلى بر النجاة والسلامة.

نظـــرة إلى المســـتـــقـــبل

للقارئ/الشيخ نافع السيد على محمد - إمام مسجد الشيخ على بأسيوط - ديروط - أبو الهدر.

من علامات التراجع والتخلف الحضارى فى حياة الأمم أن يفقد أبناؤها الثقة فى حاضرهم وأن يتغافلوا ويتعاموا عن النظر إلى مستقبلهم وأن يفروا من الحاضر والمستقبل معا إلى الماضى بمن كان فيه وما كان فيه ولا يستطيع الإنسان الصادق أن يهرب من الإحساس الملىء بالحزن والأسى وهو يرى فى الوقت نفسه من حوله شعوبا تنطلق وتزحف إلى الأمام وهمتها مشغولة بالغد والمستقبل وأنظارها معلقة بالأفق البعيد والعرب والمسلمون ينكسون الرؤوس أو يلوونها إلى الوراء فأكثر المسلمين الآن مشغولون بالنظر إلى الماضى منكفئون على أحداثه وقضاياه مذهولون بذلك كله عن حاضرهم بل ويتوارثون الخلاف والجدل جيلا بعد جيل، فلا ينسون هذه القضايا فيستريحون ولا يحسمونها فيريحون، ولقد آن الأوان أن ترتفع الرؤوس المنكسة وأن تعتدل الأعناق التى لا تنظر إلا إلى الوراء لتواجه تبعات مستقبل آت لا ريب فيه.

***

لا غنى عن النظر إلى الماضى لنأخذ منه العبرة ونلتمس منه الفكرة فما كان صالحا فيه عملنا به وما كان سيئا أهملناه وتركناه وأيضا لابد من التشبث بالحاضر والعمل على إحيائه والسير فيه فهو الذى نعيش فيه ونتمسك به وهو الذى يدفعنا إلى المستقبل المشرق المضىء، فإذا لم يكن لنا حاضر جيد ونبيل فلا نعلم ما يخبؤه لنا المستقبل، وكل هذه الأوقات بيد الله - عز وجل - وليس على العبد المؤمن إلا العمل والسعى الحثيث الدؤوب المخلص الصادق ويحضرنى فى هذا المقام قول الشاعر:

ليس كل ما يتمنى المرء يدركه

تأتى الرياح بما لا يشتهى السفن

وما أعظم من قول الله - سبحانه -: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عليكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾. والتوفيق بالله وعليه قصد السبيل.

وصية جعفر الصادق لأحد مريديه

للقارئ/ محمد عباس محمد عرابى - كاتب إسلامى واجتماعى.

أوصى الإمام جعفر الصادق أحد مريديه فقال: أوصيك بتسعة أشياء؛ فإنها وصيتى لمريدى فى الطريق إلى الله - تعالى - واسأله أن يوفقك لاستعمالها.. ثلاثة منها فى رياضة النفس، وثلاثة منها فى الحلم، وثلاثة منها فى العلم، فاحفظها وإياك والتهاون بها قال المريد ويسمى (عنوان) ففرغت قلبى له، فقال: أما اللواتى فى الرياضة: فإياك أن تأكل مالا تشتهيه فإنه يورث الحماقة والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع وإذا أكلت فكل حلالا وسم الله واذكر حديث رسول الله ﷺ: **«ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه، فإن كان لابد فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»** رواه الترمذى وابن ماجة. وأما اللواتى فى الحلم.. فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشرا، فقل له: إن قلت عشرا لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل له: لئن كنت صادقا فيما تقول: فاسأل الله - تعالى - أن يغفر لى، ولئن كنت كاذبا فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لك، ومن توعدك بالخنا فعده بالنصيحة والدعاء، وأما اللواتى فى العلم: فأسأل العلماء ما جهلت وإياك أن تسألهم تعنتا وتجربة، وإياك أن تعمل برأيك شيئا وخذ بالاحتياط فى جميع ما تجد إليه سبيلا واهرب من الفتيا هروبك من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسرا.

القرآن الكريم

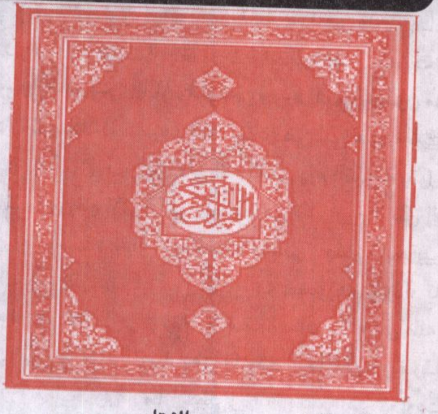

للقارئ/ طارق محمد عبدالفتاح .

من المشككين فى الدين من يقول: «إن سيدنا محمدا ﷺ ألف القرآن الكريم من كتب سماوية سابقة» مثل صحف إبراهيم والتوراة والإنجيل وغيرهما ومن عنده أيضا **﴿إن هذا لفى الصحف الأولى* صحف إبراهيم وموسى﴾** الأعلى: الآيتان ١٨، ١٩، والآية: **﴿غلبت الروم* فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون* فى بضع سنين﴾** الروم: الآيات ٢ ـ ٤، ليست من كتب سماوية سابقة، فإذا كانت من عند محمد ﷺ، والروم هم الطرف المغلوب؟ فمعنى هذا أنه يخطط للرحيل عنهم فى بضع سنين حاملا أكبر قدر من المال قبل أن ينكشف أمره؛ فهل كان تصرف سيدنا محمد ﷺ يفيد ذلك؟ لقد قتلت قريش أتباع محمد وعذبتهم وقاتل الرسول ﷺ مع أتباعه أعداءه الذين كانوا يفوقونهم عددا وعدة وقتل الكثير من الجانبين، فإذا خدعهم وهرب ما كانت قريش لتتركه وما سرقه من مال حتى لو كان فى آخر بلاد الدنيا، ولذلك فإن هذه الآية تدل على صدق سيدنا محمد ﷺ قبل أن يغلب الروم بل إن ما يقوله هؤلاء المشككون يستبعد ما يسمى بالأحاديث القدسية؛ لأنه لا يمكن تحديد ما إذا كانت من القرآن الكريم أم من كتب سماوية سابقة إذا كانت بعد القرآن الكريم؟ والقرآن الكريم كما نعلم أنزل على سيدنا محمد ﷺ وكان بها معجزة، ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ومن المشككين فى الدين من يقول: إن الكتب السماوية والقرآن قد تكون من عند كائن خفى يعلم مالا يعلمه الإنسان، وللرد أقول: هذا الكائن لن يفيده اتباع الإنسان للقرآن الكريم ومزج الصواب بالخطأ، فهذا اختبار تافه للإنسان.

دعامة المؤمن عقله

للقارئ/شعبان محمود شعبان ـ مصر ـ قنا ـ إسنا ـ عزبة صقر.

تقدير العقل والإرشاد به من القيم الدينية التى تقوم عليها العقيدة السليمة، يقول رسول الله ﷺ: «لكل شىء دعامة ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته» وهذا الحديث النبوى الشريف يبين ما للعقل من أهمية فى حياة المؤمن وعبادته، وليس هناك تصور لمكان العقل وارتباطه الوثيق بالإيمان والعبادة أبلغ مما يصوره هذا الحديث النبوى الشريف، ولهذا كان القرآن الكريم يتجه دائما إلى العقل فى الدعوة إلى الله وفى إقامة الحجة على المنكرين والضالين وفى التفريق بين الحق والباطل وبين الخطأ والصواب، يقول الله ـ عز وجل ـ: **﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾**، ويقول ـ سبحانه ـ: **﴿إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب﴾**، وهل تكون العبادة الصحيحة إلا عن عقل ووعى وإدراك؟ ولهذا قال رسول الله ﷺ: **«بقدر عقل المؤمن تكون عبادته»**، ذلك أن العبادة التى تؤدى دون تدبر لحكمتها وفهم لغايتها إنما تكون قوالب فارغة من المضمون وأشكال خالية من المعنى، وهى بذلك لا تحدث أثرها فى النفوس ولا ترقى إلى مقام القبول عند الله وليس لها أثرها العلمى فى السلوك وثوابها الموعود عند الله.

***

لابد أن يكون العقل هو المرجع فى حياة الإنسان، فبدون العقل لا يكون الإنسان مكلفا ولا تستقيم حياته ولا تنتظم أموره، ولهذا كان مناط التكريم من الله ـ عز وجل ـ للإنسان حينما قال: ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾

فضل المحبة فى الله - تعالى -

للقارئ/ سامى السيد على نصار - محافظة كفر الشيخ - قرية روينة.

إن التحاب فى الله - تعالى - والأخوة فى دينه من أفضل القربات ولها شروط يلتحق بها المتحابون بالمتحابين فى الله - سبحانه - وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى، يقول جل جلاله: ﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ الأنفال: آية ٦٣، قال ابن مسعود رضي الله عنه هم المتحابون فى الله، ولاشك فى أن الأخوة الإيمانية مقدمة على أخوة الرحم، قال - تعالى -: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾** التوبة: آية ٧١، ومن تمام محبة الله محبة ما يحبه وكراهية ما يكرهه الله ورسوله قال سبحانه وتعالى -: **﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾** أى مودة ومحبة فى قلوب عباده المؤمنين، ومدح الأنصار بحبهم للمهاجرين فقال - عز وجل -: **﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم﴾** الحشر: آية ٩، وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى يوم القيامة يقول: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»** رواه مسلم، فالله - سبحانه وتعالى - بشر المتحابين فى الله بما تقر به أعينهم وتنشرح به صدورهم ويزداد به حبهم لربهم، والنبى ﷺ يقول: **«سبعة يظلهم الله فى ظله، وذكر فيهم ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»** رواه البخارى، فما أسعد هذا المجتمع الذى تقاربت فيه رابطة الحب فى الله.

أثر المعاصى

للقارئ/ ربيع فتحى عبدالباسط - بنى قاسم - **ببا - بنى سويف.**

إن ما أصاب الناس من ضر وضيق مالى أو أمنى فردى أو جماعى فإنه بسبب معاصيهم وإهمالهم لأوامر الله ونسيانهم لشريعته والتماسهم الحكم بين الناس بعيدا عن شريعة الله الذى خلق الخلق وكان أرحم بهم من أمهاتهم وآبائهم وكان أعلم بمصالحهم من أنفسهم يقول جل جلاله: **﴿ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير﴾** الشورى: آية ٣٠.

ويقول - سبحانه وتعالى -: **﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾** النساء: آية ٧٩، فما أصابنا من حسنة من الخيرات والنعم والأمن فإنه من الله - سبحانه - فهو الذى تفضل به علينا أما ما أصابنا من سيئات وقحط وخوف وغير ذلك مما يسؤونا فإنه من أنفسنا وأسبابه نحن الذين ظلمناها وأوقعناها فى الهلاك، وإن كثيرا من الناس يعرفون المصائب التى يصابون بها سواء أكانت مالية أو اقتصادية أو أمنية ولاشك أن هذا من قصور أفهامهم وضعف إيمانهم وغفلتهم عن تدبر كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ بل إن إيمانهم وغفلتهم عن تدبر كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ بل إن وراء هذه الأسباب أسباب شرعية أقوى وأعظم وأشد تأثيرا من الأسباب المادية، ولكن قد تكون الأسباب المادية وسيلة لما تقتضيه الأسباب الشرعية من المصائب والعقوبات، يقول تعالى: **﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون﴾** الروم: آية ٤١، فلابد أن نشكر نعم الله علينا وما فضلنا به على الأمم السابقة بأننا أفضل الأمم وأكرمها إلى الله - عز وجل - وأنه لم يجعل عقوباتنا على معاصينا وذنوبنا كعقوبة الأمم السابقة فما أعظم الرجوع إلى الله والتوبة إليه والبعد عن العقوبات الإلهية التى تنزل بكم، فكلها تكون بذنوبكم وحصاد أعمالكم.

سبحان خالق الأكوان

للقارئ/ محمد عباس محمد عرابى.

يقول الله تعالى: ﴿وفى الأرض آيات للموقنين* وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ الذاريات: الآيتان ٢٠، ٢١، إنها دعوة ربانية للتدبر والتأمل فى آيات الله الكونية التى لا يملك الإنسان أمامها إلا أن يسجد لله تعظيما له - سبحانه - مرددا «سبحان الخلاق العظيم» قيل: إن كسرى أنو شروان ملك الفرس اضطجع ذات ليلة، ثم سرح طرفه فى الآفاق البعيدة وأرسل هذه الكلمات النابضة: أيها الفلك: إن بناء أنت سقفه لعظيم، وإن بيتا أنت غطاؤه لعظيم، وإن شيئا أنت تظله لكبير، وإن فيك لعجبا للمتعجبين، فليت شعرى أعلى عمد من تحتك تستمسك؟ أم بمعاليق من فوقك؟ ولعمرى إن ملكا أمسكتك قدرته لملك عظيم، وإنه فى استدارتك بتقديره لحكيم خبير وإن من غفل عن التفكير فى هذه العظمة لغر صغير، وليت شعرى أيتها الأفلاك بم طلوعك حين تطلعين؟ وبم مسيرك حين تسيرين؟ وأفولك حين تأفلين؟ وعلام سقوطك حين تغيبين؟ ليت شعرى أساكنة أنت أم تتحركين؟ أم كيف صفتك التى بها تتصفين؟ ولونك الذى به تتسمين؟ ومن سماك بأسمائك التى بها تعرفين؟ فسبحان من لأمره تنادين وبمشيئته تجرين وبصنعته استقامتك حين تستقيمين ورجوعك حين ترجعين.

***

إنها القدرة القادرة والقوة القوية الخارقة والصنع المحكم المتين الذى يتحدى البشر ويعجز عنه الإنس والجن ولا ينفذون منه إلا بسلطان ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان* فبأى آلاء ربكما تكذبان* يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾ الرحمن: الآيات ٣٣ - ٣٥، فهل بعد المعجزات الخارقة من يقف متسائلا كيف كان هذا وكيف أمكن حدوثه؟ ولكن لابد من التفكير والتدبر والتأمل حتى يرعوى الإنسان ويؤمن بجبروت الله العظيم.

ينبثق النور من الظلام

للقارئ/ زغلول عبدالعاطى عبدالحق.

مهما طال الليل ومهما كثر سواده فلابد من طلوع الفجر ولابد من صولة الحق وجولته فى زمن قريب ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، وعلى المؤمن أن يعلم بأنه يعيش فى ابتلاء واختبار دائما وأشدكم ابتلاء واختبارا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل وليتيقن بأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ويضع فى حسبانه بأن الدنيا لا قيمة لها بالنسبة للآخرة ولو كانت تزن جناح بعوضة ما سقى الله منها الكافر جرعة ماء، ونجد المنافقين على حد تعبير القرآن الكريم **﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾**، هذا هو تعبير القرآن الكريم، ولن تجد تعبيرا يصل إلى هذه المصداقية والبراعة والفصاحة من أى مخلوق فى أى زمان أو مكان وعلى أى أرض، ومادام القرآن الكريم قد أحاطنا بذلك فليس بغريب ولا داعى للعجب عندما نرى المسلمين فى فلسطين يقتلون، وفى الشيشان وكشمير يمزقون ويسفكون، ولكن بالرغم من هذا كله، ونحن نتوقع المزيد لأن القانون الصهيونى يقول: احرص على قيام دولة إسرائيل من الفرات إلى النيل، وبالطبع لن يحدث هذا لأن الله سبحانه يدافع عن عباده المؤمنين شريطة الأخذ بالأسباب، فعلى المؤمنين أن يتحدوا وبحبل الله يعتصموا ويمتثلوا لقول النبى ﷺ: **«عليكم بالجماعة فإن الذئب يأكل الشاردة من الغنم».**

الدنيا

للقارئ/ محمد السيد محمد أحمد ـ سوهاج ـ جرجا ـ كوم الصعايدة ـ آل عمر.

قال رجل لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه: صف لى الدنيا؛ فقال: «ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء، حلالها حساب وحرامها عذاب، من أمن فيها سقم ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ثم إن الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار فناء لمن تزود منها، ودار عافية لمن استغنى عنها، مسجد أبينا آدم ومهبط وحيه ومتجر أوليائه فاكتسبوا منها الرحمة وادخروا منها الجنة.

وكتب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه إلى الحسن البصرى يطلب منه أن يجمع له أمرى الدنيا والآخرة فأجابه: إنما الدنيا حلم والآخرة يقظة، والموت متوسط بينهما ونحن أضغاث أحلام، من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف سلم ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن علم عمل، فإذا ذللت فارجع وإذا ندمت فاقلع وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فامسك.

***

هذه هى الدنيا كما يراها أحد الصحابة وأحد الحكماء، فمن أرادها منكم على ما جاء فيها من مؤاخذات وعناء وحساب وعذاب فليتقدم إليها ويقبل عليها ومن أشاح بوجهه عنها وأراد السلامة والنجاة والعافية كان بذلك عزيز النفس نظيف القلب سليم الطوية فليتدبر كل واحد منا أمره ويقارن بين الصالح والطالح والحلم واليقظة، فهل يحاسب نفسه ويربح أم يغفل عنها ويخسر؟ هل يطيع هواه ويضل أم يخاف ويسلم؟ إنها خيارات صعبة؛ فيها مزيج من الحلاوة والمرارة والنفس كما نعلم يغلفها الطمع ويملؤها الجشع.

مسابقة منبر الإسلام للحج والعمرة ـ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ (٨)

السؤال :ومنذ العهد النبوى والصحابة والتابعون يعيشون فى جو من الصدق، لا كذب ولا تدليس وحتى بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى حيث كانت صدورهم تفيض بالثقة والإخلاص.

من قائل هذه العبارة وفى أى مقال وردت؟

عنوان المقال : .... اسم الكاتب : ....

العنوان : ....

العمل : ....

اسم المتسابق : .... رقم التليفون : ....

تاريخ الميلاد : ....

رقم البطاقة: .... جهة الصدور : ....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة عسى أن تفوز برحلة للحج أو رحلة للعمرة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٤هـ حتى شعبان ١٤٢٥هـ

بريد التعارف

أهلاً

الاسم : حسين أبو الوفا نور الدين
الهواية : الخطابة وقراءة القرآن الكريم
العنوان : سوهاج ـ دار السلام ـ أولاد الشيخ

الاسم : الحنفى أحمد يونس الربيعى
الهواية : الاطلاع الدينى والمراسلة
العنوان : سوهاج ـ جرجا ـ كوم الصعايدة

الاسم : محمد شحتة أحمد إبراهيم
الهواية : التعارف والخطابة
العنوان : الجديدة ـ منيا القمح ـ محافظة الشرقية

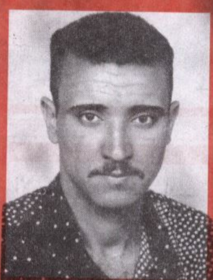

الاسم : ربيع طلعت عبدالحميد
الهواية : المسابقات والبحث
العنوان : الملعب ـ بلقاس ـ محافظة الدقهلية

الاسم : أبو بكر عبدالحميد حسن
الهواية : قراءة الجغرافية وتنس الطاولة
العنوان : سوهاج ـ دار السلام ـ أولاد يحيى

الاسم : على حسن عيسى العارف
الهواية : قراءة القصص الدينية
العنوان : سوهاج ـ طهطا ـ شطورة

الاسم : عبدالناصر محمود محمد صقر
الهواية : قراءة وتجويد القرآن الكريم
العنوان : سوهاج ـ طهطا ـ شطورة

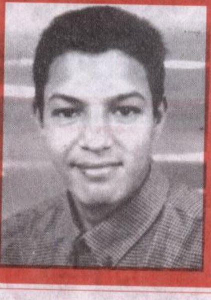

الاسم : حسن محمد أبو العلا عليوة
الهواية : قراءة القرآن والاطلاع الدينى
العنوان: أسيوط ـ موشا ـ ش أولاد حسن

الاسم : خلف أحمد عبدالعليم محمد
الهواية : القراءة الحرة والخطابة
العنوان : السحالة ـ منسافيس ـ محافظة المنيا

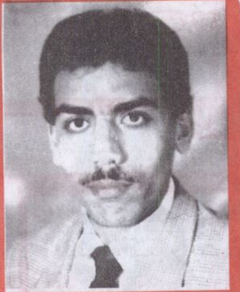

الاسم : أيمن محمد أحمد أبو السعود
الهواية : تلاوة القرآن الكريم والخطابة
العنوان : دسوق ـ ش الغفران

الاسم : مصطفى إبراهيم طنطاوى
الهواية : الاطلاع الدينى وحفظ القرآن
العنوان : سوهاج ـ دار السلام ـ أولاد سالم

الاسم : بهجت على أمين
الهواية : قراءة المجلدات العلمية
العنوان : سوهاج ـ دار السلام ـ بنى خالد

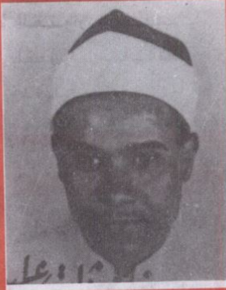

الاسم : خلف ثابت عليوة
الهواية : حفظ القرآن الكريم
العنوان : سوهاج ـ أخميم ـ ش القبة

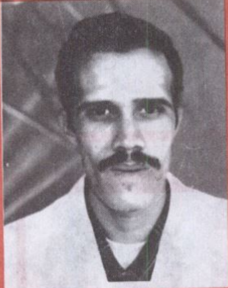

الاسم : طارق جلال الدراكسى
الهواية : الاطلاع الدينى والمراسلة
العنوان : ١٣٢ ش السيالة القديم ـ السيالة ـ محافظة دمياط

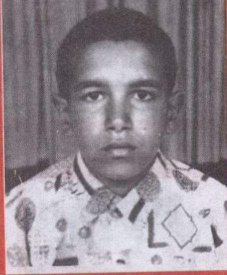

الاسم : مصطفى فايز القاضى
الهواية : قراءة القرآن الكريم والكتب الدينية
العنوان: قرية قمحة ـ الدلنجات ـ محافظة البحيرة

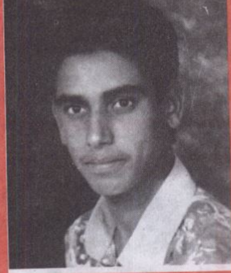

الاسم : إبراهيم إبراهيم محمد
الهواية : المراسلة ـ الاطلاع الدينى والقراءة
العنوان : دمياط ـ فارسكور ـ الحورانى

تعارف منبر الإسلام

الاسم : ....
الهواية: ....
العنوان: ....

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

محتويات العدد

☐ **كلمة التحرير**		١
☐ **حديث الشهر** (سماحة الإسلام).	بقلم أ. د عبدالصبور مرزوق	٢
● احتفال مصر بالمولد النبوى الشريف	متابعة: سعيد صالحة ـ جليلة أحمد حلمى	٤
● وقائع المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.	منير بيومى ـ مصطفى خيان	١٧
☐ **القرآن الكريم وعلومه**		٦٥
● تفسير سورة القلم	أ. د. محمد سيد طنطاوى	٦٦
● آيات العتاب فى القرآن الكريم	أ. د. محمد محمد أبو ليلة	٦٩
☐ **دراسات فى السنة المطهرة**		٧٥
● الرواية فى الإسلام وحاجتها إلى الإسناد	أ. د. أحمد عمر هاشم	٧٦
● الإسلام دين الإقناع بالحجة والدفاع بالعدة	الشيخ محمد عبدالمجيد زيدان	٨١
● الشفاعة العظمى (شعر)	عمر موسى البرعى	٨٤
☐ **الحضارة والعلوم**		٨٥
● إسلامية الدولة ومدنيتها	أ. د. محمد عمارة	٨٦
● تطوير المناهج الدراسية ضرورة دينية وعلمية	أ. د. محمد الدسوقى	٩١
● الصحة وعلاقتها بالبيئة من منظور إسلامى	أ. د. عبدالمعبود عمارة	٩٥
● رسول الله قد حق العزاء (شعر)	د. عبدالحميد إبراهيم أبو سعدة	٩٨
● الفن الإسلامى عبر ١٤٠٠ عام	محمد كامل شاهين	٩٩
● يزيد بن مزيد الشيبانى	أ. د. محمد رجب البيومى	١٠٤
● محمد الثانى.. السلطان الفاتح	كمال عبدالوهاب	١٠٨
☐ **الأسرة فى التشريع الإسلامى**		١١٣
● مراحل تكوين الأسرة فى الإسلام	أ. د. سالم عبدالجليل	١١٤
● وليس الذكر كالأنثى	أ. د. حسنى حمدان الدسوقى	١١٨
● موقف سعيد النورسى من الحضارة الغربية	أ. د. جمال رجب سيد بى	١٢٢
● نافذة على المعلومات	إعداد: منى القاضى	١٢٤
● من وراء الأخبار		١٢٦
● قطوف	إعداد: محمد سيد أحمد	١٢٧
☐ **أنت تسأل والفقيه يجيب**	فضيلة الشيخ عطية صقر	١٣٠
☐ **مع القـراء**	يحرره: حسين السكرى	١٣٧
☐ **بريد التعارف**		١٤٣

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارىء المسلم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى بأمهات الكتب التى صدرت عن المجلس ومنها:

أمهات كتب التراث الإسلامى

- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء
- صحيح البخارى الأجزاء من ١ : ١١
- سبل الهدى والرشاد الأجزاء من ١ : ١٢
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار الأجزاء من ١ : ٤
- المقتضب للمبرد الأجزاء من ١ : ٤
- الوجوه والنظائر الأجزاء ١ : ٢
- مختصر سيرة ابن هشام الأجزاء ١ : ٢
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز الأجزاء من ١ : ٦
- المعلم بفوائد مسلم الأجزاء ١ : ٢
- إخلاص الناوى من ١ : ٤

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم «مجلد فاخر»
- المصحف المعلم ٣٨ شريطا للشيخ الحصرى
- المصحف المرتل ٢٢ شريطا للشيخ محمود خليل الحصرى
- المصحف المجود ٦٠ شريطا للقراء عبد الباسط عبد الصمد - مصطفى إسماعيل محمود على البنا - محمود خليل الحصرى

وهذه الكتب لكبار العلماء القدامى وكبار المحققين فى العالم الإسلامى:

- موسوعة الفقه الإسلامى الأجزاء من ١ : ٢٥
- الفتاوى الإسلامية مجلدات من ١ : ٢٠
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون الأجزاء من ١ : ٥

وتيسيرا على القارىء المسلم ومشاركة فى تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التى صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم للبيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسبة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى
مكتبة مسجد النور بالعباسية
٢ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
٧٦ شارع الجمهورية (شرائط القرآن الكريم)
الاسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول

مواعيد العمل من ٩ صباحا إلى ٢ ظهرا

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر